

BOBST LIBRARY

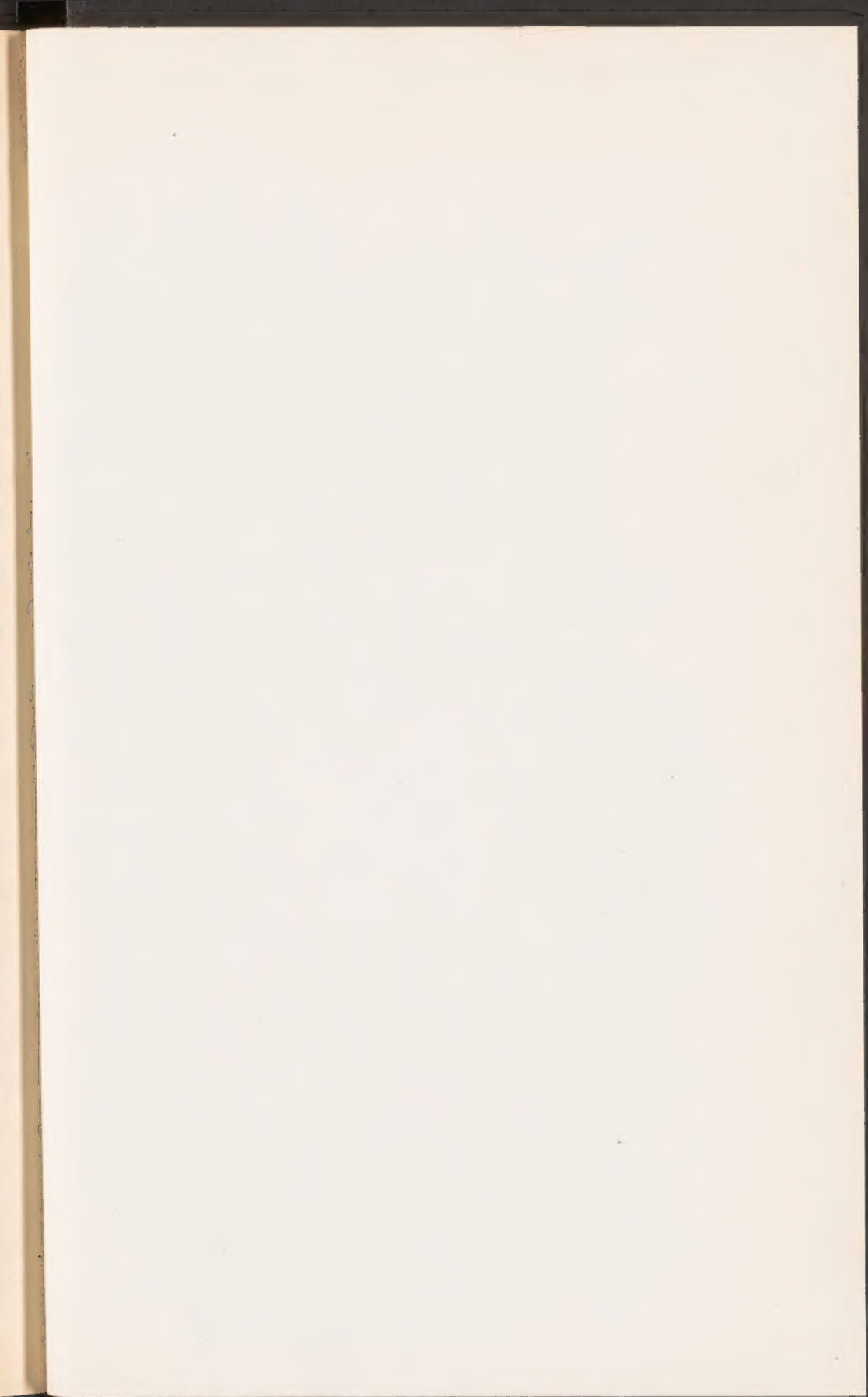


3 1142 02824 5192

[illegible]

Demco 38-297





Ibn al-Tiṭaqaṭ Muhammad . . .

LIBRARY
N. Y. UNIV.

/al-Fakhrī/ كتاب

الافاعي

FRONT

﴿ في ﴾

الآداب السلطانية . والدول الإسلامية

تأليف

﴿ محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ﴾

« تجاوز الله عنه »

(طبع بمطبعة الموسوعات بمصر بباب الشعريه)

(على نفقة شركة طبع الكتب العربية بمصر)

« في سنة ١٣١٧ هجرية » 4 33

LIBRARY
N. Y. UNIV.



﴿ قرّر مجلس ادارة (شركة طبع الكتب العربية في مصر) بجلسته ﴾
 ﴿ المنعقدة يوم الثلاثاء (٢٦ جمادي الثانية سنة ١٣١٧) طبع كتاب ﴾
 ﴿ الفخري ﴾

﴿ في الآداب السلطانية . والدول الاسلامية . تأليف محمد بن علي بن ﴾
 ﴿ طباطبا المعروف بابن الطقطقي تجاوز الله عنه . والكتاب من أجل ﴾
 ﴿ كتب التاريخ مقداراً . وأسمائها اعتباراً . وقد عرف ذلك علماء ﴾
 ﴿ أوروبا قبل علماء الشرق فسبقوا الى طبعه وجعلوا له ثمناً باهظاً جداً ﴾
 ﴿ بحيث يتعسر على كثير اقتناؤه فتعميماً للفائدة وخدمة للتاريخ ﴾
 ﴿ والادب والعلم التزمت الشركة المومي اليها بطبعه في مطبعة ﴾
 ﴿ الموسوعات والله الموفق لما فيه الخير والصلاح ﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مسبب الأسباب . ومفتح الابواب . مقدر الأمور . ومدبر الدهور . واجب الوجود . وخالق الأخلاق والوجود . مفيض العقل وواهب الكل . أقر انه المالك الوجود مملوكا لعظمته . وأشهد انه القاطر وأن الغيب غير مستور لحكمته . وأعوذ بجلال عزه من ذل الحجاب . وبفضل جوده من نقاش الحساب . وبخافي علمه مما في الكتاب من العذاب . وأصلي على النفوس العلوية المطهرة من الأذناس . وعلى الاجسام الارضية المنزهة عن الأرجاس . وأخص من بينهم بأفضل الصلوات الزاكيات . وأكمل التحيات الناميات . من نادى والألسن حداد . وأرشد والاكباد غلاظ والقلوب جلال . محمداً النبي الأُمِّي ذا التأييدات الالهية . والتأكييدات الجلالية . وآله الطيبين . وأصحابه الصالحين . الذين كانوا صدقوه وقد أرسل . ونصروه وقد خذل . ما سمح جواد . وورى زناد . وبعد فان أفضل ما نزار فيه خواص الملوك . وسلوكوا اليه أفضل السلوك . بعد نظرهم في أمر الأمة . وقيامهم فيما استودعوه بالحجة . هو النظر في العلوم . والاقبال على الكتب التي صدرت عن شرائف القهوم . فأما فضيلة العلم فظاهرة ظهور الشمس . عرية من الشك واللبس . فما جاء من ذلك في التنزيل قوله تعالى (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ومما جاء في الحديث صلوات

الله وسلامه على من نسب اليه (ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم) . وأما فضيلة الكتب فقد قالوا ان الكتاب هو الجليس الذي لا ينافق ولا يمل ولا يعاتبك اذا جفوته ولا يفشى سرك . وقال المهلب لبنيه يابني اذا وقفتم في الاسواق فلا تقفوا الا على من يبيع السلاح أو يبيع الكتب وكان القتيح ابن خاقان اذا كان جالسا في حضرة المتوكل وأراد ان يقوم الى المتوضا أخرج من ساق موزته كتابا لطيفا فلا يزال يطالعها في ممره وعوده فاذا وصل الى الحضرة الخليفة أعاده الى ساق موزته * أرسل بعض الخلفاء في طلب بعض العلماء ليسامره فلما جاء الخادم اليه وجده جالسا وحواليه كتب وهو يطالع فيها فقال له ان أمير المؤمنين يستدعيك قال قل له عندي قوم من الحكماء أحاديثهم فاذا فرغت منهم حضرت فلما عاد الخادم الى الخليفة وأخبره بذلك قال له ويحك من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده قال والله يا أمير المؤمنين ما كان عنده أحد قال فأحضره الساعة كيف كان فلما حضر ذلك العالم قال له الخليفة من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك قال يا أمير المؤمنين

(طويل)

لنا جلساء مانمحل حديثهم	أمينون مأمونون غيباً ومشهداً
يفيدوننا من علمهم علم ماضى	ورأياً ونأديبا ومجداً وسوددا
فان قلت أموات فلم تعد أمرهم	وإن قلت أحياء فلست مفندا

فعلم الخليفة أنه يشير بذلك الى الكتب ولم ينكر عليه تأخره . وقال الجاحظ دخلت على محمد بن إسحق أمير بغداد في أيام ولايته وهو جالس في الديوان والناس مثول بين يديه كان على رؤسهم الطير ثم دخلت اليه بعد مدة وهو معزول وهو جالس في خزانة كتبه وحواليه الكتب والدفاتر

والحجابر والمساطر فما رأيته أهيب منه في تلك الحال . وقال المتنبي (طويل)
أعز مكان في الدنيا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب
والعلم يزين الملوك أكثر مما يزين السوقه وإذا كان الملك عالما صار
العالم ملكا . وأصلح ما نظر فيه الملوك ما شتمل على الآداب السلطانية والسير
التاريخية المطوية على ظرائف الاخبار . وعجائب الآثار . على أن الوزراء
كانوا قديما يكرهون أن الملوك يقفون على شيء من السير والتواريخ خوفا
أن يتفطن الملوك الى اشياء لا يحب الوزراء أن يتفطن لها الملوك * طلب
المكتفي من وزيره كتباً يلهو بها ويقطع بمطالعها زمانه فتقدم الوزير الى
النواب بتحصيل ذلك وعرضه عليه قبل حمله الى الخليفة فحصلوا شيئا من كتب
التاريخ وفيها شيء مما جرى في الايام السالفة من وقائع الملوك وأخبار الوزراء
ومعرفة التحيل في استخراج الاموال فلما رآه الوزير قال لنوابه والله إنكم
أشد الناس عداوة لي أنا قلت لكم حصلوا له كتباً يلهو بها ويشغل بها عني
وعن غيري فقد حصلتم له ما يعرفه مصارع الوزراء ويوجده الطريق الى
استخراج المال ويعرفه خراب البلاد من عمارتها ردها وحصلوا له كتباً فيها
حكايات نلهميه وأشعار تطربه * وكانوا يكرهون أيضا أن يكون في الخلفاء
والملوك فطانة ومعرفة بالامور * لمات المكتفي عزم وزيره على مبايعة عبد
الله بن المعتز وكان عبد الله فاضلا ليبياً محصلاً فخلاً به بعض عقلاء الكتاب
وقال له اي هذا الوزير هذا الرأي الذي قد رأيته في مبايعة ابن المعتز ليس
بصواب قال الوزير كيف ذلك قال أي حاجة لك أن تجلس على سرير الخلافة
من يعرف الذراع والميزان والاسعار ويفهم الامور ويعرف القبيح من الحسن
ويعرف دارك وبستانك وضيعتك الرأي أن تجلس صبيها صغيراً فيكون اسم

الخلافة له ومعناها لك فتربيته الى أن يكبر فاذا كبر عرف لك حق التربية
وتكون أنت قد قضيت أوطارك مدة صفه فشكره الوزير على ذلك وعمل
عن عبد الله بن المعتز الى المقدر وعمره يومئذ ثلاث عشرة سنة

وكان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل رحمه الله أكثر مايجرى في
مجلس أنسه إيراد الاشعار المطربة والحكايات الملهية فاذا دخل شهر رمضان
أحضرت له كتب التواريخ والسير وجلس الزين الكاتب وعز الدين المحدث
يقرآن عليه أحوال العالم * وهذا التقرير يستدعي شرح حال وذلك أتى حين
أحلنى حكم القضاء بالموصل الحداث حلتها غير متعرض لوبلها أو طلبها ودخلتها
كما قال عز من قائل . (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) وكنت بنيت
عزني على المقام فيها بقدر ماينكسر البرد . ويشغل البرد . ثم التوجه بعد ذلك
الى تبريز حين استقررت بالموصل بلغنى من عدة جهات مختلفة . ومن ذوى
أراء غير مؤلفة . غزارة فضل صاحبها الاعظم . المولى الخدم الملك المعظم .
أفضل الملوك وأعظمهم . وأكرم الحكام وأحلمهم . (نخر الملة والدين)
الممنوح بخصائص لو كانت للدهر لما شكاه صرفه حر . ولما مس أحداً منه
ضر . ولو كانت للبحر لما كان ماءه ملحا أجاجا . ولا خاف راكبه منه
أمواج . ولو ظفرت بها الاقمار . لما لحقها السرار . (عيسى) الذى أحيى
ميت الفضائل . ونشر طي الفواضل . وأقام سوق المكارم فى عصر كسدت
فيه سوقها وأنقض مقعدات المحاسن بعد ما عجزت عن حمل أجسامها سوقها
وذب عن الاحرار فى زمان هم فيه أقل من القليل . وملا أيديهم من عطائه
بأياد واضحة النرة والتججيل . وأفاء عليهم ظل رافة لا يتنقل . وخفض لهم
جناح رحمة فما نى يتفضل . عليهم ويتطول . كلما ازداد دولة وتمكينا .

زاد تواضعاً وليناً . وكلما بلغ من الملك غاية . رفع للكرم رايه . (ابن ابراهيم)
أعزّ الله نصره وأفدّ نهيه وأمره الذي أنسى ذكر الاجواد . وورزاة الاطواد
وشجاعة الآساد . (كامل)

للشمس فيه وللرياح والسحا ب وللبجار وللأسود شمائل
الذي هو في جبهة هذا الدهر غمره . وفي قلادته دره . لاتدانيها في
الدنيا درّه . الذي صدق أخبار الماضين . وحقق مانسخ من مآثر الاولين
وقد قال ابن الروميّ (طويل)

أظن بأن الدهر مازال هكذا وأن حديث الجود ليس له أصل
وهب أنه كان الكرام كما حكوا أما كان فيهم واحد وله نسل
فلو شاهده لصدق ما سمع من أخبار أهل الكرم . ولما اختلجت بين
جنبه عوارض التهم . الحاكم الذي اذا سلط ذهنه الشريف وفكره
اللطيف . على القضايا الديوانية . والامور السلطانية . ذلت له الصعاب .
ولانت له الصمّ الصلاب . وظهرت له الخفايا . وتعذر أن يقال في الزوايا
خبايا . أما قوة العدل عنده فسليمه . قواعدها لديه قويمه . فلا تجز عنك
هيئته المرهوبة فان وراءها رافة بالضعيف ورقة على الفقير . وجبراً للكسير .
(كامل)

وله من الصفح الجميل عوائد أسر الطليق بها وفك العاني
ولقد حضرت يوماً مجلسه الرفيع وكان يوم غيث وقد تقدم بصيانة
الباب فلما كثر الغيث قال للحجاب من حضر الباب وله حاجة فعرفونا بها ثم
قال ان أحداً لا يحضر في مثل هذا الوقت الا لضرورة ولا يجوز أن يرد
خائباً فبالله هل يأتي في هذا الكتاب الذي يريد أن يكون مشتملاً على

محاسن الآثار الا ما هو من جنس هذه الحكاية * وأما قوة السياسة عنده
 فعظيمه . لم تعترضها هضميه . فلا تغرنك رفته وابتسامه فان وراء ذلك
 صرامة يخضع لها الاسود . وشهامة يحذرها السيد والمسود (طويل)
 هو البحر غص فيه اذا كان ساكنا واياك فاحذره اذا كان مزبداً
 وأما قوة الذكاء والتيقظ فهو فيها كما قال المتنبي (منسرح)

تعرف في عينه حقيقته كانه بالذكاء مكتحل

أشفق عند انقاد فكرته عليه منها أخاف يشتعل

وأما قوة العقل الفريز والتميز الصحيح فاني لأظن ان عقلاء الملوك
 الماضين لو عاشوا وشاهدوه لتعلموا منه كيف يساس الجمهور . وكيف تدبر
 الامور . وأما قوة الكرم الذي يجاوز الحد وخرج . فحدث عن البحر ولا
 حرج . فلو عاش الكرام الذين ضربت بهم الامثال . وعدمت لهم النظراء
 والامثال . لتعلموا منه غوامض الكرم . ولتلقفوا منه محاسن الشيم . ولو
 أنصفت لتركت وصف هذه القوة من قواه عجزاً عن الاحاطة بكنه وصفها .
 وقصوراً عن القيام بواجب رصفها . ولكني أقول حسب الجهد والطاقة ان
 احتقاره للدنيا احتقار الاولياء واستصغاره لها استصغار الزهاد فلو جاد بالدنيا
 وثى بضعفها اظن من استصغاره انه ضناً يعطي عطاء من يبق الذكر ويحييه .

وينقد المال ويفنيه . فيه (طويل)

أعاذل ان الجود ليس بمهلك ولا يخذ النفس الشحيحة لومها

وتذكر أخلاق القتي وعظامه مغمية في التراب بال رميمها

بهمة نالت السماء . وجاوزت الجوزاء . ومن هناك حصل له الانس بعلم
 النجوم فانه اخذ علمها بالارتقاء اليها والاقتراب . لا بالحساب والاصطرلاب .

بلغ السماء علواً فشافهته بأسرارها كواكبها . وقرع الافلاك سموا فحدثه
بأخبارها مشارقها ومغاربها . (طويل)

له هم لا منتهى لكبارها . وهمته الصغرى اجل من الدهر
لا تستقر في خزائنه نفائس امواله . وليس لها بيت يحفظها سوى بيوت
سؤاله (بسيط)

انا اذا اجتمعت يوماً دراهمنا . ظلت الى طرق العلياء تستبق
لا يألف الدرهم المنقوش صرتنا . لكن يمر عليها ثم ينطلق
لا يفعل السكر في كرمه . الا كما يفعل الصحو في أمطار ديمه .
(طويل)

يعيد عطايا سكره عند صحوه . ليعلم أن الجود منه على علم
ويسلم في الاحسان من قول قائل . تكرم لما خامرت به ابنة الكرم
ومن أسرار كرمه أنه منزّه عن التبذير . وان كان أكثر من الكثير .
لانه موضوع في أجل مواضعه . وواقع في أفضل مواقعه . فتى تعرض آمل .
او عن سائل . بادر الى ارفاده . مبادرة السيل الى وهاده . (كامل)

عشق المكارم فاستهام بذكرها . والمكرمات قليلة العشاق
وأقام سوقاً للثناء ولم تكن . سوق الثناء تعد في الاسواق
فاذكر صنائعه فلسن صنائعا . لكنهن فلائذ الاعناق
والهم أنامله فلسن أناملا . لكنهن مفاتيح الارزاق
وكأنى بك أيها الناظر في هذا الكتاب قد استعظمت ما سمعت فان
عرض لك الشك فانظر أعيان هذا العصر تجدهم يناقشون على الذره .
وتجده لا يلتفت الى الذره . وتجدهم يحرضون على اقتناء الذخائر . وتجده

لا يحرص الا على الذكر السائر . والصيت الطائر . وتجدهم قد شفقتهم محبة
الاولاد . وتجده قد شفقتهم محبة السؤال والقصاد . وتجدهم يهربون من
المغارم . وتجده يعدها من أفضل المغانم . ثم ارجع البصر تجد المدائح عندهم
كاسدة وتجدها عنده نافقة ونأمل تبصر المكارم لديهم جامدة وتبصرها
لديه دافقة وانظر بابه تجده عامرا بوفود الثناء غاصا بالادباء والشعراء
والفضلاء والفصحاء {خفيف}

يسقط الطير حيث تلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء
وتالله ما الدنيا الا ذنياه ولا العيش الا عيشه الذي أعطاه الله

{كامل}

ما العيش أن يمسي القتي متشبعاً ضخم الجزاره
كلفا بشرب الراح مشعوماً بنز لان الستاره
العيش ان يشجى الفقى أعداءه ويبرز جاره
حتى يخاف ويرتجى ويرى له نشب وشاره
ويروح اما للكتا به سعيه أو للاماره

رجعنا الى حكاية الحال . واتمام المقال . فلفقت المقادير أن جرى ذكرى
بين يديه وعرض شئ من أمرى عليه فليح بذلك قلبه وصحة حدسه من
تلك الانباء حقيقة حالى قبل اللقاء وتقدم بالحضور فى خدمته فلما حضرت
راعى ما شاهدت من كمال هيئته . وراقى ما عاينت من جمال صورته .
وشريف سيرته . فكان أول ما أنشدته قول المتنبي {طويل}

وما زلت حتى قادنى الشوق نحوه يسايرنى فى كل ركب له ذكر
وأستعظم الاخبار قبل لقائه فلما التقينا صفر الخبر الخبر

ثم تابع من الخلفه ما غرس به ودا وجنى منه ثناء وحداً فرأيت أن
أخدم حضرته بتأليف هذا الكتاب ليكون تذكرة له وتذكرة لى عنده
يذكرنى به اذا غبت عن على جنبه . وانفصلت عن فسيح رحابه . وهذا
كتاب تكلمت فيه على أحوال الدول وأمور الملك وذكرت فيه ما استظرفته
من أحوال الملوك الفضلاء . واستقرت من سير الخلفاء والوزراء * وبنيت على
فصلين فالفصل الاول تكلمت فيه على الامور السلطانية والسياسات
الملكية وخواص الملك التي يتميز بها عن السوقه والتي تجب أن تكون
موجودة أو معدومة فيه وما تجب له على رعيته وما يجب لهم عليه ورصعت
الكلام فيه بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية والحكايات المستظرفة
والاشعار المستحسنه والفصل الثانى تكلمت فيه على دولة دولة من مشاهير
الدول التي كانت طاعتها عامة . ومحاسنها تامة . ابتدأت فيه بدولة الاربعة
أبى بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم على الترتيب الذى وقع ثم بالدولة
التي تسلمت الملك منها وهي الدولة الاموية ثم بالدولة التي تسلمت الملك منها
وهي الدولة العباسية ثم بالدول التي وقعت في اثناء الدول الكبار كدولة بنى
بويه وكدولة بنى ساجوق وكدولة الفاطميين بمصر على وجه الايجاز فانها
دول وقعت في اثناء دولة بنى العباس ولكنها لم تكن طاعتها عامة فأتكلم على
دولة دولة بمجموع ما حصل في ذهني من الهيئة الاجتماعية التي أفادتنيها مطالعة
السير والذوايح فأذكر كيف كان ابتداءها وانتهائها وظرفا ممتعا من محاسن
ملوكها وأخبار سلاطينها فان شئ من أحوالها عن ذهني واحتجت الى
اثباته من حكاية ظريفة أو بيت شعر نادر أو آية أو حديث نبوى أخذته من
مظانه ثم اذا ذكرت دولة فدولة تكلمت على كليات أمورها ثم ذكرت

واحدًا واحدًا من ملوكها وما جرى في أيامه من الوقائع المشهورة. والحوادث
المأثورة. فاذا انقضت أيام ذلك الملك ذكرت وزرائه واحدًا واحدًا
وظرائف ما جرى لهم فاذا انقضت أيام الملك ووزرائه ابتدأت بالملك الذي
بعده وبما جرى في أيامه وبسير وزرائه كذلك الى آخر الدولة العباسية.
* والتزمت فيه أمرين. أحدهما أن لا أمل فيه الا مع الحق ولا أنطق فيه الا
بالعدل وأن أعزل سلطان الهوى وأخرج من حكم المنشاء والمرباء وأفرض نفسى
غريباً منهم وأجنبياً بينهم. وثانيهما أن أعبّر عن المعاني بعبارات واضحة تقرب
من الافهام ليتفهم بها كل أحد عادلاً عن العبارات المستعصية التي يقصدها اظهار
الفصاحة وثبات البلاغة فطالما رأيت مصنفى الكتب قد اعترضتهم محبة اظهار
الفصاحة والبلاغة خفيت أغراضهم واعتاصت معانيهم فقلت القائدة بمصنفاتهم.
* من ذلك كتاب القانون في الطب لابى عليّ الحسين بن سينا البخارى فانه
حشاه بالعبارات الغامضة والتراكيب المستغلقة فبطل غرضه من الانتفاع
بكتابه ولذلك ترى عامة الاطباء قد عدلوا عن كتابه الى الملكى السهل العبارة.
المفهم الاشارة. وهذا كتاب يحتاج اليه من يسوس الجمهور. ويدبر الامور.
وان أنصفه الناس أخذوا أولادهم بتحفظه وتدبر معانيه بعد أن يتدبروه
فما الصغير بأحوج اليه من الكبير ولا الملك العام بالطاعة بأحوج اليه من
ملك مدينة ولا ذوو الملك بأحوج اليه من ذوى الأدب فان من ينصب
نفسه لمفاوضة الملوك ومجالستهم ومذاكرتهم يحتاج الى أكثر مما في هذا
الكتاب فعلى أقل الاقسام لا يسعه تركه * وهذا الكتاب إن نظر بعين
الانصاف رأت أنفع من الحماسة التي لهج الناس بها وأخذوا أولادهم بحفظها
فان الحماسة لا يستفاد منها أكثر من الترويح في الشجاعة والضيافة وشيء

يسير من الاخلاق في الباب المسمى بباب الأدب والتأنس بالمذاهب
الشعرية وهذا الكتاب يستفاد منه هذه الحصال المذكورة ويستفاد منه
قواعد السياسة . وأدوات الرئاسة . فهذا فيه ما في الحماسة وليس في الحماسة
ما فيه وانه ليفيد العقل قوة والذهن حدة والبصيرة نوراً وهو للخاطر الذكي
بمنزلة المسن الجيد للفولاذ* وهو أيضاً أنفع من المقامات التي الناس فيها
معتقدون وفي تحفظها راغبون إذ المقامات لا يستفاد منها سوى التمرن على
الانشاء والوقوف على مذاهب النظم والنثر نعم وفيها حكم وحيل وتجارب الا
ان ذلك مما يصغر الهمة اذ هو مبني على السؤال والاستجداء والتحيل
القيبح على تحصيل النزر الطفيف فان نفعت من جانب ضرت من جانب
وبعض الناس تنبهوا على هذا من المقامات الخيرية والبديعية* فعديل ناس
الى نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فانه
الكتاب الذي يتعلم منه الحكم والمواعظ والخطب والتوحيد والشجاعة
والزهد وعلو الهمة وأدنى فوائده الفصاحة والبلاغة* وعدل الناس الى اليمين
للعقبي وهو كتاب صنّته مؤلفه ليمين الدولة محمود بن سبكتكين يشتمل على
سير جماعة من الملوك بالبلاد الشرقية عبر فيه بعبارات حظها من الفصاحة
وافر . وصاحبها ان لم يكن ساحراً فهو كاتب ماهر . والعجم مشغوفون به
مجدون في طلبه وهو لعمري كتاب يشتمل على ظرائف حكم وبدائع سير مع
ما فيه من فنون البلاغة وأنواع الفصاحة ولعل قارئاً أن يقول لقد بالغ في
وصف كتابه . وحشا ما شاء في جرابه . والمرء مفتون بابنه وشعره فان
اعتراه ريب فليتأمل الكتب المصنفة في هذا الفن فله لا يرى فيها كتاباً
أجمع للمعنى الذي قصد به من هذا الكتاب* وهو اعز الله نصره . وسر

بدوام السعادة سره . قد اغناه الله بالذهن القاهر . والفضل الباهر . عن هذا الكتاب وعن أمثاله ولكن مهامه الشريفة ربما أضجرتة وأنسته فإذا روح فكره الشريف بالنظر فيه دفع به الملل . وتذكر به ما أنسته الاشغال . ومن أطف الله تعالى اسئل ان لا يخلى هذا الكتاب من فائدتين احدها تخصني وهي ان يقع عنده بموقع الاستصواب فأبرأ من عهدة الحجل والأخرى تخصه وهي أن لا يعدمه الانتفاع به في القول والعمل انه ولي كل نعمة ومسدي كل عارفة

❦ الفصل الاول ❦

(في الامور السلطانية . والسياسات الملكية)

أما الكلام على أصل الملك وحقيقته وانقسامه الى رئاسات دينية وديوية من خلافة وسلطنة وإمارة وولاية وما كان من ذلك على وجه الشرع وما لم يكن ومذاهب أصحاب الأراء في الامامة فليس هذا الكتاب موضوعاً للبحث عنه وإنما هو موضوع للسياسات والآداب التي ينفع بها في الحوادث الواقعة والوقائع الحادثة وفي سياسة الرعية وتحسين المملكة وفي اصلاح الاخلاق والسيرة * فأول ما يقال ان الملك الفاضل هو الذي اجتمعت فيه خصال وعدمت فيه خصال * فأما الخصال التي يستحب أن توجد فيه فهي العقل وهو أصلها وأفضلها وبه تساس الدول بل الملل وفي هذا الوصف كفاية * ومنها العدل وهو الذي تستغزر به الاموال . وتعمر به الاعمال . وتستصلح به الرجال

ولما فتح السلطان هولاء كوبرنداد في سنة ست وخمسين وستمائة أمر

أن يستفتى العلماء أيما أفضل السلطان الكافر العادل أو السلطان المسلم الجائر ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب وكان رضى الدين علي بن طائوس حاضراً هذا المجلس وكان مقدماً محترماً فلما رأى إحجامهم تناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر فوضع الناس خطوطهم بعده * ومنها العلم وهو ثمرة العقل وبه يستبصر الملك فيما يأتيه ويذرّه ويأمن الزلل في قضاياه وأحكامه وبه يترن الملك في عيون العامة والخاصة ويصير به معدوداً في خواص الملوك

قال بعض الحكماء الملك اذا كان خلواً من العلم كان كالقيل الهائج لا يمر بشيء الا خبطه ليس له زاجر من عقل ولا رادع من علم * واعلم انه ليس المراد بالعلم في الملوك هو تصور المسائل المشككة والتبحر في غوامض العلوم والاغراق في طلبها * قال معاوية ما أقبح بالملك أن يبالغ في تحصيل علم من العلوم * وانما المراد من العلم في الملك هو أن لا يكون له أنس بها الا بحيث يمكنه أن يفاوض اربابها فيها مفاوضة يندفع بها الحال الحاضر ولا ضرورة في ذلك الى التدقيق * كان مؤيد الدين محمد بن العلقمي وزير المستعصم وهو آخر وزراء الدولة العباسية يفاوض كل من يدخل عليه من العلماء مفاوضة عاقل لبيب محصل ولم يكن له بالعلوم ملكة ولا كان مرتاضاً بها رياضة طائلاً * كان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل لكثرة مجالسة الافاضل وخوضه في الاشعار والحكايات يستنبط المعاني الحسنة ويتنبه على النكت اللطيفة مع انه كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ * وكان عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري رضى الله عنه لمجالسة أهل الفضل وكثرة معاشرتهم له صار يتنبه على معان حسنة ويحل الألغاز المشككة أسرع منهم ولم يكن له حظ

من علم وما كان يظهر للناس الا انه رجل فاضل وخفي ذلك حتى على صاحب
علاء الدين فان ابن الكبوش الشاعر البصري عمل بيتين في صاحب
ونسبهما الى عبد العزيز وهما

{وافر}

عطا ملك عطاؤك ملك مصر وبعض عبيد دولتك العزيز
تجازي كل ذي ذنب بعفو ومثلك من يجازي أو يجيز
فأنشدهما عبد العزيز بحضرة صاحب وادعاهما وخفي الامر على
الصاحب وما أدري من أيهما أعجب أمن صاحب كهف خفي عنه حال
عبد العزيز مع انه السنين الطويلة يعاشره في سفر وحضر وجد وهزل أو من
عبد العزيز كيف رضى لنفسه مثل هذه الرذيلة وأقدم على مثل هذا مع
الصاحب وما خاف من تنبه صاحب واسترذاله لفعله* وتختلف علوم الملوك
باختلاف آرائهم فأما ملوك الفرس فكانت علومهم حكما ووصايا وآدابا وتواريخ
وهندسة وما أشبه ذلك وأما علوم ملوك الاسلام فكانت علوم اللسان كالنحو
واللغة والشعر والتواريخ حتى ان اللحن كان عندهم من أخش عيوب الملك
وكانت منزلة الانسان تعلق عندهم بالحكاية الواحدة وبالبيت الواحد من
الشعر بل باللفظة الواحدة من اللغة وأما في الدولة المغولية فرفضت تلك العلوم
كلها ونفقت فيها علوم آخر وهي علم السياقة والحساب لضبط المملكة وحصر
الدخل والخرج والطب لحفظ الابدان والامزجة والنجوم لاختيار الاوقات
وما عدا ذلك من العلوم والآداب فكاسد عندهم وما رأيت نافعا الا بالموصل
في أيام ملكها المشار اليه مد الله ظله ونشر فضله* ومنها الخوف من الله
تعالى وهذه الخصلة هي أصل كل خير ومفتاح كل بركة فان الملك متى خاف الله

أمنه عباد الله * روي أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام استدعى بصوته بعض عبيده فلم يجبه فدعاه مراراً فلم يجبه فدخل عليه رجل وقال يا أمير المؤمنين انه بالباب واقف وهو يسمع صوتك ولا يكلمك فلما حضر العبد عنده قال أما سمعت صوتي قال بلى قال فما منعك من اجابتي قال أمنت عقوبتك قال على عليه السلام الحمد لله الذي خلقني ممن يأمنه خلقه * وما أحسن قول أبي نواس لهرون الرشيد

{ كامل }

قد كنت خفتك ثم آمنتني من أن أخافك خوفك الها
ولم يكن الرشيد يخاف الله وأفعاله بأعيان آل على عم وه أولاد بنت نبيه
لغير جرم يدل على عدم خوفه من الله تعالى ولكن أبانواس جرى في قوله
على عادة الشعراء * ومنها العفو عن الذنوب وحسن الصفح عن الهفوات
وهذه أكبر خصال الخيرو بها تتمال القلوب وتصلح النيات فما جاء في التنزيل
من الحث على ذلك قوله تعالى شأنه . (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن
يعفو الله لكم) * وكان المأمون حليماً حسن الصفح معروفاً بذلك هجاء دعبل
الشاعر بأشعار كثيرة من جملتها

{ كامل }

أني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خمولة واستنقذك من الخضيض الاوهد
فلما بلغه هذا القول لم يزد على أن قال قاله الله ما أشد بهتانه متى كنت
خاملاً وفي حجر الخلافة نشأت وبدرها أرضعت ولما بلغه أن دعبلا قد هجاء
قال من أقدم على هجاء وزيرى أبي عباد كيف لا يقدم على هجائي * وهذا
الكلام ظاهره غير مستقيم وهو يحتاج الى تأويل فانه عكس المعهود قد كان
يأبى أن يقول الوزير من أقدم على هجاء الخليفة كيف لا يقدم هجائي ومعنى

قول المأمون أن من أقدم على هجاء أبي عباد مع حدته وهو وجه وتسرعه وكان أبو عباد كذلك كيف لا يقدم على في حلمي وصفحي * ولولا خوف الاطالة لذكرت جماعة من حلماء الملوك في هذا الموضع ولكن ليس هذا الفصل موضوعاً للسمر وسيرد من ذلك ما يمتنع إن شاء الله في الفصل الثاني * ومنهم من يري أن الحقد خصلة محموددة في الملك * قال بزرجهر يجب أن يكون الملك أحقد من جمل * وأنا أنظره في هذا القول فأقول كيف يقال كذلك والملك متى كان حقوداً فسدت نيته لرعيته فمقتهم وقلل الالتفات إليهم الشفقة عليهم ومتى أحسوا بذلك تغيرت نياتهم له وفسدت بواطنهم وهل يتمكن الملك مما يريد من مهمات مملكته وبلوغ أغراضه كما في نفسه إلا بصفاء قلوب رعيته * وأي حكمة في ذلك وهل فيه سوى تنقيص عيش الملك وتبغيض رعيته إليه وإيحاشهم منه قال شاعر العرب

{ طويل }

ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقد خصوصاً والناس مركبون على الخطأ محبوبون على تبشير الطباع فما أكثر ما تصدر منهم موجبات الحقد فلا يزال الملك طول دهره يعاني من الفيلط والحقد عليهم ما ينقص عليه لذته ويشغله عن كثير من مهمات مملكته وما أكثر ما رأينا الرعية أو الجند قد وثبوا على ملوكهم فسلبواهم رداء المملكة بل رداء الحياة فابتدى من عمر بن الخطاب وقد وثب عليه أبو لؤلؤة عبد المغيرة ابن شعبة فقتله * ثم ثن بثمان بن عفان رضى الله عنه وانظر كيف اجتمع عليه رعيته من كل جانب فحاصروه في داره أياماً ثم دخلوا عليه فقتلوه والمصحف في حجره حتى قطرت قطرات من دمه على المصحف * ثم ثلث بعلى بن

أبي طالب عليه السلام وقد ضربه عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله بسيفه على أم رأسه بالكوفة فقتله وكان ابن ملجم من الخوارج * هذا في الصدر الاول والناس ناس والدين دين ثم تنقل دولة فدولة وأياماً فأياماً الى أواسط دولة بني العباس فانظر منذ عهد المتوكل الى عهد المقتدي ماجرى على واحد واحد من الخلفاء من القتل والخلع والنهب بسبب تغير نيات جنده ورعيته فهذا سمل وذاك قتل والآ خر عزل ثم أسرح طرفك في الدولتين البويهية والسلجوقية ثم من هذا الباب عجباً ثم أرجع البصر الى أونكخان ملك الترك كيف لما تنكرت نيته على جنكزخان وحقد عليه أشياء عرضها عليه عنده حساده وأراد الواقعة به وأعلمه بذلك الصبيان فرحل من ليلته ثم حشد وجمع ووثب على أونكخان فقتله وملك ممالك فتعلم أن الحق قد من أضر الاشياء للملك وأن أوفق الاشياء له الصنفح والغزو والغفران والناسي وما أحسن قول القائل

{ منسرح }

اقبل من الناس ما تيسر ودع من الناس ما تعسر
فانما الناس من زجاج إن لم ترفق به تكسر

وقد مدح بعض الشعراء الحق ولم يسمع بمن مدح الحق غير هذا

{ طويل }

فقال

وما الحق إلا توأم الشكر في التقي وبعض السجايا يتسبن الى بعض
فحيث ترى حقداً على ذي إساءة فثم تري شكراً على سالف القرض
إذا الارض أدت ربيع ما أنت زارع من البذر فيها فهي ناهيك من ارض
وهذا قول لا يرج عليه وإن عرج عليه أحد فليعرج عليه غير الملك
فان الملك أحوج الخلق الى استصلاح النيات واستصفاء القلوب * ومن

الحُصَال التي يستحب أن تكون في الملك الكرم وهو الأصل في استمالة
القلوب وتحصيل النصائح من العالم واستخدام الأشراف قال الشاعر
{ متقارب }

إذا ملك لم يكن ذاهبه قدعه فدولته ذاهبه

ومما جاء في الحديث النبوي صلوات الله على صاحبه (تجاوزوا عن
ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلما عثر . وفتح عليه كلما افتقر) وقال عليّ
عليه السلام الجود حارس الاعراض * واعلم أنه لم يتضمن سيرة من حكايات
الجود مثل ما نقل عن قان العادل وهو أوكتاي بن جنكزخان فإنه غير في
وجوه جميع كرام الملوك (رجز)

مناقب تفتق مارقستم من جود كعب وسماح حاتم

ومن الاتفاقات الحسنة وجوده في عصر المستنصر بالله وكان المستنصر
أكرم من الريح ولكن أين يقع جوده من جود قان ومن أين للمستنصر
مال في بعطايا فان * ومنها الهيبة وبها يحفظ نظام المملكة ويحرس من اطماع
الرعية وقد كان الملوك يبالغون في اقامة الهيبة والناموس حتى بارتباط الأسود
والفيلة والتمور وبضرب البوقات الكبار كبوق النفير والذباب والقصع
ورفع السناجق وخفق الالوية على رؤسهم كل ذلك لاثبات الهيبة في صدور
الرعية ولاقامة ناموس المملكة * كان عضد الدولة اذا جلس على سريره
أحضرت الأسود والفيلة والتمور في السلاسل وجعلت في حواشي مجلسه
تهويلا بذلك على الناس وترويعاً لهم

ومنها السياسة وهي رأس مال الملك وعليها التعويل في حقن الدماء
وحفظ الاموال وتحصين الفروج ومنع الشرور وقمع الذعار والمنسدين والمنع

من التظالم المؤدى الى الفتنة والاضطراب

ومنها الوفاء بالعهد قال تعالى سلطانه (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً) وهو الأصل في تسكين القلوب وطمانينة النفوس ووثوق الرعية بالملك اذا طلب الامان منه خائف أو أراد المعاهدة منه معاهد * ومنها الاطلاع على غوامض أحوال المملكة ودقائق أمور الرعية ومجازات المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته * كان أردشير الملك يقول لمن شاء من أشرف رعيته وأوضاعهم كان البارحة من حالك كيت وكيت حتى صار يقال ان أردشير يأتيه ملك من السماء يخبره بالامور وما ذاك الا لتيقظه وتصفحه * فهذه عشر خصال من خصال الخير من كن فيه استحق الرئاسة الكبرى ولو نظر أصحاب الآراء والمذاهب حق النظر وتركوا الهوى لكانت هذه الشرائط هي المعتبرة في استحقاق الامامة وما عداها فغير طائل * وقال بزرجمهر ينبغي أن يكون الملك كالارض في كثبان سره وصبره وكائنات على أهل التساد وكلماء في لينه لمن لاينه وينبغي ان يكون أسمع من فرس وأبصر من عقاب وأهدى من قطاة وأشد حذراً من غراب وأعظم إقداماً من الأسد وأقوى وأسرع وثوباً من الفهد وينبغي للملك أن لا يستبد برأيه وأن يشاور في الملمات خواص الناس وعقلاءهم ومن يتفرس فيه الذكاء والعقل وجودة الرأي وصحة التمييز ومعرفة الامور ولا ينبغي أن يمنعه عزه الملك من إيناس المستشار به وبسطه واستماله قلبه حتى يحضه النصيحة فان أحداً لا ينصح بالقسر ولا يعطى نصيحته الا بالرغبة وما أحسن قول الشاعر في هذا المعنى

(طويل)

أهان وأقصى ثم يستنصحتي ومن ذا الذي يعطى نصيحته قسراً

قال الله تعالى (وشاورهم في الامر) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه دائماً * لما كانت وقعة بدر خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة في جماعة من المسلمين فلما وصلوا بدرًا نزلوا على غير ماء فقام اليه رجل من أصحابه وقال يا رسول الله نزولك هاهنا شيء أمرك الله به أو هو من عند نفسك قال بل هو من عند نفسي قال يا رسول الله ان الصواب ان ترحل وتنزل على الماء فيكون الماء عندنا فلا نخاف العطش واذا جاء المشركون لا يجدون ماء فيكون ذلك معينا لنا عليهم فقال رسول الله صدقت ثم أمر بالرحيل ونزل على الماء * واختلف المتكلمون في كون الله تعالى أمر رسوله بالاستشارة مع انه أيده ووفقه وفي ذلك أربعة وجوه . أحدها انه عليه السلام أمر بمشاورة الصحابة استمالة لقلوبهم وتطبيبا لنفوسهم . الثاني انه أمر بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيعمل عليه . الثالث انه أمر بمشاورتهم لما فيها من النفع والمصلحة . الرابع انه أمر بمشاورتهم ليقترن به الناس وهذا عندي أحسن الوجوه وأصلحها * قالوا الخطأ مع المشورة أصلح من الصواب مع الانفراد والاستبداد * وقال صاحب كلیلة ودمنة لا بد للملك من مستشار . أمون يفضي اليه بسره ويعاونه على رأيه فان المستشير وان كان أفضل من المستشار وأكمل عقلا وأصح رأيا فقد يزداد برأى المشير رأيا كما يزداد النار بالدهن ضواً ونورا . قال الشاعر

(طويل)

إذا أعوز الرأي المشورة فاستشر برأى نصيح أو مشورة حازم
واعلم أن للملك أموراً تخصه يتميز بها عن السوقة فمنها أنه إذا أحب شيئاً
أحبه الناس وإذا أبغض شيئاً أبغضه الناس وإذا لهج بشيء لهج به الناس إما

طبعاً أو تطبعاً ليقربوا بذلك الى قلبه ولذلك قيل الناس على دين ملوكهم .
 فانظر كيف كان زى الناس فى زمن الخلفاء فلما ملكت هذه الدولة أسبغ الله
 احسانها وأعلى شأنها غير الناس زيهم فى جميع الاشياء ودخلوا فى زى ملوكهم
 بالنطق واللباس والآلات والرسوم والآداب من غير أن يكلفوهم ذلك أو
 يأمرهم به أو ينهوهم عنه ولكنهم علموا أن زيهم الاول مستهجن فى نظره
 مناف لاختيارهم فتقربوا اليهم بزيههم وما زال الملوك فى كل زمان يختارون زياً
 وفناً فيميل الناس اليه ويلهجون به * وهذا من خواص الدولة وأسرار الملك
 ومن خواص الملك أن صحبته تورث التيه والكبر وتقوى القاب وتكبر
 النفس وليست صحبة غير الملك تفعل ذلك * ومن خواصه انه اذا أعرض
 عن انسان وجد ذلك الانسان فى نفسه ضعفاً وان لم ينله بمكروه واذا أقبل
 على انسان وجد ذلك الانسان فى نفسه قوة وان لم يصبه منه خير بل مجرد
 الاعراض والاقبال يفعل ذلك وليس أحد من الناس بهذه المنزلة غير السلطان
 وأما الخصال التي يستحب أن تكون معدومة فيه فقد ذكرها ابن
 المقفع فى كلام له قال ليس للملك أن يغضب لان القدرة من وراء حاجته
 وليس له أن يكذب لانه لا يقدر أحد على الزامه بغير ما يريد * وليس له أن
 يخجل لانه أقل الناس عذراً فى خوف الفقر * وليس له أن يكون حقوداً لان
 قدره قد عظم عن المجازاة لأحد على اساءة صدرت منه * وليس له أن يحلف
 اذا حدث لان الذى يحمل الانسان على اليمين فى حديثه خلال امامهانة
 يجدها فى نفسه واحتياج الى أن يصدقه الناس واماعى وحصر وعجز عن
 الكلام فيريد أن يجعل اليمين تمة لكلامه أو حشواً فيه واما أن يكون قد
 عرف أنه مشهور عند الناس بالكذب فهو يجعل نفسه بمنزلة من لا يصدق

ولا يقبل قوله الا باليمين وحيثئذ كلما ازداد ايمانا ازداد الناس له تكذيباً
والملك بمنزل عن هذه الدنيا كلها وقدره أكبر من ذلك . ومن الحاصل
التي يستحب أن تكون معدومة في الملك الحدّة فإنها ربما أصدرت عنه فعلا
يندم عليه حين لا ينفع الندم وأكثر ما ترى الحداد من الرجال سريعي
الرجوع ولذلك قال عليه الصلاة والسلام (خير أمتي حدادها)
ومن الحاصل التي يستحب عدمها في الملك الضجر والسأم والملل فذلك
من أضر الامور وأفسدها لحاله

واعلم ان للملك على رعيته حقوقاً وأن لهم عليه حقوقاً فأما الحقوق التي
تجب للملك على رعيته فمنها الطاعة وهي الاصل الذي ينتظم به صلاح أمور
الجمهور ويتمكن به الملك من الانصاف للضعيف من القويّ والقسمة بالحق
ومما جاء في التنزيل من الحث على ذلك وهي الآية المشهورة في هذا المعنى
قوله تعالى . (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر
منكم) ومن أمثالهم لا امرّة لمن لا يطاع . ولم ينقل في تاريخ ولا تضمنت
سيرة من السير أن دولة من الدول رزقت من طاعة جندها ورعاياها
ما رزقته هذه الدولة القاهرة المغولية فان طاعة جندها ورعاياها لها طاعة لم
ترزقها دولة من الدول

فأما الدولة الكسروية فإنها على عظمها ونفاحتها لم تبلغ ذلك وقد كان
النعمان بن المنذر ملك الحيرة نائباً لكسرى على العرب وبين الحيرة والمدائن
التي كانت سرير ملك الاكسرة فراسخ معدودة والنعمان في كل أيام قد عصا
على كسرى واذا حضر مجلسه تبسط وتجرأ على مجاوبته وكان متي أراد خلع
طاعته دخل البرية فأمن شره * وأما الدول الاسلامية فلا نسبة لها الى هذه

الدولة حتى تذكر معها فأما خلافة الاربعة الاول وهم أبو بكر الصديق
وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهم وعلى بن أبي طالب عليه السلام
فإنها كانت أشبه بالرتب الدينية من الرتب الدنيوية في جميع الاشياء كان
أحدهم يلبس الثوب من الكرباس الغليظ وفي رجله نعلان من ليف وحائل
سيفه ليف ويمشي في الاسواق كبعض الرعية وإذا كلم أدنى الرعية أسمعه
أغلظ من كلامه وكانوا يعدون هذا من الدين الذي بعث به النبي صلوات الله
عليه وسلامه . قيل إن عمر بن الخطاب جاءته برود من اليمن فقرقها على
المسلمين فحصل نصيب كل رجل من المسلمين برد واحد ثم حصل نصيب
عمر كنصيب واحد من المسلمين قيل فقضله عمر ثم لبسه وصعد المنبر فأمر
الناس بالجهاد فقام اليه رجل من المسلمين وقال لا سمعاً ولا طاعة قال لم ذلك
قال لانك استأثرت علينا قال عمر بأي شيء استأثرت قال ان الابرار اليمنية
لما فرقتها حصل لكل واحد من المسلمين برد منها وكذلك حصل لك
والبرد الواحد لا يكفيك ثوباً ونراك قد فصلته قيصاً تاماً وأنت رجل طويل
فلو لم تكن قد أخذت أكثر منه لما جاءك منه قيص فالتفت عمر الى ابنه
عبد الله وقال يا عبد الله أجبه عن كلامه فقام عبد الله بن عمر وقال ابن أمير
المؤمنين عمر لما أراد تفصيل برده لم يكفه فناولته من بردى ما تمه به فقال
الرجل أما الآن فالسمع والطاعة * وهذه السير ليست من طرز ملوك الدنيا
وهي بالنبوات والامور الاخرية أشبه * وأما خلافة بني أمية فكانت قد
عظمت وتفخم أمرها وعرضت مملكتها ولكن طاعتهم لم تكن كطاعة
هؤلاء كان بنو أمية في الشام وكان بنو هاشم بالمدينة لا يلتفتون اليهم وإذا
دخل الرجل الهاشمي على الخليفة من بني أمية أسمعه غليظ الكلام وقال له

كل قول صعب * وأما الدولة العباسية فلم تبلغ طاعة الناس لها ما بلغت هذه الدولة مع أن مدتها طالت حتى تجاوزت خمس مائة سنة ومملكتها عرضت حتى إن بعضهم جبي معظم الدنيا وسنقع الإشارة الى ذلك عند الكلام على دولة بني العباس وحاصل الدنيا في أيام الرشيد في حسبة جامعة تشتمل عليها كتب التواريخ يدل على ذلك * فأما أوائلهم فنجبوا شطرا صالحا من الدنيا وقويت شوكتهم كالمصور والمهدي والرشيد والمأمون والمعتصم والمعتز والمتوكل ومع ذلك فلم تكن دولتهم تخلو من ضعف ووهن من عدة جهات منها امتناع الروم عليهم وقيام الحرب بينهم وبين ملوكها النصارى في كل سنة على ساق ومع ذلك فكانت جبايتها تستصعب عليهم وملوكها لا يزالون على الامتناع منهم وقد كان من أمر المعتصم وعمورية ما بلغك ولعل طرفا منه يبلغك في هذا الكتاب عند الكلام في الدولة العباسية * ومن أسباب الوهن الواقع في دولتهم خروج الخوارج في كل وقت * فاما المنصور فلم يشرب ريقا حلوا من ذلك خرج عليه النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام بالحجاز فجرت بينه وبينه حروب أفضت الى ارسال عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الى الحجاز لمحاربة النفس الزكية فقتله بموضع قريب من المدينة يقال له أحجار الزيت وذلك في سنة كذا ولذلك سمي النفس الزكية قتيلا أحجار الزيت وخرج عليه أخو النفس الزكية وهو ابراهيم بن عبد الله بالبصرة فقتل المنصور لذلك غاية القلق وقام وقعد حتى توجه اليه عيسى بن موسى فقتله بقرية قريبة من الكوفة يقال لها باخرى فهو يعرف بقنيل باخرى رضى الله عنه ومن هاهنا حقد المنصور على العلويين وفعل بهم تلك الافاعي لعل طرفا منها يبلغك

في هذا الكتاب اذا انتهيت من الكلام على الدولة العباسية وكذلك جرى
أمر الخوارج مع خليفة خليفة حتي كان الرعية لا ينامون في بيوتهم آمنين
ولا يزالون يتوقعون الفتنه والحرب كما كان حال أهل قزوين في مجاورة قلاع
الملاحدة * حدثني الملك امام الدين يحيى بن الافتخاري رضي الله عنه قال
أذكر ونحن بقزوين اذا جاء الليل جعلنا جميع ما لنا من أثاث وقماش ورحل
في سرايب لنا في دورنا غامضة خفية ولا تترك على وجه الارض شيئاً خوفاً
من كبسات الملاحدة فاذا أصبحنا أخرجنا أمشتنا فاذا جاء الليل فعلنا كذلك
ولأجل ذلك كثر حمل القزاونة للسكاكين وكثر حملهم للسلاح وما زال
الملاحدة على ذلك حتي كان من أمر شمس الدين قاضي قزوين وتوجهه الى
قآن واحضار العسكر وتخريب قلاع الملاحدة ما كان وليس هذا الموضع
موضع استيفاء الكلام في هذا فانه اعترض وليس بمقصود * وكما جري
للموفق بن المتوكل في مرابطة الزنج أربع عشرة سنة ما زال يصابهم من
البصرة وواسط طول هذه المدة حتى افنأهم وكان لطول المدة قد ابتنى الزنج
هناك مداين ثم خربت وآثارها الآن باقية

وأما أواخرهم أعني أواخر خلفاء بني العباس فضعفوا غاية الضعف حتي
عصت تكريت عليهم وفي ذلك يقول شاعرهم

(كامل)

في العسكر المنصور نحن عصاة من دولة أخسس بنا من معشر
خذ عقلنا من عقدنا فيما ترى من خسة ورقاعة وتهور
تكريت تعجزنا ونحن بعقلنا نمضى لنأخذ ترمذاً من سنجر
وكانوا أعني المتأخرين من خلفاء بني العباس قد افنصروا في آخر الأمر
على مملكة العراق فحسب حتي إن إربل لم تكن في حكمهم وما زالت خارجة

عن حكمهم الى أن مات مظفر الدين بن زين الدين على كوجك صاحب
إربل وذلك في أيام المستنصر فعين على شرف الدين إقبال الشرابي وكان
مقدم الجيوش ليتوجه الى إربل ليفتحها وجهره بالعساكر فتوجه الشرابي
اليها وأقام عليها أياماً محاصراً ثم فتحها فضربت البشائر ببغداد يوم وصول
الطائر بفتحها فانظر الى دولة تضرب البشائر على أبواب صاحبها ويزين البلد
لاجل فتح قلعة إربل التي هي اليوم في هذه الدولة من أحقر الاعمال
وأصغرها وأهونها بلى قد كان ملوك الاطراف مثل ملوك الشام ومصر
وصاحب الموصل يحملون اليهم في كل سنة شيئاً على سبيل الهدية والمصانعة
ويطلبون منهم تقليداً بولاية بلادهم بحيث يتسلطون بذلك على رعيتهم
ويوجبون عليهم طاعتهم بذلك السبب ولعل الخلفاء قد كانوا يعوضون ملوك
الاطراف عن هداياهم بما يناسبها أو يفضل عنها كل ذلك لحفظ الناموس
الظاهر وليكون لهم في البلاد والاطراف السكّة والخطة حتى صار يضرب
مثلاً لمن له ظاهر الامر وليس له من باطنه شيء أن يقال قنع فلان من
الامر الفلاني بالسكّة والخطة يعني قنع منه بالاسم دون الحقيقة فهذه جمل
من أحوال الدولة العباسية * وأما الدولتان البويهية والسلجوقية فلم تعرض
مملكتهما مع قوة شوكة ملوكهما كعضد الدولة في بني بويه وطغرلبيك في
بني سلجوق ولم تتم طاعتها ولم يشمل ملكهما * وأما الدولة الخوارزمية
مع أن جريدة السلطان جلال الدين اشتملت على أربع مائة ألف مقاتل فلم
يعرض ملكها أيضاً ولا تجاوزت النواحي القريبة منها بلى جلال الدين غزا
أطراف الهند * ومن الحقوق الواجبة للملك على الرعية التظيم والتفخيم لشأنه
في الباطن والظاهر وتعويد النفس على ذلك ورباضتها به بحيث تصير ملكة

مستقرة وتربية الاولاد على ذلك ونأديهم به ليتربى هذا المعنى معهم
وهاهنا موضع حكاية وهي أن سلطان هذا العصر ثبت الله قواعد
دولته . وبسط في الخافقين ظل معدلته . لما ورد الى بغداد في سنة ثمان
وتسعين وستمائة دخل المستنصرية لمشاهدتها والتفرج فيها وكان قبل وروده
اليها قد زينت وجلس المدرسون على سددهم والفقهاء بين أيديهم وفي أيديهم
أجزاء القرآن وهم يقرؤون منها فاتفق أن الركاب السلطاني بدأ بالاجتياز على
طائفة الشافعية ومدرسها الشيخ جمال الدين عبد الله بن العاقولي وهو
رئيس الشافعية ببغداد فلما نظروا اليه قاموا قياماً فقال للمدرس المذكور كيف
جاز أن تقوموا الى وتر كوا كلام الله فأجاب المدرس بنجواب لم يقع بموقع
الاستصواب في الحضرة السلطانية أعلى الله في الدنيا كلمتها . وفي الآخرة
درجتها . ثم بعد ذلك حكى لي المدرس المذكور صورة السؤال والجواب
فأما السؤال فهو ما حكيتيه وأما جوابه فلم أضبطه وقلت له قد كان يمكن أن
يقال في جواب هذا السؤال ان تركنا للمصحف اذا كان في أيدينا واشتغلنا
بغيره لم يحرم علينا في شريعتنا ولا جعل علينا في ذلك حرج ثم إن هذا
المصحف الذي قد تركناه وقتنا بين يدي السلطان قد أمرنا فيه بتعظيم
سلاطيننا * ومن الحقوق الواجبة للملك على رعيته النصيحة فما جاء في الحديث
صلوات الله وسلامه على من نسب اليه قوله صلى الله عليه وسلم (الدين
النصيحة) قيل لمن يارسل الله قال (لله ورسوله ولجماعة المسلمين) * ومنها
ترك اغتيال الملك في ظهر الغيب قال صلى الله عليه وسلم (لا تسبوا الولاة
فإنهم ان أحسنوا كانوا لهم الاجر وعليكم الشكر وان أساءوا فعليهم الوزر
وعليكم الصبر) وانما هم نعمة ينتقم الله بها ممن يشاء فلا تستقبلوا نعمة الله بالحمية

والغضب واستقبلوها بالاستكانة والتضرع * وأما الحقوق الواجبة
للعامة على الملك فمنها حماية البيضة وسد الثغور وتحصين الاطراف وأمن
السواحل وقمع الدعار فهذه حقوق تلزم السلطان تجرى مجرى القروض الواجبة
وبهذه الأمور يجب طاعته على رعيته * وبخو من هذا احتج الخوارج
على أمير المؤمنين علي عليه السلام عقيب انقضاء حرب صفين قالوا له انت
فرطت في حفظ هذا الثغر يعني ثغر الشام بتحكيملك الحكيم فانت مخطيء
مفرط فليس لك علينا طاعة فان اعترفت بهذا الخطاء واستغفرت رجعنا الى
طاعتك وقالنا معك العدو فعرفهم عليه السلام انه غلب رأيه في قضية التحكيم
وان التحكيم لم يكن من رأيه فأصروا على قولهم ولم يقبلوا وناذبوه وقتلوه حتى
كانت الواقعة المشهورة بالنهروان * ومن الحقوق الواجبة للعامة على الملك الرفق
بهم والصبر على صадرات هفواتهم * قال صلوات الله عليه وسلامه (ما كان
الرفق في شيء الا زانه . ولا كان الخرق في شيء الا شانه) . وقد روى عنه
صلوات الله عليه وسلامه (من الرفق أشياء لا تليق الا بمنصب النبوة) * كان
صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر والشام كثير الرفق موصوفاً به
دخل مرة الى الحمام عقيب مرضة طويلة أضعفنه وانتهكت قوته فأدخل الحمام
وهو في غاية من الضعف فطالب من مملوك كان واقفاً على رأسه ماء حاراً
فأحضر له في طاسة ماء شديد الحرارة فلما قرب منه اضطربت يد المملوك
فوقعت الطاسة عليه فأحرق الماء جسده فلم يؤاخذ به ولا بكلام ثم طالب منه بعد
ذلك بساعة ماء بارداً فأحضر له في تلك الطاسة ماء شديد البرد فحين قرب
منه اتفق له ما اتفق في المرة الاولى من اضطراب يده ووقوع الطاسة عليه
بذلك الماء الشديد البرد فغشى عليه وكاد يموت فلما أفاق قال للمملوك إن

كنت تريد قتلى فعرفنى ولم يزد على هذه الكلمة رضى الله عنه * قيل تقدم رجل أبخر الى بعض الرؤساء يشاوره فقال له تنح عنى فقد آذيتنى قال الرجل لا كرامة ولا عزازة ما رأسناك ومنا بين يديك الا حتى تحمل منا ما هو أشد من هذا وتصبر منا على ما هو اعظم منه * ومما يجب للرعية على الملك ردع قويهم عن ضعيفهم وانصاف ذليلهم من عزيزهم واقامة الحدود فيهم واقرار حقوقهم مقارها واغاثة ملهوفهم وإجابة مستصرخهم والتسوية في حكمه بين الأبعد منهم والأقرب والأذل والأعز * قال عمر بن الخطاب لرجل انى لا أحبك قال فتقضى من حق شيئاً قال عمر لا قال الرجل فما يفرح بالحب بعد هذا الا النساء

ويجب للملك ان يعرف نعمة الله عليه بأن اصطفاه لهذه المرتبة العلية دون سائر الخلق وبأن جعله يفزع منه كل أحد ولم يجعله يفزع من أحد فلا يزال لها ذاكراً شاكراً فاما الذكر فلا مثال قوله تعالى (وأما بنعمة ربك خذث) وأما الشكر فاطلب المزيد لقوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) ويجب أن يكون بينه وبين ربه معاملة سرية لا يعلم بها الا الله فتلك المعاملة تقي مصارع السوء وهذه العبارة مقبولة عند جميع اصحاب المال وعند الحكماء ايضاً هي مقبولة ويمكن تأويلها على هذا المطلوب بحسب اعتقادهم ويجب أن يكون له دعوات ينجى بها ربه وهى دعوات تليق بالملوك لا تصلح للعوام ولا بأس أن أثبت في هذا الموضع فصلاً من الدعاء الملوك وهذا مما اقترحته أنا ولم اعلم ان احداً تنبه عليه * فصل من الدعاء مختصر * اللهم انى أبرأ اليك من حولى وقوتى وأجأ الى حولك وقوتك احمدك على ان اوجدتني من العدم . وفضلتني على كثير من الامم . وجعلت في يدي

زمام خلقك . واستخلفتني على ارضك * اللهم نخذ بيدي في المضايق .
واكشف لي وجوه الحقائق . ووقفني لما تحب . واعصمني من الزلل ولا
تسلب عني ستر إحسانك وقي مصارع السوء واكفني كيد الحساد .
وشماتة الاضداد . والطف بي في سائر متصرفاتي . واكفني من جميع جهاتي .
يا أرحم الراحمين * ويحسن بالملك الفاضل إكرام فضلاء رعيته واختصاصهم
بالبر قال بعض الحكماء لا يجوز ان يكون الفاضل من الرجال الا مع الملوك
مكرماً او مع النساء متبتلاً كالقيل لا يحسن ان يرى الا في موضعين اما في
البرية وحشياً واما للملوك مركباً كما قال الشاعر

(وافر)

كمثل القيل اما عند ملك وإما في مراعه منيعا

ومما يكره للملك مخالطة الاندال . والسوقة والجهال . فان سماع
الفاظهم الساقطة ومعانيهم المرذولة وعباراتهم الدنية مما يحط المهمة ويضع
المنزلة ويصدىء القلب ويؤذي بالملك ومخالطة الاشراف ومعاشرة أفاضل
الرجال مما يعلى المهمة ويذكرى القلب ويفتح الذهن ويسيطر اللسان * وذلك
قاعدة مطردة للملوك ما زالوا يدخلون اليهم عوام الرعية ويعاشرهم
ويستخدمونهم ولم يخل احد من الخلفاء من مثل هذا وكان لسان حالهم يقول
نحن نخفي الكبار كباراً فاذا اختصنا عامياً نوهنا بذكره وقدمناه حتى يصير
من الخواص كما اننا اذا أعرضنا عن احد من الخواص أذلناه حتى يصير من
اراذل العوام وكذلك هو فان هذه خاصية من خواص الملك وقد سبق
ذكرها وكل هذا مأخوذ من الخواص الالهية فان العناية الالهية اذا صدرت
ذرة منها الى النفوس صار ذلك الانسان نبياً أو إماماً أو ملكاً واذا صدرت
في حق الزمان صار ذلك اليوم يوم العيد الكبير و ليلة القدر و ايام الحج و ايام

المواسم والزيارات لسائر الامم واذا صدرت تلك الذرة في حق المكان صار بيت مكة والبيت المقدس والمشاهد والجوامع والزيارات والمتعبدات ومواضع التقربات

وهاهنا موضع حكاية كان بغدادا حمال يقال له عبد الغنى بن الدرنوس فتوصل في ايام المستنصر حتى صار براجا في بعض أبراج دار الخليفة فما زال يحسن التوصل الى ولد المستنصر وهو المستعصم آخر الخلفاء وكان في زمن ابيه محبوبا فما زال هذا البراج يتعهد بالخدمة طول مدة الايام المستنصرية الى ان توفي المستنصر وجلس على سرير الخلافة ولده أبو أحمد عبد الله المستعصم فعرف لهذا البراج حق الخدمة ورتبه متقدم البراجين وفي آخر الامر استحجبه في باطن داره واختصه وقدمه حتى بلغ الى انه صار اذا دخل الى الوزير ينهض له ويخلى المجلس من جميع الناس اذا كان ابن الدرنوس حاضرا وسبب اخلاء المجلس الوزيرى عند حضور ابن الدرنوس لأجل انه يمكن ان يكون قد جاء في مشافهة من عند الخليفة ولقب نجم الدين الخاص وصار من أخص الناس بالخليفة وبلغ من منزلته انه كان يتعصب اصحاب الديوان عند الخليفة وكان صاحب الديوان يعرض مطالعته ومهامه على يد نجم الدين الخاص وكان يمدد في كل سنة بمال طائل حتى يحفظ غيبه ويريه في الحضرة الخليفة

وجرى بيني وبين جمال الدين علي بن محمد الدستجرداني رحمه الله كلام في معنى هذا ابن الدرنوس فصوبت أنا رأى المستعصم في الاحسان اليه وقلت انه خدمه وأثبت عليه حقاً وقد كافاه فلا عيب في هذا وقال جمال الدين رحمه الله ما معناه ان تسليطه لثل ذلك الأحمق على أعراض الناس

وأموالهم وادخاله في المملكة حتى كاد ان يولى الوزراء ويعزلهم قبيح من المستصم دليل على جهله والا فان كان مراده الاحسان اليه مكافأة له على سابق خدمته قد كان يجب ان يكون ذلك بمال يعطاه او برفع منزلة لا يختل بسببها أمر في المملكة ولا يتطرق بها قدح في عقل الخليفة وكان نظر جمال الدين في هذا المعنى ادق من نظري والحق في جانبه رحمه الله وكانت هذه المفاوضة بيني وبينه في كتاب كتبه اليه اقتضى الحال فيه ذكر هذه القضية وكتب هو الجواب عنه وأعاد كتابي الى لاني التمسث منه اعادة كتابي والكتابان هما في هذا التاريخ عندي بخطي وخطه رحمه الله * ومما يليق بالملك الفاضل ويكمل فضله ان يكون على الهمة رحيب الصدر محبا للرئاسة معداً لها أسبابها طامح البصر اليها معملاً فكره في توسيع مملكته وعلو درجته غير مخلد الى النعم ولا جانح الى الترف ولا منهمك في اللذات * قال بعض حكماء الفرس هم الناس صفار . وهم الملوك كبار . وألباب الملوك مشغولة بكل شيء عظيم وألباب السوق مشغولة بأيسر الاشياء وليعلم الملك ان الرئاسة عروس مهورها الانفس * نظر معاوية الى عسكر امير المؤمنين علي عليه السلام في صفين فالتفت الي عمرو بن العاص وقال من يطاب عظيمًا يخاطر بعظيم وان نظرت فيما احاول فاذا الموت في طلب العز احسن عاقبة من الحيوية مع الذل قال بعض الشعراء

(طويل)

هي النفس ان ماتت فقد مات قبلها كرام وان تسلم فللحدثان
اذا النفس لم تشره الى طلب العلى فتلك من الاموات في الحيوان
ومن الغاية في هذا المعنى قول امرئ القيس

(طويل)

ولو ان ما اسعى لادني معيشة كنفاني ولم اطلب قليل من المال

وامكننا أسعي لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل امثالى
ومما يكمل فضيلة الملك ان تكون قوة الاختيار عنده سليمة لم تعترضها
آفة فيكون يختار الرجال اختياراً فاضلاً * كان الناصر آية الدنيا في اختيار الرجال
فكان من توصلاته الى معرفة الرجل ان اشكل عليه حاله ان يشيع بين الناس
انه يريد ان يوليه المنصب الفلانى ثم يتمادي في ابرام ذلك أياماً فيمئلى البلد
بالاراجيف لذلك الرجل فيفترق فيه الناس فقوم يصوبون ذلك الرأى ويصفون
فضائل الرجل وقوم يغالطون الخليفة ويذكرون عيوب الرجل وللخليفة عيون
وأصحاب أخبار لا يؤبه لهم يخالطون أصناف الناس فيكتب أصحاب الأخبار
اليه بما الناس فيه من الغليات في ذاك فيعرف بصحة نظره وتميزه أى
القولين أرجح وأصوب فان رجح في نظره تفضيل الرجل ولآه وخلع عليه
وإن ترجح عنده قول الطاعنين عليه وتبين له نقصه تركه وأعرض عنه * وفي
الجملة حسن الاختيار أصل عظيم قال الشاعر

(بسيط)

من كان راعيه ذنباً في حلوبته فهو الذى نفسه في أمره ظالما
يرجو كذايته والغدر عادته ومن يرد خلناً يستشعر الندما

ومما يكره للملوك المبالغة في الميل الى النساء والانهماك في محبتهم
وقطع الزمان بالخلوة معهن فأما مشاورتهن في الأمور فجلبة للعجز ومدعاة
الى الفساد ومنبهة على ضعف الرأى اللهم إلا أن تكون مشاورتهن يراد بها
مخالفتهم كما قال عليه السلام (شاوروهون وخالفوهون) وفي هذا الحديث
سؤال وجواب إن قال قائل اذا كان المراد مخالفتهم في آرائهم فأي فائدة
في الامر بمشاورتهن وقد كان يكفى في هذا أن يقال خالفوهون فيما يشرن به
فالجواب من وجهين أحدهما أن الامر الاول للاباحة والامر الثاني للوجوب

يعني اذا شاورتموهن فخالقوهن والآخر أن الصواب لا يزال في خلاف
أرائهن فاذا أشكل عليكم الصواب فشاوروهن فاذا ملن الى شيء فاعملوا أن
الصواب في خلافه وفي هذا تظهر فائدة الأمر بمشاورة من يعني بها يستدل
على الصواب * وحدث ان عضد الدولة فناخسرو بن بويه شفعته امرأة من
جواريه حباً وغلبت عليه فاشتغل بها عن تدبير المملكة حتى ظهر الخلل في
مملكته فخلا به وزيره وقال له أيها الملك إن هذه الجارية قد شغلتك عن
مصالح دولتك حتى لقد تطرق النقص عليها من عدة جهات وماسبب
ذلك إلا اشتغالك عن اصلاح دولتك بهذه الأمة والصواب أن تتركها
وتلنفت الى اصلاح ما قد فسد من مملكك قال فبعد أيام جلس عضد الدولة
على مشرف له على دجلة ثم استدعى الجارية فحضرت فشاغلها ساعة حتى
غفلت عن نفسها ثم دفعها الى دجلة ففرقت وتفرغ خاطره من حبها واشتغل
باصلاح أمور دولته فاستعظم الناس هذا الفعل من عضد الدولة ونسبوه فيه
الى قوة النفس حين قويت نفسه على قتل محبوبه * وأنا أستدل بهذا الفعل
على ضعف نفس عضد الدولة لا على قوتها فانه لو لم يحس من نفسه بالانفعال
العظيم لحبها لما توصل الى عدمها ولو تركها حية ثم أعرض عنها لكان ذلك
هو الدليل على قوة نفسه * ولكل صنف من الرعية صنف من السياسة
فالافاضل يساسون بمكارم الاخلاق والارشاد اللطيف والايواساط يساسون
بالرغبة الممزوجة بالرهبة والعوام يساسون بالرهبة والزمهم الجدد المستقيم
وقسروهم على الحق الصريح * واعلم أن الملك لرعيته كالطبيب للمريض إن كان
مزاجه لطيفاً لطف له التدبير ودس له الأدوية المكروهة في الاشياء الطيبة
وتحيل عليه بكل ممكن حتى يبلغ غرضه من برئه وإن كان مزاجه غليظاً عاجله

بحر العلاج وصريحه وشديده ولذلك لا ينبغي للملك أن يتهدد من يكفي في
 تأديبه الاعراض والتقطيب وكذلك لا ينبغي أن يحبس من يكفي في تأديبه
 التهديد كما أنه لا ينبغي أن يضرب من يكفي في تأديبه الحبس ولا أن يقتل
 بالسيف من يكفي في تأديبه ضرب العصا * وتميز هذه الحالات بعضها من
 بعض أعني معرفة المزاج الذي يكفي فيه التهديد ولا يحتاج الى الحبس أو يكفي
 فيه الحبس ولا يحتاج الى الضرب يحتاج الى لطف حدس وصحة تمييز وصفاء
 خاطر ويقظة تامة وفطانة كاملة فما أشد ما تشبه الاخلاق وتلبس الامزجة
 والطباع * ويجب على الملك أن ينظر في أمر القتل وازهاق النفس فيعلم أنه
 الحادث الذي لا حياة للحيوان بعده في الدنيا وأنه لو اجتهد أهل الارض
 كلهم على اعادته الى الحياة لم يقدروا على ذلك وبحسب هذا الحال يجب أن
 يكون تثبته في ازهاق النفس وهدم الصورة وتأنيه وترويه حتى تقوم الادلة
 على وجوب القتل فاذا وجب استعمله على الوضع المعهود من غير تألق فيه
 وتنوع غريب وتمثيل بالمقتول * ورد عن سيد البشر صلوات الله عليه
 وسلامه (اياكم والمثلة ولو بالكاب العقور) * ولما ضرب ابن ملجم لعنه الله
 على بن أبي طالب عليه السلام بالسيف قبض ابن ملجم وحبس حتى ينظر
 ما يكون من أمر على عليه السلام فجمع على ولده وخاصته وقال يا بني عبد
 المطالب لا تجتمعوا من كل صوب تقولون قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين
 لا تمثلوا بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهي عن المثلة ولو
 بالكاب العقور وانظروا اذا أنا مت من ضربتي هذه فاضربوا الرجل ضربة بضربة
 ومن فوائد التأني والتثبت في القتل الأمن من الندم حين لا يجدي
 الندم * كان أفاضل الملوك والخلفاء يستعملون هذه الحصلة كثيراً فلا

يسرعون الى قتل رجل معروف مشهور خوفاً أن يحتاجوا اليه بعد ذلك
فيتعذر عليهم بل كانوا يحبسونه في غوامض دورهم و يقيمون له كل ما يحتاج
اليه من أطعمة شهية وفواكه وثلج وأشربة وفرش وثير ويحملون اليه كنباً
يلهو بها ويقطعون خبره عن الناس حتى يثبت في نفوس أهله وأصحابه أنه
قد هلك ثم يستصني أمواله وأموال أصحابه ويستخرج ذخائره وودائعهم ويصير
في عداد الموتى فلا يزال كذلك حتى تدعوه الحاجة اليه فيخرجونه مكرماً
وقد تأدب وتهذب { منسرح }

من لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار

وها هنا مزلة ربما وقع فيها أفاضل الملوك وهي ان بعض الملوك ربما
كان معجباً بنفسه محباً لان ينتشر عنه حديث صرامة وشهامة وسياسة
قاهرة فيستعين بالقتل ويسهل أمره ويبادر اليه وغرضه اثبات الهيبة وإقامة
السياسة من غير التفات الى ما في طي ذلك من ازهاق النفس التي حرمت
الا بالحق وهذا من أخطر الأمور على الملك والصواب أن لا يزال في نفسه
كارهاً للقتل صادفاً عنه مهما أمكن حتى تدعوا اليه ضرورة ليس فيها حيلة
حينئذ يقدم عليه بنفس قوية وجنان ثابت فان قتل واحد أصلح من تركه
حتى يحتاج الى قتل خمسة وقتل خمسة خير من تركهم حتى يدب فسادهم
حتى تبلغ الحاجة الى قتل مائة ومن أجل ذلك قال الله تعالى (ولكم في
القصاص حياة) وقيل * القتل أبقى للقتل * وقال الشاعر (طويل)
بسفك الدما يا جارتى تحقن الدما وبالقتل تنجو كل نفس من القتل
وقال المتنبي (كامل)

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراقب على جوانبه الدم

أوصى بعض الحكماء بعض الملوك قال أيها الملك انما هو سيفك
ودرهمك فازرع بهذا من شكرك واحصد بهذا من كفرك * جاء رجل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله انى زينت تخذ الحد منى
فأعرض عنه رسول الله والتفت الى يمينه فدار الرجل حتى حاذاه وأعاد القول
فأعرض عليه السلام عنه مرة أخرى فعاود القول والتمس أخذ الحد منه
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم إزهاق نفسه فقال له كمن يعلمه لا تكون
قد قبلت أو عانت أو ألمت ولم تفعل قال لا يا رسول الله ولكن زينت
فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل الرجل وأصحابه كمن يعلمهم
أيضاً الا عندار عنه وقال كأنه متغير في عقله قالوا لا يا رسول الله ما نعرفه الا
عاقلاً فخذلتم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم حيلة فأمر باستيفاء الحد منه *
والمطامير الغامضة التخليد فيها يقوم مقام القتل مع الأمن من الندم المخشي
فيه * وأما أصناف العقوبات فيجب على الملك الكامل أن ينم النظر فيها ايضاً
فكم من عقوبة قد أتت على مهجة المعاقب من غير ان يراد إزهاق نفسه *
وأصعب ما فيها للتعذيب بالنار وهي عقوبة غير مباركة لان العقوبة بالنار
مختصة بالله عز وجل فلا يجوز للعبد ان يشاركه فيها * والنظر في اصناف
العقوبات موكل الى نظر الملك الفاضل ويحسب ما يقتضيه الحال الحاضر
ولكن الاصل الكلي فيه ان يكون الملك في نفسه كارهاً لذلك غير متحل
به لا يبادر اليه ولا يقدم عليه الا اذا دعت اليه ضرورة ماسة لا يقضى فيها
حق نفسه ولا يشفي بها غيظ صدره وهذا مقام صعب لا يرتقى اليه أحد
الا من أخذ التوفيق بيده * قيل ان علياً عليه السلام صرع في بعض حروبه
رجلاً ثم قعد على صدره ليحتز رأسه فبصق ذلك الرجل في وجهه فقام علي

عليه السلام وتركه فلما سئل عن سبب قيامه وتركه قتل الرجل بعد التمكن
منه قال انه لما بصق في وجهي اغضت منه نخفت ان قتلته ان يكون
للغضب والفيظ نصيب في قتله وما كنت أحب أن اقتله الا خالصاً لوجه
الله تعالى * قال ابرويز الملوك يشتمون بالافعال لا بالاقوال ويسفهون بالايدي
لا بالألسن وقد نظم هذا المعنى شاعر العرب فقال

(طويل)

وتجهل أيدينا ويحلم رأينا ونشتم بالافعال لا بالتكلم

ومما يكره للملك الانهماك في اللذات وسماع الاغاني وقطع الزمان

بذلك قال الشاعر أبو الفتح البستي

(بسيط)

إذا غدا ملك باللهو مشغفلاً فاحكم على ملكه بالويل والحرب

أما ترى الشمس في الميزان هابطة لما غدا وهو برج اللهو والطرب

وما دخل الخذلان على ملك من طريق اللهو واللعب كما دخل على

جلال الدين بن خوارزمشاه فانه لما هرب من المغول تبعوه فكان اذا رحل

عن بلدة نزلوها بعده واذا أصبح في مكان أمسوا هم في المكان يريدون

قصده وهو مع ذلك مواصل لشرب الخمر عاكف على الدف والزمير لا ينام

الا سكران ولا يصبح الا نخموراً نشوان وعسكره في كل يوم يقل وامره في

كل يوم يزيد اضطراباً ورأيه في كل لحظة يقيقل وحده يقل وهو لا يشعر

بذلك ولا يلتفت اليه حتى قال شاعره يخاطبه

(دوبيت)

شاه زمی کران جه برخواهد خاست

وزمستی هر زمان جه برخواهد خاست

شه مست و جهان خراب و دشمن پس و پیش

پداست که ازین میان جه برخواهد خاست

وممن دخل النقص عليه من الملوك بسبب اللهو واللعب محمد بن زبيدة
 الأمين كان كثير اللهو واللعب منهم كما في اللذات قيل انه لعب يوماً هو
 ووزيره الفضل بن الربيع بالترد فتراهما في خاتميها فغلب الأمين فأخذ الخاتم
 وأرسل في الحال وأحضر صائناً وكان على خاتمه مكتوب الفضل بن الربيع
 فقال للصائغ اكتب تحته ينكح فنقش الصائغ ذلك في الحال ثم أعاد الخاتم
 الى الفضل بن الربيع وهو لا يعلم ما نقش عليه ثم مضت على ذلك مدة فبعد
 أيام دخل الفضل بن الربيع عليه فقال له ما على خاتمك مكتوب قال اسمي
 واسم ابني فنأوله الأمين ثم قال له ما هذا المكتوب تحت اسمك فلما قرأه
 الفضل بن الربيع فهم القضية وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
 هذا والله هو الخذلان المبين انا وزيرك ولي اليوم كذا وكذا يوماً أختتم
 الكتب بهذا الى الاطراف وهو على هذه الصفة هذا والله آخر الدولة
 ودمارها والله لا أفلحت ولا أفلحنا معك فكانت الفتنة بعد ذلك يسير * وكان
 المستعصم آخر الخلفاء شديد الكلف باللهو واللعب وسمع الأغاني لا يكاد
 مجلسه يخلو من ذلك ساعة واحدة وكان ندماءه وحاشيته جميعهم منهمكين
 معه على التمتع واللذات لا يراعون له صلاحاً وفي بعض الأمثال الخائن لا يسمع
 صياحاً وكتبت له الرقاع من العوام وفيها أنواع التحذير والقيت وفيها الاشعار
 في أبواب دار الخلافة فمن ذلك

(مجتث)

قل للخليفة مهلاً	أناك ما لا تحب
ها قد دهتك فنون	من المصائب غرب
فانهض بعزم والا	غشاك ويل وحرب
كسروهتك وأسر	ضرب ونهب وسلب

وفي ذلك يقول بعض شعراء الدولة المستعصمية من قصيدة أولها

(بسيط)

ياسائلي ولحض الحق يرتاد أصح فعندي نشدان وانشاد
واضيعة الناس والدين الخفيف وما تلقاه من حادثات الدهر بغداد
هتك وقتل وأحداث يشيف بها رأس الوليد وتعذيب وأصفاد
كل ذلك وهو عاكف على سماع الأغاني واستماع المثلث المثاني ومملكه
قد أصبح وهي المباني * ومما اشتهر عنه أنه كتب الى بدر الدين لؤلؤ صاحب
الموصل يطلب منه جماعة من ذوى الطرب وفي تلك الحال وصل رسول
السلطان هو لاكو اليه يطلب منه منجنقات وآلات الحصار فقال بدر الدين
انظروا الى المطلوبين وابكوا على الاسلام وأهله : وبلغنى أن الوزير مؤيد
الدين محمد بن العلقمي كان في أواخر الدولة المستعصمية ينشد دائما

(خفيف)

كيف يرجى الصلاح من أمر قوم ضيعوا الحزم فيه أى ضياع
قطاع وليس فيه سداد وسديد المقال غير مطاع
قالوا ولا ينبغي للرجل الكامل إلا أن يكون في الغاية القصوى من
طلب الرئاسة أو في الغاية القصوى من تركها (وافر)

إذا ما لم تكن ملكا مطاعا فكن عبدا لخالفه مطيعا
وان لم تملك الدنيا جميعا كما تهواه فاتركها جميعا
وها هنا موضع حكاية تشتمل على أدوات الرئاسة * قيل ورد أبو طالب
الجراحي السكاتب ولم يكن في عصره أكتب ولا أفضل منه الى الرى قاصدا
حضرة ابن العميد فلم يجد عنده قبولا ولا رأى عنده ما يجب فقارقه وقصد

أذريجان وسار الى ملكها وكان فاضلا ليبياً فلما اختبره وعرف فضله سأله المقام
عنده وأفضل عليه فأقام لديه على أفضل حال فكتب الى ابن العميد يوبخه علي
جهل حقه وتضييعه لمثله فمن جملة الكتاب حدثني بأى شئ تحتاج اذا قيل لك
لم سميت الرئيس واذا قيل لك ما الرئاسة أتدرى ما الرئاسة الرئاسة أن يكون
باب الرئيس مصوناً في وقت الصون ومفتوحاً في وقت الفتح وأن يكون
مجلسه عامراً بأفاضل الناس وخيره واصلاً الى كل احد وإحسانه فائضاً ووجهه
مبسوطاً وخادمه مؤدباً وحاجبه كريماً طلقاً وبوابه لطيفاً ودرهمه مبدولاً
وطعامه مأكولاً وجاهه معرضاً وتذكرته مسودة بالصلوات والجوائز
والصدقات وأنت فبايك لا يزال مقعلاً ومجلسك خالياً وخيرك مقنوطاً منه
وإحسانك غير مرجو وخادمك مذموم وحاجبك هراس وبوابك شرس
الاخلاق ودرهمك في اليوق وتذكرتك محشوة بالقبض على فلان
واستئصال فلان ونفى فلان فبالله عليك هل عندك غير هذا ولولا أن اكون
قد دست بساطك وأكلت من طعامك لأشعت هذه الرقعة واسكنى أرعى
لك حق ما ذكرت فلا يعلم بها الا الله وأنت ووالله ثم والله ثم والله ما لها
عندى نسخة ولا رأها مخلوق غيرى ولا علم بها فأبطلها أنت اذا وقفت عليها
وأعدمها (والسلام على من اتبع الهدى) ويجب ان يكون الملك مجازياً على
الاحسان بمثله وعلى الاساءة بمثلها لتكون رعيته دائماً راحين لبره خائفين
من سطوته وما احسن قول النابذة للنعمان بن المنذر في هذا الباب وهو

(بسيط)

ومن اطاعك فانفعه بطاعته كما اطاعك وادله على الرشد
ومن عصاك فاقبه معاقبة تنهي الظلوم ولا تقعد على ضمد

وقالت الفرس فساد المملكة واستجراء الرعية وخراب البلاد بإبطال الوعد والوعيد ولا يليق بالملك الفاضل أن يكون افتخاره بزخارف الملك مما حوته يده واشتملت عليه خزائنه من نفائس الذخائر وطرائف المقنيات فان تلك ترهات لاحقائق لها ولا معرج لفاضل عليها * وكذلك لا ينبغي له أن يكون فخره بالآباء والأجداد وانما ينبغي أن يكون فخره بالفضائل التي حصلها . والأخلاق التي كملها . والآداب التي استفادها . والأدوات التي استجادها

افتخر بعض الأغنياء عند بعض الحكماء بالآباء والأجداد بزخارف المال المستفاد فقال له ذلك الحكيم ان كان في هذه الاشياء فخر فينبغي أن يكون الفخر لها لالك وان كان آباؤك كما ذكرت أشرافا فالفخر لهم لا لك * قال العسجدي كان بعض الحكماء اذا وصف عنده انسان يقول هو عصامي أم عظامي فان قيل له هو عصامي نبيل في عينه وان قيل هو عظامي لم يكثر به وقوله عصامي إشارة الى قول القائل

(رجز)

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما

وصيرته ملكا هاما

يعنى أنه بعقله وبفكره صار رئيساً وقوله عظامي يعنى أنه يفخر بالآباء والأجداد والظام النخرة * قال العسجدي لبعض أصحاب ابن العميد ذى الكفائتين كيف رأيت الوزير فقال رأيته يابس العود . ذميم العهد . سيئ الظن بالمعبود . فقال العسجدي أما رأيت تلك الأبهة والصيت والموكب والنجمل الظاهر والدار الجليلة والفرش السني والحاشية الجميلة فقال ذلك الرجل الدولة غير السوداء والسلطنة غير الكرم والحظ غير المجد أين الزوار

والمتشجعون وأين الآملون والشاكرون وأين الواصفون الصادقون وأين
المنصرفون الراضون وأين الهبات وأين الفضلات وأين الخلع والتشريفات
وأين الهدايا وأين الضيافات هيئات هيئات لا تجيء الرئاسة بالترهات ولا
يحصل الشرف بالخزعبلات اما سمعت قول الشاعر (منقارب)

أبا جعفر ليس فضل الفتى إذا راح في فرط إعجابه
ولا في فراهة برذونه ولا في ملاحاة أثوابه
ولكنه في الفعال الجميل والكرم الأشرف النابه

ولمؤلف هذا الكتاب أصلح الله شأنه . وصانه عما شأنه . في هذا

(خفيف)

المعنى

ليس فضل الفتى على الناس في ثوب دار وبغلة وجام
انما الفضل في تفقد جار ونسيب وصاحب و غلام

قالوا السياسات خمسة انواع سياسة المنزل والقرية والمدينة والجيش
والملك فمن حسنت سياسته في منزله حسنت سياسته في قريته ومن
حسنت سياسته في قريته حسنت سياسته في مدينته ومن حسنت سياسته
في مدينته حسنت سياسته للجيش ومن حسنت سياسته للجيش حسنت
سياسته للملك * وأنا لا أرى هذا لازماً فكم من عامي حسن السياسة لمنزله
ليس له قوة سياسة الأمور الكبار وكم من ملك حسن السياسة لمملكته
ليس يحسن سياسة منزله * والمملكة تحرس بالسيف وتدبر بالقلم واختلفوا
في السيف والقلم ايهما افضل وأولى بالتقديم فقوم يرون ان يكون القلم غالباً
للسيف واحتجوا على مذهبه بأن السيف يحفظ القلم فهو يجري معه مجرى
الحارس والخادم وقوم يرون ان يكون السيف هو الغالب واحتجوا بأن القلم

يخدم السيف لانه يحصل لأصحاب السيوف ارزاقهم فهو كالخادم له * وقوم
قالوا هما سواء ولا غني لأحدهما عن الآخر * قالوا الملكة تخصب بالسقاء
وتعمر بالعدل وتثبت بالعقل وتحرس بالشجاعة وتساس بالرئاسة * وقالوا
الشجاعة لصاحب الدولة * ومن وصايا الحكماء اجعل قتال عدوك آخر
حيلتك واتهز الفرصة وقت امكانها وكل الأمور الى اكفائها ومن ركب
ظهر العجلة لم يأمن الكبوة ومن عادى من لا طاقة له به فالرأى له مداراته
وملاطفته والتضرع اليه حتى يخلص من شره ببعض وجوه الخلاص * قالوا
وينبئ للملك ملاطفة اعدائه واخوان اعدائه فبدوام الاحسان اليهم تزول
عداوتهم وان أصروا على عداوته بعد احسانه كانوا قد بغوا عليه ومن بني
عليه لينصرنه الله * وعظ بعض الحكماء بعض افاضل الملوك فقال

الدنيا دول فما كان فيها لك أهلك على ضعفك وما كان فيها عليك لم
تدفعه بقوتك والشر مخوف ولا يخافه الا العاقل والخير مرجو يطلبه كل
أحد وطالما نأتى الخير من ناحية الشر ونأتى الشر من جهة الخير وهذا مأخوذ
من قوله عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا
شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) * وهاهنا موضع حكاية *
تقدم نور الدين صاحب الشام الى أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين يوسف
ابن أيوب بالتوجه الى مصر لأمر ندبه اليه فقال أسد الدين شيركوه يا مولانا
ما أتمكن من هذا دون أن يجيء صحتي يوسف بن أخي يعنى صلاح الدين
قال فتقدم نور الدين الى صلاح الدين بالتوجه صحبة عمه أسد الدين شيركوه
فاستغفاه صلاح الدين من التوجه وقال ليس لى استعداد فتقدم نور الدين
بازاحة علاه وجزم عليه في التوجه فال صلاح الدين فخرجت مع عمى كارها

وأنا كمن يقاد الى المذبح فلما وصلنا مصر وأقمنا بها مدة كان منى ما كان من
تملك مصر ثم ملكها صلاح الدين وعرضت مملكته وتملك الشام بعدها
وسياتيك نبأ هذا مفصلاً مشروحاً عند الكلام على الدولة الصلاحية إن شاء
الله تعالى ووفق * قالوا العدو عدوان عدو ظلمك وعدو ظلمته فأما العدو
الذي ظلمته فلا تثق اليه واحترز منه مهما أمكنك وأما العدو الذي ظلمك
فلا تخفه كل الخوف فإنه ربما استحيى من ظلمك وندم فرجع لك الى
ما تحب منه وان أصر على ظلمك انتصف لك منه من اليه يلجأ المظلومون

وربما نفع العدو وضر الصديق * قال الاسكندر انتفعت بأعدائي
أكثر مما انتفعت بأصدقائي لان أعدائي كانوا يعيرونى ويكشفون لى عيوبى
وينبهونى بذلك على الخطأ فأسندركه وكان أصدقائى يزبنون لى الخطأ ويشجعونى
عليه * وقال الشاعر

(طويل)

وما ساءنى الا الذين عرفتهم جزى الله خيراً كل من لست أعرف
وقيل الاسكندر بم نلت هذه المملكة العظيمة على حداثة السن قال
باستمالة الاعداء وتصييرهم بالبر والاحسان أصدقاء وتعاهد الاصدقاء بأعظم
الاحسان وأبلغ الأكرام * قال بعض الحكماء لا يرد بأس العدو القاهر مثل
التذل والخضوع كما أن النبات الرطب يسلم من الريح العاصفة بليته لانه يميل
معه كيف مالت * وما لهج الملوك بشئ أشد من لهجهم بالصيد والقنص
وهو الشئ الذى طالما اتفقت فيه النكت العجيبة . والطرف القريبة . وكان
المعتصم ألهمج الناس به بنى فى أرض دجيل حائطاً طوله فراسخ كثيرة وكان
إذا ضرب حلقة يضايقونها ولا يزالون يحدون الصيد حتى يدخلونه وراء
ذلك الحائط فيصير بين الحائط وبين دجلة فلا يكون للصيد مجال فاذا انحصر

في ذلك الموضع دخل هو وولده وأقاربه وخواص حاشيته وأنفقوا في القتل
وتفرجوا فقتلوا ما قتلوا وأطلقوا الباقي * وقيل إن المعتصم دوح عدة من حمر
الوحش وأطلقهم لانه بلغه أن أعمارها طويلة * وها هنا موضع حكاية
طريقة عجبية * حدثني صفي الدين عبد المؤمن بن فاخر الارموى قال حدثني
مجاهد الدين أيلك الدويدار الصغير قال خرجنا مرة في خدمة الخليفة
المستعصم الى الصيد وضر بنا حلقة قريباً من الجلمة وهي قرية بين بغداد
والحلة ثم تضايقت الحلقة حتى صار الفارس منا يصيد الحيوان بيده فخرج في
جملة حمر الوحش حمار كبير الجثة عليه وسم فقرأناه واذا هو وسم المعتصم
قال فلما رآه المستعصم وسمه بوسمه وأطلقه وكان بين المعتصم وبين المستعصم
حدود خمس مائة سنة * ومن ظريف ما سمعت من أمر الصيد ما حدثني به
رجل من أهل الأدب ببغداد قال حدثني محمد بن صالح البازياري قال تصيدنا
بين يدي السلطان أباقا يوماً فطار ونحن بين يديه ثلاثة كراكي على سمت
مستقيم فأطلقنا شاهيناً فعلا وانحط على الأعلى من الكراكي فلطمه فوق على
الثاني فكسره ثم وقعا كلاهما على الثالث فكسراه ووقعت الثلاثة بين يدي
السلطان قال فتعجب من ذلك غاية التعجب وخلع علينا جميعنا * وقال
الصاحب علاء الدين في جهان كشاي ان حلقة جنكزخان كان أمدها مسير
ثلاثة شهور

وما أري هذا الا مستبعداً وما لهج الملوك بالصيد هذا الهج الشديد
ولا كفوا به هذا الكلف العظيم وأطلقوا للبازيارية الاموال الجلية وأقطعوه
الاقطاعات السنية وسهلوا عليهم حجابهم وقطعوا معظم زمانهم فيه باطلا
ولا عبثاً فان القنص يشتمل على فوائد كثيرة جلية النفع منها وهو النرض

الأشرف منه تمرين العساكر على الركض والسكر والعطف وتعويدهم على
 الفروسية وادمانهم للرمي بالنشاب والضرب بالسيف والدبوس واعتياد القتل
 والسفك وتقليل المبالاة باراقة الدماء وغصب النفوس * ومنها اختبار الخيول
 ومعرفة سبقها وصبرها على دوام الركض * ومنها أن حركة الصيد حركة
 رياضية تعين على الهضم وتحفظ صحة المزاج * ومنها فضل لحم الصيد على باقي
 اللحوم لانه بقلقه من الجوارح تنور حرارته الغريزية فتزيد في حرارة
 الانسان * قال بعض الحكماء وخير اللحم ما أقلقه الجوارح اقلاقا * ومنها
 الطرف العجيبة التي تتفق فيه وقد تقدم ذكر شيء منها * وكان يزيد بن
 معاوية أشد الناس كلفا بالصيد لا يزال لاهيا به وكان يلبس كلاب الصيد
 الأساور من الذهب والجلال المنسوجة منه ويهب لكل كلب عبداً يخدمه
 قيل إن عبيد الله بن زياد أخذ من بعض أهل الكوفة أربع مائة ألف دينار
 جناية وجعلها في خزن بيت المال فرحل ذلك الرجل من الكوفة وقصد
 دمشق ليشكو حاله الى يزيد وكانت دمشق في تلك الايام فيها سرير الملك
 فلما وصل الرجل الى ظاهر دمشق سأل عن يزيد فعرفوه أنه في الصيد
 فكره أن يدخل دمشق وليس يزيد حاضراً فيها ف ضرب مخيمه ظاهر المدينة
 وأقام به ينتظر عود يزيد من الصيد فيينا هو في بعض الايام جالس في خيمته
 لم يشعر إلا بكلبة قد دخلت عليه الخيمة وفي قوائمها الاساور الذهب وعليها
 جل يماوي مبلغا كثيراً وقد بلغ منها العطش والتعب وقد كادت تموت تعباً
 وعطشا فعلم أنها ليزيد وأنها قد شذت منه فقام اليها وقدم لها ماء وتعهدها
 بنفسه فما شعر إلا بشباب حسن الصورة على فرس جميل وعليه زى الملوك
 وقد علتة غبرة فقام اليه وسلم عليه فقال له أرايت كلبة عابرة بهذا الموضع فقال

نعم يامولاناها هي في الخيمة قد شربت ماء واستراحت وقد كانت لما جاءت الى هاهنا جاءت على غاية من العطش والتعب فلما سمع يزيد كلامه نزل ودخل الخيمة ونظر الى الكلبة وقد استراحت فحذب بجملها ليخرج فشكا الرجل اليه حاله وعرفه ما أخذ منه عبيد الله بن زياد فطلب دواة وكتب له برد ماله وخلعة سنية وأخذ الكلبة وخرج فرد الرجل من ساعته الى الكوفة ولم يدخل دمشق * وكان السلطان مسعود يبالغ أيضاً في ذلك ويابس الكلاب الجلال الأطلس الموشاة ويسورها بالاساور وكان يقلل في بعض الوقت الالتفات الى أمين الدولة ابن التلميذ الطيب النصراني وكان فاضلاً ظريفاً فقال

(كامل)

من كان يلبس كلبه / وشياً ويقنع لي بجدي

فالكب خير عنده / مني وخير منه عندي

وحدثني الامير نحر الدين بنعدي بن قشتمر قال ضرب جدّي الملك قشتمر حلقة للصيد فوقع فيها انسان قصير جداً كصغير يكون عمره خمس سنين وقد طالت أظفاره وشعر بدنه طويلاً مفراطاً قال فأمسكوه وأحضروه بين يدي الناصر فاستنطقوه فلم ينطق فاحضروا له الطعام فلم يأكل والماء فلم يشرب فاجتهدوا معه بكل ممكن على أن يتكلم وهو صامت لا ينطق بنبت شفة فقال له بعض الحاضرين فأى شيء تريد فلم يتكلم فقال له تريد نطقك فحرك رأسه يعني نعم قال فتقدم الناصر باطلاقه فلما أطلق عدا أشد من عدو الغزال ثم دخل البرية * سئل بزرجهر عن أردشير فقال أحيي الليل بالحكمة وفرغ النهار للسياسة * وقيل له لأى حال عم كسرى بمعروفه جميع رعيته قال خوفاً ان يفوته المستحق * قيل له فكيف يمكن ان يعم بمعروفه جميع

رعيته قال نعم كان ينوى لهم الخير فاذا نوى لهم الخير فقد عمهم بمعرفته *
 روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال يزرع الله بالسلطان أكثر مما
 يزرع بالقرآن قالوا لأن الناس يخافون من عواجل العقوبة أشد مما يخافون
 من آجلها

ومما لا يليق بالملك الكامل الافاضة في مجلسه في وصف الطعام والنساء
 لا يشارك بذلك العامة لأن العامة قد قنعوا من عيشهم باليسير واقتصروا
 عليه وتركوا الأمور الكبار فاذا ارادوا أن يفيضوا في حديث لم يكن لهم الا
 وصف أنواع الاطعمة ووصف أصناف النساء * قال الأحنف بن قيس
 جنبوا مجالسنا ذكر الطعام والنساء فاني أبغض أن يكون الرجل وصافاً لبطنه
 مداحاً لفرجه مائلاً بصغوه الى النساء * قال أبرويز لابنه لا توسعن على
 جنبك فيستنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك وأعظمهم عطاء قصداً
 وامنعهم منعاً جميلاً ووسع عليهم في الرجاء ولا توسع عليهم في العطاء * ولما
 سمع المنصور هذا الكلام صادف منه موضعاً قابلاً للشحّ الغالب عليه فقال
 هذا هو الرأي وهذا معنى قول القائل أجمع كلبك يتبعك فقام اليه بعض
 القواد وقال يا أمير المؤمنين أخاف أن يلوح له غيرك برغيف فيدعك ويتبعه *
 قالوا سياسة الرئاسة أشد من الرئاسة كما أن سياسة الخدمة أشد من الخدمة
 وكما أن التوق بعد شرب الدواء أشد من الدواء وكذلك رب الصنعة أشد من
 الصنعة وعلى الرئيس أن يصبر على مضض الرئاسة * قال بعض حكماء الترك
 ينبغي أن يكون في قائد الجيش عشر خصال من أخلاق الحيوان جرأة
 الأسد وحيلة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وغارة الذئب
 وحراسة الكركي وسخاء الديك وشفقة الدجاجة على الفرايج وحذر الزراب

وسمن تعرفوه وهي دابة تكون بخراسان تسمن على السفر والكد * قالوا
والفاضل من طلاب الرئاسة هو الذي يكون مطبوعاً على المعرفة مخلوقاً فيه
صحة التمييز مكتسباً للعلم بما جرى في الدنيا من تصارييف الدهور وتنقل
الدول عارفاً بمداراة الاعداء كتوما لسره اذ كان قطب السياسة عليه يدور
وأن يستمد لعقله من عقول العقلاء فان العقل الفرد لا يقوم بنفسه * وينبغي
أن يكون ذا روية عند اشتباه الآراء وعزيمة عند اختلاف الاهواء حتى
يكشف * واما الحزم فهو الاصل الذي يبنى عليه في تحصين المملكة وقد كان
يجب تقديمه وذكره في أول الكتاب عند أخواته من الخصال المحموده ولكن
العقل يشتمل عليه ويستلزمه فأكتفى بذكره عنه ولا بأس بذكر نبذة في
هذا الموضوع منه * قالوا أحزم الملوك من ملك جده هزله وقهر رأيه هواه
وعبر عن ضميره فعلمه ولم يخندعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده *
وكان يقال الحازم من الملوك من يبعث العيون على نفسه ويتفقدوها حتى
لا يكون الناس بعينه أعلم منه بعيب نفسه * وقالوا أحزم الملوك من حمل
رعيته على التخلق بأخلاقه والتأدب بأدابه بالرفق والتوصل الحسن والتأني
اللطيف * وخطر لي في هذا المعنى سر لطيف وهو ان الرعية اذا تدرجوا الى
التخلق بأخلاق الملك والتأدب بأدابه صاروا مستحسنين لصادرات أحواله
وأفعاله لانهم هم يفعلونها ويعتمدونها فلا يصير أحد منهم يذم سيرته ولا
يزري عليه ومتى كانت طباعهم منافية لطباعه وأخلاقهم مضادة لأخلاقه
اغروا بالازراء عليه والذم لأفعاله وهذا سر لطيف منطوق في قولهم * وقالوا
أحزم الملوك من تقدم بأحكام الأمر قبل نزول حاجته وتدارك المهم الخطر
قبل وقوعه * قيل للاسكندر ما علامة دوام الملك قال الاقتداء بالحزم والجد

في كل الأمور

قيل فما علامة زواله قال الهزل فيه * وقال أنوشروان الحزم حفظ
 ما وليت وترك ما كفيت * وقال آخر أحزم الملوك من ملك أمره ودبر
 خصاله وقع شهوته وقهر نوازعه * قالوا ينبغي ان يكون اول امر الملك
 الحزم فاذا وقع الامر فينبغي ان يكون حينئذ الجد والاجتهاد * قيل لبعض
 فضلاء الملوك نراك اذا وفد عليك وافد اطلت مجالسته وربما لا يكون اهلا
 لذلك قال ان حقيقة حال الرجل لا تبين في مجلس او مجلسين فانا أطاول
 عشرته وأخبره في عدة مجالس فان كان فاضلا اصطفيته وان كان ناقصا
 تركته * وقال آخر لا ينبغي لأحد ان يدع الحزم لظفر ناله عاجز ولا يرغب
 في تضيقه لنكبة دخلت على حازم * قالوا من لم يقدمه الحزم أخره العجز *
 وقيل لعبد الملك بن مروان ما الحزم قال اخذاع الناس بالمال واستمالهم به
 فانهم اتباعه أين كان كانوا وكيف مال مالوا * وقال بعض الملوك لبعض
 الحكماء متى تكون الثقة بالعدو حزم ما قال اذا شاورته في امر هو لك وله
 وقال مسلمة بن عبد الملك ما فرحت بظفر ابتدأته بعجز ولا ندمت على
 مكروه ابتدأته بحزم

ومما يجب على الملك الفاضل إمعان النظر في امر الأسرار وصونها
 وتحصينها وحراستها من الافشاء والذباغ وهذا باب يحتاج فيه الى التأنى التام
 فكم من مملكة خربت وكم من نفس تلفت بسبب ظهور سر واحد وحفظ
 السر وكتمانه من افضل ما اعنى به الانسان * فما جاء في ذلك في الحديث
 (من كتم سره . ملك أمره) * وقال علي عليه السلام الرأي تحصين السر
 أسر بعض الناس الى رجل حديثا وأمره بكتمانه فلما انقضى الحديث

قال له فهمت قال بل نسيت . وقال عمرو بن العاص اذا أفشيت سري الى
صديق فاذاعه كان اللوم لي لا له قيل له وكيف ذلك قال لاني انا كنت اولى
بصياته منه . ومن اناشيد هذا الباب (طويل)

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر اضيق
قالوا لا ينبغي أن يكون سر الملك إلا عند واحد فانه اذا كان عند
واحد كان أخرى أن لا يظهر إما رغبة وإما رهبة لانه إن ظهر تحقق الملك
أن ظهوره قد كان من جهة ذلك الرجل ومتى كان السر عند جماعة ثم ظهر
أحال كل واحد منهم على الآخر فان عاقبتهم الملك جميعاً كان قد ظلمهم إلا
واحداً وان ترك معاقبتهم طعموا وتطرقوا على افشاء أسرارهم قال الشاعر
(مقارب)

وسرك ما كان عند امرئ وسر الثلاثة غير الخفي

فان احتاج الملك الى إظهار سره لجماعة فأصلح ماله أن يفضي به الى كل
واحد منهم على سبيل الانفراد ويوصيه بالسكتمان ويوهمه أنه ما أفضى الى
غيره به فذلك أجدر لأن ينكتم السر * شاور بعض ملوك الفرس وزراءه
في أمر فقال واحد منهم لا ينبغي للملك أن يستشير بأحدنا إلا خالياً به فانه
أكرم للسر وأحزم في الرأي وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض
وما اعتنت دولة بتحصين الأسرار والمبالغة في حفظها كالدولة العباسية
فان لها من هذا الباب عجائب وكم من نعمة أزالوها عن أربابها ونفس
أزهقوها بسبب كلمة منقولة أو حكاية مقولة * جرى في أيام الناصر قضية
ظريفة لا بأس بذكرها ها هنا

كان للناصر ولدان هما ولدا ولده وكان قد أقطعها بلاد خوزستان

وتوجها اليها وأقاما بها في بعض الليالي أفكر الناصر في أمرهما واشتاقيهما
وخاف عليهما من حادث يحدث بتلك الناحية فأرسل في الحال الى وزيره
القمي وقال له أرسل في هذه الساعة اليهما من يأمرهما بالوصول الى بغداد
ولا تشعر بهذا مخلوقاً فأحضر الوزير نجاباً في ذلك الحال وكان جماعة من
النجاين يبيتون في كل ليلة باب الديوان يبيت أحدهم وتحت رأسه راحلته
وزاده ونفقته وقد ودّع أهله فان عرض في الليل معهم توجه فيه فلما حضر
النجاين بين يدي الوزير شافهم بالمراسلة وقال له تخرج في هذه الساعة وإياك
أن يعلم هذا أحد فيكون عوضه نفسك ثم تقدم الوزير يحمل مفتاح باب من
أبواب السور له فلما مضى ليخرج اجتاز ببعض الدروب وامرأتان في
منظرين متقابلتين تتحدثان فقالت إحداها للأخرى ترى هذا النجاين الى
أين يمشي في هذا الوقت فقالت لها الأخرى يمشي الى دسر لاحضار أولاد
الخليفة فانه قد خاف عليهما وقد اشتاقهما لأن مدتهما هناك قد طالت فلما
سمع النجاين ذلك رجع من ساعته الى الديوان واستأذن على الوزير فلما علم
الوزير برجوعه انزعج لذلك وأحضره وسأله عن سبب عوده فقال له يامولانا
جري الساعة في الدرب الفلاني كيت وكيت وخفت أن أتوجه وينتشر هذا
الحديث فما تشكون في أنني أنا الذي أظهرته فيكون ذلك سبب هلاكى فقال
له الوزير قد عرفنا ذلك اخرج وتوجه في أمان الله فان الشياطين تنقل عظامهم
الاخبار * ومما يجري هذا المجرى ما حدثني به بعض أهل بغداد قال حدثني
صديق لي قال كنا نتمشي في دولاب بستان البقل وقد أمعنا في الدخول الى
أقصاه فسمعنا صوت قائل يقول مات أباقا قال فنظرنا فلم نبصر أحداً ثم اننا
أرّخنا اليوم فلما فشا الخبر كان كما قال * قيل إن صاحب الموصل وأظنه بدر

الدين قال لمجد الدين بن الأثير الجزرى أريد أن تعين لى في هذه الساعة على رجل دين أمين يكون موضعاً للسر حتى اجمله مشافهة سرية الى الخليفة ويتوجه في هذه الساعة فأفكر ابن الاثير ساعة ثم قال يا مولانا ما أعرف أحداً بهذه الصفة إلا أخى قال فقم وعرفه ذلك وأرسله الى داره وحكى لأخيه ما جرى عند السلطان وقال له يا أخى والله ما شهدت لك إلا بما اعرفه منك فتوجه الى خدمة السلطان وامثل ما يشير به فحضر ابن الاثير عند السلطان وشافه بالمراسلة وقال له تتوجه في هذه الساعة فحضر ابن الاثير الى داره ليودّع أخاه فوجده قائماً فى الدهليز ينتظره فقال له شافيك السلطان بالحديث قال نعم قال فما هو قال يا أخى الساعة شهدت لى عنده بالدين والأمانة وحفظ السر فيجوز ان أ كذبك فى الحال قال لى شيئاً ما أقوله إلا لمن أمرنى بأن أقوله له قال فبكى مجد الدين أخوه ودعا له * ومن الأشعار المقولة في ذلك قول الحماسى

(طويل)

على سر بعض غير أنى جماعها	وفتيان صدق لست مطلع بعضهم
وموضع نجوى لا يرام اطلاعها	لكل امرئ شعب من القلب فارغ
الى صخرة أعبي الرجال انصداؤها	يظلون شتى في البلاد وسره

(بسيط)

وسائلى القوم ما مجدى وما خلقى	ومن جيد ما قيل في ذلك
وأكتم السر فيه ضربة العنق	لا تسئلى القوم ما مالى وكثرته
	هل أطعن الطعنة النجلاء عن عرض

(طويل)

اذا لم يكن بيني وبينك ثالث	ومن جیده قول الصابى
	فقل لصديق كن على السر آمناً

وقول الآخر (وافر)

وانك كلما استودعت سرّاً أنتم من النسيم على الرياض

ولمؤلف هذا الكتاب في ذلك من جملة أبيات (طويل)

وما احتقر الاصحاب للسر حفرة كصدري ولوجار الشراب على عقلي

وله في ذلك أيضاً (وافر)

وان يكن الزجاج ينم طبعاً فسيدينا أنتم من الزجاج

ومن الامور التي يجب تدقيق الفكر فيها والتثبت التام والتأني في تأملها حديث السعايات والتمائم فكيف من نمام أو ساع قد شفي غيظه بايقاع مسكين بين يدي ملك قاهر في تهمة هو بريء منها ثم اشتبه الامر على الحاكم فاهلك الرجل البريء بغير ذنب ثم لما علم بصورة الحال ندم حين لا ينفع الندم فعم الضرر بذلك الثلاثة الساعي والمسمى اليه لانهما اهلكا دينهما بما فعلاه والمسمى به لتعجله العقوبة فعم الضرر الثلاثة * ومما جاء في ذلك في التنزيل (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاستسبنا فقتلوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبخوا على ما فعلتم نادمين)

ومما جاء في الحديث (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يرفعن الينا عورة أخيه المسلم) رفع إنسان الى يحيى بن خالد بن برمك قصة يقول فيها إنه قد مات رجل تاجر غريب وقد خلف جارية حسناء وولداً رضيعاً ومالا كثيراً والوزير أحق بهذا فكتب يحيى بن خالد على رأس القصة أما الرجل فرحمه الله وأما الجارية فصانها الله وأما الطفل فرعاه الله وأما المال فمرد الله وأما الساعي الينا بذلك فلعنه الله * قيل لما تولى عبدالعزيز بن مروان دمشق ولم يكن في بني أمية ألب منه وكان حدث السن طمع فيه أهل دمشق

وقالوا صبي لا علم له بالأموال وسيسمع كل ما نقول له فقام اليه رجل وقال
 أصلح الله الأمير نصيحة فقال ليت شعري ما هذه النصيحة التي قد ابتدأتني
 بها من غير يد سبقت مني اليك هات نصيحتك قال لي جار وهو عاص خالعي
 لاطاعة وذكر له عيوباً فقال له عبد العزيز انك أيها الرجل ما اتقيت الله تعالى
 ولا أكرمت أميرك ولا حفظت جوارك إن شئت نظرنا فيما تقول فإن كنت
 صادقاً لم ينفعك ذلك عندنا وإن كنت كاذباً عاقبتك وإن استقلنا اقلناك فقال
 بل أقلني أيها الأمير قال اذهب حيث شئت لا صحبتك الله اني أراك شر رجل
 كان الوزير علي بن محمد بن الفرات وزير المقتدر ببغض السعاة فكان
 اذا رفع أحد اليه قصة فيها سعاية بأحد يخرج حاجبه الى الباب والناس على
 طبقاتهم وقوف فيقول أين صاحب هذه السعاية قد قال لك الوزير كذا وكذا
 فيفتضح ذلك الرجل في ذلك الجمع فترك الناس السعائيات في أيامه * قال
 عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه من عرف فاحشة فأفشأها كان هو الذي
 اتأها * كتب قباز الملك لابنه كسرى عهداً فمن جملته يا بني لا تدخل في
 مشورتك بخيلاً فإنه يقصر بك عن غاية الفضل ولا جباناً فإنه يضيق عليك
 الأمور عند انتهاز الفرصة * يا بني ليكن أبغض رعيته اليك أكثرهم تكشيفاً
 لمعائب الناس فإن في الناس عيوباً أنت أحق من سترها وكره ما تكشف
 من غائبها فأنما اليك الحكم على ما ظهر والله يحكم فيما غاب فأكره للرعية
 ما تكره لنفسك واستر العورة يستر الله عليك ما تحب ستره ولا تعجل الى
 تصديق ساع فإن الساعي غاش وإن قال قول النصيح وأعط الناس من
 عفوك مثل ما تحب أن يعطيك من فوقك * ومن مليم ما قيل في ذلك قول
 مبيار يخاطب بعض الوزراء

(كامل)

ياسيف نصرى والمهند تابعى
ومعيد أيامي على بدائنا
أخلاقك النر السجايأ مالها
والافك فى مرآة رأيك ماله
ومن مليح ذلك قول القائل

سمي اليك بى الواشى فلم ترى
ولو سعى بك عندى فى الذكرى
أهلا لتكذيب ما ألقى من الخبر
طيف الخيال لبعث النوم بالسهر

(بسيط)

اختلفوا فى الملك القاهر العسوف والملك المقتصد الضعيف ففضلوا
القاهر العسوف واحتجوا بأن القوى العسوف يكف الاطماع عن رعيته
ويحميهم من غيره بقوته وله أنفة تعصمهم من شر غيره فتكون رعيته بمثابة
من كفى شر جميع الناس وابتلى بشر واحد * وأما المقتصد الضعيف فيهمل
رعيته فيتسلط عليهم كل أحد ويدوسهم كل حافر فيكونون بمثابة من كفى
شر واحد وابتلى بشر جميع الناس وبين الحالين بون بعيد

وقال بعض الحكماء سلطان يخافه الرعية خير من سلطان يخافها * قال
أنوشروان عندى لمن عرض دمه سفكه ولمن جاوز حده تقويعه ولمن تعدى
طوره قده * قال بعض الحكماء أمران جليلان لا يصلح أحدهما الا بالآخر
والاستبداد ولا يصلح الاخر الا بالاشتراك فاما الذى لا يصلح الا بالانفراد
فالملك متى وقع فيه الاشتراك فسد واما الذى لا يصلح الا بالاشتراك فالرأى
متى وقع فيه الاشتراك وثق فيه بالصواب * ولا يجوز للملك أن يصغر فى
نفسه أمر عدوه وان كان صغيراً فى نفس الأمر ولا يجوز لجلساء الملك أن

يصغروا أمر عدوه عنده فانهم ان صغروه حتى ظفرو به العدو كان وهناً له
 اذ قد غلبه عدو صغير وان ظفر هو بالعدو لم يكن قد صنع طائلاً * لما رجع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقعة بدر ومعه الاسرى والغنائم وقد قتل
 الله رؤس المشركين للقاه الناس من ظاهر المدينة عن أميال فعملوا يهنؤنه بالفتح
 وجعل الناس يسئل بعضهم بعضاً عن هلك وسلم فقال بعض الصحابة والله
 ما قتلنا الا عجائز صلعا فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم باللوم ولم يزل
 كالمرض عنه ثم قال له أولئك يا ابن أخي الملا

ومن مليح ما رأيت في هذا المعنى قول حكيم الهند لبعض ملوكهم
 لا تحقرن أمر الاعداء وان صغروا فان الزبير اذا جمع جعل منه حبل يشد به
 القيل المغنم * وإغباب الرأي من الامور المهمة وأجود الرأي ما وقع فيه
 الثأني والتثبت وبذلك يؤمن زلل الرأي * قال الاحنف بن قيس لاصحاب
 على عليه السلام أغبوا الرأي فان إغبابه يكشف لكم عن محضه

واستشير بعض العقلاء في أمر فسكت فقيل له لم لا تتكلم فقال ما أحب
 الخبز الا بأثماً * ولما عزم الخوارج على مبايعة عبد الله بن وهب الراسبي
 أرادوه للرأي فقال ما أنا والرأي القطير والكلام المقتضب فلما فرغوا من البيعة
 قال اتركوا الرأي يغيب أى يأتى عليه يوم وليلة وكان يستعيز بالله من الرأي
 القطير * قالوا أمر الحارث بن زيد بالاحنف بن قيس فقال له لولا أنك
 عجلان لشاورتك وهذا دليل على كراهيتهم للرأي القطير * وكانوا لا يشاورون
 الجائع حتى يشبع ولا الاسير حتى يطلق ولا الطالب حتى يبلغ حاجته ولا
 العطشان حتى يروى ولا الضال حتى يهتدى ولا الحاقن حتى يخفف ما عنده
 وقال بعض الشعراء يصف عاقلاً

(طويل)

عليم بأعقاب الامور كأنما يخاطبه من كل أمر عواقبه
وما أعرف أحسن من قول ابن الرومي في تفضيل الرأي المختصر

الرأي القطير (بسيط)

نار الروية نار جد منضجة وللبديهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لماعجلها لكنه عاجل يعضى مع الريح
ومما يوجب العقل الصحيح أن الانسان لا يدخل في أمر يعسر الخروج

منه قال الشاعر (خفيف)

ما من الخزم أن تقارب أمراً تطلب البعد منه بعد قليل
فاذا ما هممت بالشئ فانظر كيف منه الخروج بعد الدخول

قالوا وأفضل من ذلك أن الانسان لا يدخل نفسه في أمر يحتاج في
الخروج منه الى فكر * قال معاوية لعمر بن العاص رضي الله عنهما ما بلغ من
دهالك قال ما دخلت في أمر الا وأحسنت الخروج منه فقال معاوية لكني أنا
مادخلت في أمر أحتاج في الخروج منه الى فكر * ومن الامور المهمة للملك
حسن نظره في ارسال الرسل فبالرسل يستدل على حال المرسل * قال بعض
الحكماء اذا غاب عنكم حال الرجل ولم تعلموا مقدار عقله فانظروا الى كتابه
ورسوله فهما شاهدان لا يكذبان * ويجب أن يكون في الرسول خصال منها
العقل ليميز به الامر المستقيم من المعوج والامانة والعفاف لئلا يخون مرسله
فكم من رسول برقت له بارقة طمع من جهة من أرسل اليه فحفظ جانبه وترك
جانب مرسله * أرسل معاوية رضي الله عنه الى ملك الروم رسولا من أقاربه
كان يعتمد عليه لتقرير أمر الهدنة واشترط معاوية شروطاً غليظة فلما حضر

الرسول عند ملك الروم اجتهد به على تخفيف تلك الشروط فلم يقبل فخلاه به وقال له بلغني أنك فقير وأنت إذا أردت الركوب إلى معاوية تستعير الدواب قال كذلك هو قال فما أراك تعمل لنفسك شيئاً وهذا المال الذي عندنا كثير نخذ منه ما يفيك إلى الأبد ودع معاوية وأحضر له عشرين ألف دينار فأخذها وخفف له الشروط وأمضى أمر الهدنة ثم رجع إلى معاوية فلما نظر معاوية في الكتاب علم بالحال فقال له ما أراك عملت إلا له وعزم على مؤاخذته فقال له يا أمير المؤمنين أقطني قال قد أقلتلك وأعرض عنه * وفيما فعل كمال الدين محمد بن الشهرزوري حين أرسله أتابك زنكي صاحب الموصل إلى بغداد لتقرير أمر الراشد منبهة على وجوب تدقيق النظر في اختيار الرسل وذلك أنه لما خلع الراشد الخليفة ببغداد فارقها وحضر إلى الموصل مستسعداً بأتابك زنكي وخلا به ووعدته ومناد أنه إن عاد إلى الخلافة أن يفعل معه ويصنع قهوس أتابك زنكي بذلك وضمن له صلاح الحال مع السلطان مسعود ثم إن أتابك زنكي عزم على مراسلة الديوان ببغداد في هذا المعنى فاختار للرسالة كمال الدين بن الشهرزوري قاضي الموصل فأرسله ووصاه بالاحتجاج والمبالغة في تقرير أمر الراشد ونقض ما أبرموه من خلافة المقتفي فتوجه كمال الدين إلى بغداد

قال ابن الأثير صاحب التاريخ حكى لي والدي قال حكى لي كمال الدين المذكور قال لما حضرت بالديوان قيل لي تباع أمير المؤمنين فقلت أمير المؤمنين عندنا بالموصل وله في أعناق الخلق بيعة متقدمة قال وطال الحديث في ذلك وعدت إلى منزلي فلما جاء الليل جاءني عجزوز سرّاً واجتمعت بي وأبلغتني رسالة من المقتفي مضمونها المعاتبه لي على ما قلت واستنزالي عنه

فقلت غداً أخدم خدمة يظهر أثرها فلما كان الغد حضرت بالديوان وقيل لي
 في معنى البيعة فقلت أنا رجل فقيه قاض ولا يجوز لي أن أبائع إلا بعد أن
 يثبت عندي خلع المتقدم فأحضروا الشهود فشهدوا عندي بفسق الراشد
 فقلت هذا ثابت لا كلام فيه ولكن لا بد لنا في هذه الدعوى من نصيب
 لأن أمير المؤمنين المقتني حصلت له خلافة الله في أرضه والسلطان فقد استراح
 ممن كان يقصده فنحن بأي شيء نرجع فرفع الأمر إلى المقتني فأمر أن يعطى
 أتاك زندي صريفيين ودرب هرون وحربي ملكا فبايعت المقتني وعدت
 وقد حصل لي مال صالح وتحف وهدايا * وما أدري والله من أي حاله
 أعجب من فعله هذا وخيائته لم يرسله وتسويد وجهه مع من استجار به فإنه لم
 يكن الفائدة من إرسال كمال الدين إلا تقوية أمر المقتني وأنا كيد خلع الراشد
 أو من حكايته عن نفسه مثل هذه الفعلة

وكذلك ما جرى لعبيد الملك الكندري وزير السلطان طغرل بك أرسله
 السلطان طغرل بك ليخطب له امرأة فمضى الكندري وخطبها لنفسه وتزوجها
 وعصى على طغرل بك فلما ظفر به طغرل بك لم يقتله ولكن خصاه واستبقاه في
 خدمته احتياجاً إلى كفاءته وفي ذلك يقول الباهرزي الشاعر وكان صاحب
 الكندري

(كامل)

قالوا محاً السلطان عنه بغيره سمة الفحول وكان قرماً صائلاً
 قلت اسكتوا فالآن زاد خولة لما غدا من أثيبه عاطلاً
 والنحل يأنف أن يسمى بعضه أثى لذلك جدها مستأصلاً

ومن الأشعار المقولة في ذلك قول القائل (متقارب)

إذا كنت في حاجة مرسلًا فأرسل حكيمًا ولا توصه

وأجود من هذا المعنى وأكمل قول الآخر (وافر)

إذا أرسلت في أمر رسولاً فأفهمه وأرسله أديباً

فإن ضيعت ذاك فلا تلمه على أن لم يكن علم الغيوباً

ومما يزين الملك اصطناع العوارف إلى أشرف رعيته فبذلك تميل
أعناقهم إليه ويدخلون بذلك في زمرة خدمه وحاشيته وما زال أفاضل الملوك
يلحظون هذا المعنى فيفضلون دائماً على أشرف رعيته أنواع الأفضال
ليسترقوه بذلك * كان معاوية رضي الله عنه أشد الملوك لهجاً بهذا المعنى كان
يعطى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن العباس رضي الله عنهما في سنة
جملا طائلة من المال وكفاله من ذلك أن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه فارق
أخاه علي بن أبي طالب عليه السلام وقصد معاوية مستميحاً وما ذاك لشع عند
أمير المؤمنين عليه السلام فانه كان صلوات الله عليه وسلامه يبارى الريح جوداً
وكرماً وكان جميع ما يدخل له من أملاكه يخرجها في الصدقات والمبرات ولكن
عقيلاً كان يريد من مال المسلمين أكثر من حقه وما كان دين أمير المؤمنين
عليه السلام يقتضي ذلك * وكان معاوية رضي الله عنه يعطى لأجل مصالحة الدنيا
ولا يفكر فيما كان يفكر فيه أمير المؤمنين عليه السلام * وانظر إلى كمال الدين
حيدرة بن عبيد الله الحسيني الموصلي وكان شيخ أهله ومقدمهم سنّاً وزهداً
وفضلاً وورعاً كيف استماله صاحب الموصل بدر الدين بما أسداه إليه من
الانعام حتى مدحه وانخرط في زمرة شعرائه فمن شعره فيه (طويل)

هنيئاً بمجد ساعدتك سعوده وتم له يوم التفاخر عيمده

وبشرى باقبال أهل بشيره كما وفدت عند الهناء وفوده

وأني لبدر الدين ذي الفخر والعلی نديد وكلا أن يصاب نديد

ومع انه صار من شعرائه وانخرط في زمرة مداحه كان بدر الدين بعد موت كمال الدين حيدرة اذا اجتاز على تربته وهي تربة مفردة ظاهر الموصل جنوبية قبلية يترك العسكر ويدخل اليه يزوره ويدعو لنفسه عند ذريجه رحمهما الله تعالى

❦ الفصل الثاني ❦

في الكلام على دولة دولة

لقد تم الكلام على الأمور السلطانية والسياسات الملكية وعلم بذلك سيرة الملك الفاضل المستحق للرئاسة وخواص الملك التي يتميز بها عن الرعايا والحقوق الواجبة للملك على رعيته والحقوق الواجبة لهم عليه * واندرج في أثناء ذلك الكلام على كليات أحوال الدول على سبيل الاجمال * وكل مامضى في هذه الاوراق من اللطائف والمحسن فقد وفر الله تعالى منه حظ المولي الملك الفاضل حاطه الله تعالى بأنواع أطافه وبلغه أقصى الغايات من إسعاده واسعافه لان الله تعالى هداه بسابق عنايته الى محاسن الشيم وفضله بخافى لطفه على كثير من الامم

وهذا أوان الشروع في الكلام على دولة دولة * أما الدولة الاولى وهي دولة الاربعة فان ابتداءها كان منذ قبض رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وبويع أبو بكر بن أبي قحافة رضى الله عنه وذلك في سنة اثنتي عشرة من الهجرة وانتهأؤها حين قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك في سنة أربعين من الهجرة * واعلم انها دولة لم تكن من صرزدول الدنيا وهي بالامور النبوية والاحوال الاخرية أشبه والحق في هذا أن زيها قد كان زى الانبياء وهدىها

هدى الاولياء وفتوحها فتوح الملوك الكبار فأما زيارتها فهو الحشونة في العيش
 والتقل في المطعم والملبس كان أحدهم يمشي في الاسواق راجلا وعليه القميص
 الخلق المرقوع الى نصف ساقه وفي رجله تاسومة وفي يده درة فمن وجب
 عليه حد استوفاه منه * وكان طعامهم من أدنى أطعمة فقرائهم ضرب أمير
 المؤمنين عليه السلام المثل بالعدل والحزب النقي فقال في بعض كلامه ولوشئت
 لا هتديت الى مصفى هذا العسل بلباب هذا البر * واعلم أنهم لم يتقللوا في
 أطعمتهم وملبوسهم فقرا ولا عجزا عن أفضل لباس وأشهى مطعم ولسكنهم
 كانوا يفعلون ذلك مواساة لفقراء رعيتهم وكسر للنفس عن شهواتها ورياضة
 لها لتعتاد أفضل حالاتها وإلا فكل واحد منهم كان صاحب ثروة ضخمة
 ونخل وحدائق وغير ذلك من الاسباب ولكن أكثر خرجهم كان في وجوه
 البر والقرب كان لأمر المؤمنين على عليه السلام ارتفاع طائل من أملاكه
 يخرجهم جميعه على الفقراء والضعفاء ويقتنع هو وعياله بالشوب الغليظ من
 الكرباس وبالقرص من خبز الشعير . وأما فتوحها وحروبها فان خيلها بلغت
 إفريقية وأقصى خراسان وعبرت النهر فان عبيد الله بن العباس تولى إمارة
 سمرقند وبها مات وفيها قبره . فأول حروبها قتال أهل الردة . شرح كيفية
 الحال في ذلك على سبيل الاختصار . لما قبض رسول الله صلوات الله عليه
 وسلامه ارتد ناس من الأعراب عن الاسلام وامتنعوا من أداء الزكاة وقالوا
 لو كان محمد نبيا لما مات فوعظهم ذوو اللب والعقل وقالوا لهم أخبرونا عن
 الانبياء عليهم السلام هل تقرون بنبوتهم قالوا نعم قالوا فهل ماتوا قالوا نعم قالوا
 فما الذي تنكرونه من نبوة محمد عليه السلام فلم يجع القول فيهم فجيز أبو
 بكر رضى الله عنه الى كل طائفة منهم جيشا فتوجت الجيوش اليهم وقتلتهم

وكانت الغلبة للجيش الاسلامي فبأدتهم قتلا وأسرا ورجع من تبقى منهم الى الاسلام وأدى الزكاة

ومن وقائعها فتنة مسيلمة الكذاب * شرح ذلك على وجه الاختصار ظهر في أيام أبي بكر رضي الله عنه رجل يقال له مسيلمة ادعى أنه نبي وأن الوحي ينزل عليه من السماء واجتمع اليه ناس كثيرون من قبيلته وغيره ثم ظهرت امرأة من العرب اسمها سجاح ادعت ايضا انها نبيه وان الوحي ينزل عليها وتبعها بنو تميم وهم قبيلتها ثم سارت لقتال مسيلمة وكانت جموعها اكثر من جموعه فلما علم مسيلمة بمسيرها اليه قال لاصحابه ما الرأي قالوا ان تسلم الامر اليها فلا طاقة لنا بها وبمن معها فقال مسيلمة دعوني انظر في امري فتمسك وكان داهية فأرسل اليها وقال ينبغي ان نجتمع انا وانت في موضع وتدارس ما نزل الينا من الوحي فمن كان على الحق تبعه الآخر فأجابته الى ذلك وامر مسيلمة ان تضرب قبة من ادم ويستكثر فيها من العود وقال ان المرأة اذا شمته ذكرت الباه ثم اجتمع بها في القبة وخدعها وواقعها فلما قام عنها قالت ان مثلي لا يجري امرها هكذا ولكن اذا خرجت اعترفت لك بالحق واخطبني الى قومي فانهم يزوجونك ثم اقود بني تميم معك فلما خرجت قالت انه قرأ على ما نزل عليه من الوحي فوجدته حقاً وقد سلمت الأمر اليه ثم خطبها فزوجوه وجعل مهرها إعفاءهم من صلاة العصر قالوا فبنو تميم بالرمل الى الآن لا يصلون العصر ويقولون هذا مهر كريمة فلما بلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه جهز اليهم جيشاً أميره خالد بن الوليد فاقتتلوا أشد قتال رآه المسلمون ثم كانت الغلبة للجيش الاسلامي فقتل مسيلمة * ومن فتوحها الكبار فتح الشام

شرح كيفية ذلك * لما كانت سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهي السنة

التي توفي فيها أبو بكر ورجع أبو بكر رضى الله عنه من الحج شرع في تجهيز
الجيش الى الشام فبعث عسكرياً كثيفاً جعل على كل قطعة منه اميراً وسمى
لكل امير بلداً إن فتحه واستولى عليه كان له ثم امدّهم بخالد بن الوليد
رضي الله عنه في عشرة الف فتكمل بالشام ستة واربعون الف مقاتل
وجرت بينهم وقائع وحروب امتدت الى ان مات أبو بكر وبويع عمر بن
الخطاب رضي الله عنهما فعزل عمر خالد بن الوليد رضى الله عنهما عن إمارة
الجيش وكان قد أمر ثم أمر على الناس ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه
فورد رسول عمر الى الجيش بالشام بكتاب عمر الى ابى عبيدة بتوليته وعزل
خالد واتفق وصول الرسول وهم مشغولون بالحرب فجعل الناس يسألون
الرسول عن سبب قدومه فأخبرهم بالسلامة ووعدهم ان وراءه مدداً لهم وكتب
عنهم موت ابى بكر ثم وصل الى ابى عبيدة بن الجراح فأخبره سرّ بموت
ابى بكر وناوله كتاب عمر بتوليته وعزل خالد فاستحيى ابو عبيدة من خالد
وكره ان يعلمه بالعزل وهو قد بذل جهده في القتال فكتب ابو عبيدة الخبر
عن خالد وصبر حتى تم الفتح وكتب الكتاب باسم خالد ثم علمه بموت ابى بكر
وبعزله فسلم اليه الجيش * وكان فتح دمشق في سنة اربع عشرة من الهجرة
في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وفي الدولة المذكورة كان فتح العراق واخذ الملك من الاكاسرة *
شرح مبداء الحال في انتقال الملك من الاكاسرة الى العرب * ان الله تعالى
بسابق علمه وببالغ حكمته وعزة قدرته اذا اراد امراً هياً اسبابه وقد وصف
نفسه عز وجل بقوله (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع
الملك ممن تشاء وتعلم من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء

قدير) * ولما اراد جل شأنه . وعز سلطانه . نقل الملك عن فارس الى العرب
 اصدر من المنذرات بذلك ما ملأ به قلوبهم وقلوب اوليائهم رعباً * فأول
 ذلك ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات منه وذلك عند ميلاد الرسول عليه
 افضل الصلوات وخمود نار فارس ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام وذلك
 في عهد أنوشروان العادل فلما رأى أنوشروان سقوط الشرفات وانشقاق
 الايوان غمه ذلك ولبس تاجه وجلس على سريرته وأحضر وزراءه وشاورهم
 في ذلك ففي تلك الحال وصل كتاب من فارس بخمود النار فازداد كسرى
 غماً الى غمه وفي تلك الحال قام الموبذان وقص الرؤيا التي رآها قال رأيت أصلح
 الله الملك كأن إبلاً ضعافاً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في
 بلادها فقال له كسرى فأى شيء يكون فأويل هذا قال أصلح الله الملك
 حادث يحدث من جهة العرب وفشا الحديث بذلك بين العجم وتحدث به
 الناس فسكن الرعب قلوبهم وثبتت هيبة العرب في نفوسهم ثم تابعت
 أمثال هذه المنذرات الخواذل الى آخر الأمر فان رسم لما خرج لمحاربة
 سعد بن أبي وقاص رأى في منامه كأن ملكاً قد نزل من السماء وجمع قسى
 الفرس وختم عليها وصعد بها الى السماء ثم انضم الى ذلك ما كانوا يشاهدونه
 من سداد منطق العرب وطمانينة نفوسهم وشدة صبرهم على الشدائد ثم
 ما جرى في آخر الامر من اختلاف كلمتهم بعد موت شهريار وجلوس
 يزدجرد على سرير المملكة وهو صبي حدث ضعيف الرأي ثم الطامة الكبرى
 وهي انعكاس الريح عليهم في حرب القادسية حتى أعمتهم بالغبار . وعمتهم
 بالدمار . وفيها قتل رسم وانقل جيشهم فانظر الى هذه الخواذل واعلم أن الله
 أمراً هو بالغه * شرح الحال في تجهيز الجيش الى العراق واستخلاص الملك

من فارس . كان ثغر فارس من أثقل الثغور على العرب وأعظمها في نفوسهم
وأكثرها هيبه وكانوا يكرهون غزوه ويجنبون عنه استعظاما للشأن الاكسرة
ولما هو مشهور من تدوينهم الامم حتى كان آخر أيام أبي بكر رضى الله عنه فقام
رجل من الصحابة يقال له المثنى بن حارثة رضى الله عنه وندب الناس الى قتال
فارس وهون عليهم الأمر وشجعهم على ذلك فانتدب معه جماعة وتذكر الناس
ما كان رسول الله صلوات الله عليه يعدم به من تملك كنوز الاكسرة ولم يتم
في ذلك أمر في خلافة أبي بكر حتى كانت أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنهما
وكتب اليه المثنى بن حارثة يخبره باضطراب أمور الفرس ويجلوس يزدجرد بن
شهر يار على سرير الملك وبصغر سنه وكان قد جلس على السرير وعمره احدى
وعشرون سنة فقوى حينئذ طمع العرب في غزو الفرس فخرج عمر رضى
الله عنه وعسكر ظاهر المدينة والناس لا يعلمون أين يريد وكانوا لا يتجاسرون
على سؤاله عن شيء حتى ان بعضهم سأله مرة عن وقت الرحيل فزجره ولم
يعلمه فكانوا اذا أعضل عليهم أمر وكان لابد لهم من استعلامه منه استعانوا
عليه بعتمان بن عفان أو بعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما واذا اشتد الأمر
عليهم ثلثوا بالعباس رضى الله عنه فقال عثمان لعمر يا أمير المؤمنين ما بلغك
وما الذى تريد فنادى عمر رضى الله عنه الصلوة جامعة فاجتمع الناس اليه
فأخبرهم الخبر ووعظهم وندبهم الى غزو الفرس وهون عليهم الأمر فأجابوا
جميعاً بالطاعة ثم سألوه أن يسير معهم بنفسه فقال أنفل ذلك الا ان يجي رأي
هو خير من هذا ثم بعث الى أصحاب الرأي واعيان الصحابة وعقلائهم فأحضرهم
واستشارهم فأشاروا عليه بأن يقيم ويبعث رجلا من كبار الصحابة ويكون هو
من ورائه يمدد بالأمداد فان كان فتح فهو المطلوب وان هلك الرجل أرسل

رجلا آخر فلما انعقد إجماعهم على هذا الرأي صعد عمر المنبر وكانوا اذا ارادوا يكلمون الناس كلاما عاما صعد أحدهم المنبر وخاطب الناس بما يريد فلما صعد عمر قال أيها الناس اني كنت عازما على الخروج معكم وان ذوى اللب والرأى منكم قد صرفوني عن هذا الرأي وأشاروا بأن أقيم وأبعث رجلا من الصحابة يتولى أمر الحرب ثم استشاره فيمن يبعث وفي تلك الحال وصل اليه كتاب من سعد بن ابى وقاص وكان غائبا في بعض الاعمال فأشاروا على عمر بسعد رضى الله عنهما وقالوا انه الأسد عاديا ووافق ذلك حسن رأى من عمر بن الخطاب رضى الله عنه في سعد بن ابى وقاص فاستحضره وولاه حرب العراق وسلم الجيش اليه فسار سعد بالناس وسار عمر بن الخطاب رضى الله عنه معهم فراسخ ثم وعظهم وحشهم على الجهاد وودعهم وانصرف الى المدينة وتوجه سعد فجعل ينتقل فى البرية التي بين الحجاز والكوفة ويستعلم الأخبار ورسال عمر تأتيه وكتبه يشير عليه فيها بالرأى بعد الرأى ويمدده بالجنود بعد الجنود حتى استقر رايه على قصد القادسية وهى كانت باب مملكة الفرس فلما نزل سعد بالقادسية احتاج هو ومن معه الى الأقوات فبعث ناسا وامرهم بتحصيل شئ من الغنم والبقر وقد اجفل اهل السواد قدامهم فوجدوا رجلا فسألوه عن الغنم والبقر فقال لا علم لى بذلك واذا هو الراعى وقد ادخل الدواب فى اجمة هناك قالوا فصاح ثور منها كذب الراعى ها نحن فى هذه الأجمة فدخلوا اليها واستاقوا منها عدة واحضروها الى سعد فاستبشروا بذلك وعدوها نصرة من الله تعالى والثور ان لم يكن قد نلفظ بحروف يكذب بها الراعى فان صياحه فى تلك الساعة حتى يستدل بصياحه على الدواب عند شدة الحاجة اليها تكذيب صريح لاراعى وهو من

الاتفاقات العظيمة الدالة على النصر والدولة والاسنشار به واجب * وحين
ورد الخبر الى العجم بوصول سعد بالجيش ندبوا له رستم في ثلاثين الف
مقاتل وكان جيش العرب من سبعة الف الى ثمانية الف ثم اجتمع اليهم بعد
ذلك ناس فالتقوا فكان العجم يضحكون من نبل العرب ويشبهونها بالمغازل
وها هنا موضع حكاية تناسب ذلك لا بأس بايرادها * حدثني فلان
الدين محمد بن أيذر قال كنت في عسكر الدويدار الصغير لما خرج الى
لقاء التتر بالجانب الغربي من مدينة السلام في واقعها العظمى سنة ست
 وخمسين وستمائة قال فالتقينا بنهر بشير من أعمال دجيل فكان الفارس من
 يخرج الى المبارزة وتحتة فرس عربي وعليه سلاح تام كانه وفرسه الجبل
العظيم ثم يخرج اليه من المغول فارس تحتة فرس كانه حمار وفي يده رمح كانه
المغزل وليس عليه كسوة ولا سلاح فيضحك منه كل من رآه ثم ماتم النهار
حتى كانت لهم الكرة فكسرونا كسرة عظيمة كانت مفتاح الشر ثم كان من
الامر ما كان * ثم ترددت الرسل بين رستم وسعد فكان البدوي يأتي الى
باب رستم وهو جالس على سرير الذهب وقد طرحت له الوسائد المنسوجة
بالذهب وفرش له الفرش المنسوج بالذهب وقد لبس العجم التيجان وأظهروا
زيتهم وأقاموا الفيلة في حواشي المجلس فيجيء البدوي وفي يده رمحه وهو
مقلد سيفه متنكب قوسه فيربط فرسه قريباً من سرير رستم فيصيح العجم
عليه ويهمون بمنعه فيمنعهم رستم ثم يستدنيه فيمشي اليه متكئاً على رمحه يظاً
به ذلك الفرش وتلك الوسائد فيخرقها بزج رمحه وهم ينظرون فاذا وصل الى
رستم راجعة الحديث فكان رستم لا يزال يسمع منهم حكماً وأجوبة تروعه
وتهوله

فمن ذلك أن سعداً رضي الله عنه كان يبعث في كل مرة رسولا فقال رستم
 لبعض من أرسل إليه لم يبعثوا إلينا صاحبنا بالأمس قال لأن أميرنا يعدل بيننا
 في الشدة والرخاء وقال يوما لا آخر ما هذا المغزل الذي في يدك يعني رجمه فقال إن
 الجمر لا يضرها قصرها وقال مرة أخرى لا آخر ما بال سيفك أراه رثا فقال
 إنه خلق المغمد حديد المضرب فراع رستم ما رأى من أمثال هذا وقال لأصحابه
 انظروا فإن هؤلاء لا يخلو أمرهم من أن يكون صدقا أو كذبا فإن كانوا
 كاذبين فإن قوماً يحفظون أسرارهم هذا الحفظ ولا يختلفون في شيء وقد
 تعاهدوا على كتمان سرهم هذا التعاهد بحيث لا يظهر أحد منهم سرهم لقوم في
 غاية الشدة والقوة وإن كانوا صادقين فهؤلاء لا يقف حذاءهم أحد فصاحوا
 حوله وقالوا الله الله أن تترك ما أنت عليه لشيء رأيت من هؤلاء الكلاب بل
 صمم على حربهم فقال رستم هو ما أقول لكم ولكني معكم على ما تريدون ثم
 قتلوا أياما كان في آخرها انعكاس الريح عليهم حتى اعماهم الغبار فقتل رستم
 وانفل الجيش وغنمت اموالهم واجفل الفرس يطلبون مخاضات دجلة ليقعوا
 في الجانب الشرقي وتبعهم سعد وعبر المخاضات وقتل منهم مقنلة عظيمة أخرى
 بجولاء وغنم اموالهم وأسر بنتا لكسرى* ثم كتب سعد إلى عمر رضي الله عنهما
 بالفتح وقد كان عمر في تلك الأيام شديد التطلع إلى أمر الجيش فكان في كل
 يوم يخرج إلى ظاهر المدينة راجلا يتنسم الأخبار لعل أحداً يصل فيخبره بما
 كان منهم فوصل البشير من عند سعد بالفتح فرآه عمر فقال له من أين جئت
 قال من العراق قال فما فعل سعد والجيش قال فتح الله عليهم كل ذلك والرجل
 سائر على ناقته وعمر يمشي في ركابه وهو لا يعلم أنه عمر فلما اجتمع الناس وسلوا
 على عمر بأمر المؤمنين عرفه البدوي فقال هلا أعلمني رحمك الله أنك أمير

المؤمنين قال لا بأس عليك يا أخى ثم كتب عمر الى سعد قف مكانك ولا تتبعهم واقنع بهذا واتخذ للمسلمين دار هجرة ومدينة يسكنونها ولا تجعل بيني وبينهم بحراً فاتخذ لهم سعد الكوفة واختط بها المسجد الجامع واخط الناس المنازل ومصرها سعد ثم حكم فى المداين وملك الكنوز والذخائر ذكر طرف مستملحة وقعت حينئذ * منها أن بعض العرب ظفر بجراب فيه كافور فأحضره الى أصحابه فظنوه ملحاً فطبخوا طعاماً ووضعوا فيه كافوراً فلم يروا له طعماً ولم يعلوا ما هو فراه رجل فعرف ما فيه فاشتراه منهم بقميص خلق يساوى درهمين * ومنها أن بدوياً ظفر بحجر من الياقوت كبير يساوى مبلغاً عظيماً فلم يدر قيمته فراه بعض من يعرف قيمته فاشتراه منه بألف درهم فبعد ذلك عرف البدوى قيمته ولأمله أصحابه وقالوا له هلا طلبت فيه أكثر من ذلك قال لو علمت أن وراء الألف عدداً أكثر من الألف لطلبت * ومنها أن بعضهم كان يأخذ فى يده الذهب الأحمر ويقول من يأخذ الصفراء ويعطينى البضاء يرى أن النضة خير من الذهب * ذكر ما آلت اليه حال يزدجرد

ثم إن يزدجرد هرب الى خراسان وما زال أمره يضعف حتى قتل فى سنة احدى وثلاثين من الهجرة بخراسان وهو آخر ملوك الأكرسة * وفى الدولة المذكورة دوت الدواوين وفرض العطاء للمسلمين ولم يكونوا قبل ذلك يعرفون ما الديوان

شرح كيفية تدوين الدواوين * كان المسلمون هـ الجند وكان قتالهم لأجل الدين لا لأجل الدنيا وكان لا يزال فيهم دائماً من يبذل شطراً صالحاً من ماله فى وجوه البر والقرب وكانوا لا يريدون على إسلامهم ونصره

لنبيهم صلوات الله عليه وسلامه جزاء إلا من عند الله تعالى ولم يفرض
النبي صلوات الله عليه وسلامه ولا أبو بكر رضي الله عنه لهم عطاء مقررًا
والكن كانوا اذا غزوا وغنموا أخذوا نصيبًا من الغنائم قررته الشريعة
لهم واذا ورد الى المدينة مال من بعض البلاد أحضر الى مسجد الرسول
صلوات الله عليه وسلامه وفرق فيهم حسب ما يراه صلى الله عليه وسلم وجرى
الامر على ذلك مدة خلافة أبي بكر رضي الله عنه * فلما كانت سنة خمس
عشرة من الهجرة وهي خلافة عمر رضي الله عنه رأى أن الفتوح قد توالى
وأن كنوز الاكاسرة قد ملكت وأن الجمول من الذهب والفضة والجواهر
والنفيسة والثياب الفاخرة قد تتابعت فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق
تلك الأموال فيهم ولم يكن يعرف كيف يصنع وكيف يضبط ذلك وكان
بالمدينة بعض مرازمة الفرس فلما رأى حيرة عمر قال له يا أمير المؤمنين إن
الأكاسرة شيئًا يسمونه ديوانًا جميع دخلهم وخرجهم مضبوط فيه لا يشذ منه
شيء وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لا يتطرق عليها خلل فتنبه عمر رضي الله
عنه وقال صفه لي فوصفه المرزبان فقطن عمر لذلك ودون الدواوين وفرض
العطاء فجعل لكل واحد من المسلمين نوعًا مقررًا وفرض لزوجات الرسول
صلوات الله عليه وسلامه واسراريه وأقاربه حتى استنفد الحاصل ولم يدخر في
بيت المال شيئًا قالوا فقام اليه رجل وقال يا أمير المؤمنين لو تركت في بيوت
الأموال شيئًا يكون عدة لحادث ان حدث فزجره عمر وقال كلمة ألقاها الشيطان
على فيك وقافى الله شرها وهي فتنة لمن بعدى انى لا أعد للحادث الذي يحدث
سوى طاعة الله ورسوله فهي عدتنا التي بها بلغنا ما بلغنا ثم إن عمر رأى أن
يجعل العطاء على حسب السبق الى الاسلام والى نصرة الرسول عليه الصلاة

والسلام في مواطن حروبه ثم استخدم الكتاب في الدواوين وأمرهم بترتيب الطبقات وضبط العطاء فقالوا بمن يبدأ يا أمير المؤمنين فأشار ناس من الصحابة عليه بأن يبدأ بنفسه وقالوا أنت أمير المؤمنين وتقديمك واجب فكره عمر ذلك وقال ابدأوا بالعباس عمر رسول الله صلوات الله عليه وبني هاشم ثم بمن بعدهم طبقة بعد طبقة وضعوا آل الخطاب حيث وضعهم الله عز وجل فاعتمد ما أشار به وجرى الأمر على ذلك مدة خلافته وخلافة عثمان رضى الله عنهما ثم في آخر خلافته خطر له تغيير هذا الرأي وأن يفرض لكل واحد من المسلمين أربعة ألف وقال ألف يجعلها نفقة لعياله اذا خرج الى الحرب وألف يتجهز بها والف يصحبها معه والف يرتفق بها فمات عمر رضى الله عنه قبل اتمام هذا الرأي . ومن وقائعها المشهورة وقعة الجمل . شرح مبدء وقعة الجمل وكيفية الحال في ذلك . لما قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه اجتمع الناس وقصدوا منزل أمير المؤمنين على عليه السلام وسألوه تولى أمرهم فأبى عليهم وقال لا حاجة لى فى أمركم فألحوا عليه إلحاحا شديدا واجتمعوا اليه من كل صوب يسألونه ذلك حتى أجاب فبايعه الناس فسار فيهم بسيرة الحق لا يأخذه فى الله لومة لائم وكانت حركاته وسكناته عليه السلام جميعها لله وفى الله لا يقضى بها حق أحد وكان لا يأخذ ولا يعطى الا بالحق والعدل حتى إن أخاه عقيلا وهو ابن أبيه وأمه طلب من بيت المال شيئا لم يكن له بحق فمنعه عليه السلام وقال يا أخى ليس لك فى هذا المال غير ما أعطيتك ولكن اصبر حتى يجيء مالى وأعطيك منه ما تريد فلم يرض عقيلا هذا الجواب وفارقه وقصد معاوية رضى الله عنه بالشأم وكان لا يعطى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام أكثر من حقهما فانظر الى رجل حمله ورعه على هذا الصنيع بولديه وبأخيه من ابويه

فلما سار فيهم هذه السيرة ثقل على بعض الناس فعله وكرهوا مكانه فخرج الزبير وطلحة رضي الله عنهما بعد ما بايعاه الى مكة وكانت عائشة زوجة الرسول صلوات الله عليه وسلامه بمكة قد خرجت اليها ليالى حوصر عثمان بن عفان رضي الله عنه فانفقاً معها على عدم الرضى بامارة علي وعلى الطلب بدم عثمان ونسبوا علياً عليه السلام الى انه الب الناس على عثمان وجراً ثم على قتله وما زال على عليه السلام من اكبر المساعدين لعثمان الذين عنه وما زال عثمان يلجأ اليه في دفع الناس عنه فيقوم عليه السلام في دفعهم عنه القيام المحمود وفي آخر الامر لما حوصر عثمان ارسل على عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام لنصرة عثمان رضي الله عنه فقال إن الحسن عليه السلام استقتل مع عثمان وكان عثمان يسأله ان يكف فيقسم عليه وهو يبذل نفسه في نصرته وأما طلحة رضي الله عنه فانه كان من اكبر المساعدين على عثمان وهذا تشهده جميع التواريخ * وأما عائشة رضي الله عنها فانها كانت قد خرجت من المدينة الى مكة ليالى حوصر عثمان بن عفان ثم رجعت من مكة الى المدينة فلقبها في الطريق بعض أخوالها فقالت له ما وراءك قال قتل عثمان قالت فما صنع الناس بعده قال بايعوا علياً قالت ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك * ثم رجعت الى مكة وهي تقول قتل والله عثمان مظلوماً والله لأطلبن بدمه فقال لها الرجل لم والله إن أول من أمال حروفه لأنت والله لقد كنت تقولين اقتلوا نعثاً فقد كفر وكان ذلك لقباً لعثمان فقالت انهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي الاخير خير من قولي الاول ولما رجعت الى مكة اتفقت مع الزبير وطلحة على ما ذكرناه من الطاب بدم عثمان وسخط اماره على واتفق معهم مروان بن الحكم وهو ابن عم

عثمان وقالوا للناس ان الغوغاء من أهل الامصار وعبيد أهل المدينة اجتمعوا
 على هذا الرجل المسكين يعني عثمان فقتلوه ظلماً وعدواناً فسفكوا الدم الحرام
 في البلد الحرام في الشهر الحرام ثم استمالوا أناساً وعزموا على قصد البصرة
 واستمالة أهلها والتقوى بها على قتال على عليه السلام فلما انتهى ذلك الى
 أمير المؤمنين قام فخطب الناس وأعلمهم الحال وقال انها فتنه وسأمسك
 الامر ما استمسك يدي ثم بلغه ما هم فيه من الجمع والتصميم على الحرب
 فهدى اليهم في جيش من المهاجرين والأنصار * وقد كانت عائشة رضى الله عنها
 في توجهها الى البصرة اجتازت بماء يقال له الحوآب فنبحتها كلابه فقالت
 للدليل ما اسم هذا الموضع قال الحوآب فصرخت بأعلى صوتها وقالت ردوني
 (انا لله وانا اليه راجعون) سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول عند
 نسائه (أيتكنّ تنبجها كلاب الحوآب) ثم عزمتم على الرجوع فقالوا لها
 ان الدليل كذب ولم يعرف الموضع وقالوا لها ان لم تسيرى من هذا الموضع
 والا أدرككم على بن أبى طالب فيه فهلكتم فسارت وسار على عليه السلام
 فالتقى الجمعان بظاهر البصرة وجرت خطوب وحروب ففى بعضها التقى عليه
 السلام وطلحة والزبير فقال على عليه السلام اطلحة يا طلحة تطلب بدم عثمان
 فلمن الله قتلة عثمان يا طلحة أجئت برس رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتل
 بها وخبأت عرسك في البيت أما بايعتنى قال بايعتك والسيوف على عنق فقال
 على عليه السلام للزبير يا زبير ما أخرجك قال أنت ولا أراك أهلاً لهذا الأمر
 ولا أولى به منا فقال على عليه السلام لقد كنا نعدك من بنى عبدالمطلب حتى
 بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا عبد الله بن الزبير وذكره على أشياء وقال له
 أتذكر لما قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه لتقاتلنه وأنت ظالم له قال

اللهم نعم ولو ذكرت لما سرت مسيرى هذا ووالله لا أقاتلك أبداً فانصرف
 أمير المؤمنين عليه السلام الى أصحابه وقال أما الزبير فقد أعطى الله عهداً أن
 لا يقاتلكم ثم ان الزبير عزم على ترك الحرب فخذعه ابنه عبد الله وما برح
 به حتى كفر عن يمينه وقاتل ولما تراءى الجمعان كان عسكر عائشة وطلحة
 والزبير رضي الله عنهم ثلاثين ألفاً وكان عسكر على عليه السلام عشرين ألفاً فقبل
 أن تنشب الحرب وعظمهم أمير المؤمنين عليه السلام وندبهم الى الصلح وبذل
 لهم كل ما ليس عليه فيه غضاضة من جهة الدين فقالوا شيئاً الى الصلح وباتوا
 على ذلك ثم في الغداة نشب القتال بين القبيلين وجرت مناوشات وحروب
 أفضت الى نصره جيش أمير المؤمنين عليه السلام * فأما الزبير فانه لما رأى
 النصر عليهم رد رأس فرسه ومصر فتبعه رجل من عرب البصرة فتبعه عمير
 ابن جرموز فقتله بوادى السباع وأتى الى على عليه السلام بسيفه فقال
 للحاجب استأذن لقاتل الزبير فقال على عليه السلام بشر قاتل ابن صفية بالنار
 وصفية أم الزبير وهى عمة أمير المؤمنين عليه السلام ولما رأى سيفه قال سيف
 طالما جلا الكروب عن وجه رسول الله صلوات الله عليه * وأما طلحة
 فجاءه سهم عاثر في رجله فأعطبه فدخل البصرة رديفاً لعلامه وقد امتلأ خفه
 دماً وهو يقول اللهم خذ لعثمان منى حتى ترضى فمات بدار خربة من دور
 البصرة وقبره اليوم بالبصرة في مشهد محترم عندهم اذا اعتصم به خائف
 أو طريد لا يجسر أحد كائناً من كان على اخراجه منه ولأهل البصرة في
 طلحة اعتقاد عظيم الى يومنا

وقيل ان الذى قتل طلحة مروان بن الحكم * وأما عائشة رضي الله عنها
 فانها كانت على جمل في هودج وقد ألبس هودجها الدروع والنسائج الحديد فلما

اشتد القتال وانفلت جموعها عرقب الجمل فوقع ورفع ووضع هو دجها حملا
 ووضع في مكان بعيد عن الناس وكان أخوها محمد بن أبي بكر من أصحاب عليّ
 عليه السلام وابن زوجته أسماء بنت عميس رضى الله عنها فأمره عليّ عليه السلام
 أن يمضى الى أخيه وينظر هل هي سليمة أم أصابها شيء من جراح فمضى اليها
 فرآها سليمة ثم أدخلها ليلا الى البصرة ثم ان أمير المؤمنين عليه السلام أذن
 للناس في دفن القتلى وكانوا عشرة الف من القليلين ثم امر عليه السلام
 بجمع الأسلاب وأدخلها الى المسجد الجامع بالبصرة ونادى في الناس من
 عرف شيئا من قماشه فليأخذه * ثم ان أمير المؤمنين عليه السلام احسن الى
 عائشة غاية الاحسان وجهازها بكل ما ينبغي لمثلها وأذن لها في الرجوع الى
 المدينة وبعث معها كل من نجا من خرج معها الا من أحب المقام واختار لها
 أربعين امرأة من نساء اهل البصرة المعروفات لاجل مؤانستها في الطريق
 وسيرها صحبة أخيها محمد بن أبي بكر مكرمة محترمة فلما كانت يوم رحيلها
 حضر عليّ عليه السلام وحضر الناس فقالت عائشة رضى الله عنها يا بنى وانى
 قالت ذلك لان نساء النبي عليه السلام هن أمهات المؤمنين كذلك قال الله
 تعالى ورسوله صلوات الله عليه لا يعتب بعض على بعض انه والله ما كان
 بيني وبين عليّ في القديم الا ما يكون بين المرأة وأحمائها وانه على معتبتي لمن
 الأخيار وقال عليّ عليه السلام صدقت والله ما كان بيني وبينها الا ذاك وانها
 لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ثم سارت وشيعها عليه السلام أميالا وارسل
 بنيها معها مسيرة يوم وتوجهت الى مكة واقامت بها الى أيام الحج ثم حجت
 وانصرفت الى المدينة * وكانت وقعة الجمل في سنة ست وثلاثين من الهجرة *
 ومن وقائعها المشهورة وقعة صفين * شرح كيفية الحال في ذلك * لما

أنصرف أمير المؤمنين عليه السلام من وقعة الجمل أرسل الى معاوية رضى الله عنه يعرفه اجتماع الناس على بيعته ويعلمه ما كان من وقعة الجمل ويأمره بالدخول فيما دخل فيه المهاجرون والانصار وكان معاوية رضى الله عنه أميراً بالشأم من قبل عثمان رضى الله عنه وكان ابن عمه فلما ورد الى معاوية رضى الله عنه رسول أمير المؤمنين على عليه السلام خاف معاوية رضى الله عنه من على عليه السلام وعلم أنه متى استتب الأمر له عزله ولم يستعمله وقد كان ابن عباس والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما أشارا على أمير المؤمنين عليه السلام أن يقر معاوية رضى الله عنه بالشأم مدة حتى يبايع الناس ويتمكن ثم يعزله بعد ذلك فلم يطعهما عليه السلام وقال إني إن أقررت على إمارته ولو يوماً واحداً كنت عاصياً في ذلك اليوم لله تعالى ولم تكن الخدع والحيل من مذهب على عليه السلام ولم يكن عنده غير مرة الحق فحين ورد الرسول الى معاوية رضى الله عنه طاوله ثم استشار بعمر بن العاص رضى الله عنه وكان أحد الدهاة وكان معاوية رضى الله عنه قد تألفه واستماله ليتقوى برأيه ودهائه فأشار عمرو بن العاص على معاوية رضى الله عنهم أن يظهر قميص الدم الذي قتل فيه عثمان بن عفان وأصاب زوجته رضى الله عنهما ويلقى ذلك على المنبر ثم يجمع الناس ويبكى عليه ويلصق قتل عثمان بعلى رضى الله عنهم ويطالبه بدمه ليميل اليه أهل الشأم ويقاتلوا معه فأخرج معاوية رضى الله عنه القميص والأصابع وعلقه على المنبر وبكى واستبكى الناس وذكره بمصاب عثمان رضى الله عنه فاندب أهل الشأم من كل جانب وبذلوا له الطلب بدم عثمان رضى الله عنه والقتال معه على كل من آوى قتلته * ثم كتب معاوية رضى الله عنه الى أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً يذكر فيه ذلك فيخشد تجر

على عليه السلام للقتال وكاتب الناس ليجتمعوا معه وكذلك صنع معاوية
 رضى الله عنه ثم التقوا بصفين من أرض الشام فجرت بينهم مناوشات
 وحروب كان أولها أن معاوية وأصحابه رضى الله عنهم سبقوا الى شريعة الماء
 فلكوها ومنعوا أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من الماء ولم يكن هناك
 شريعة غيرها فلما أخبر على عليه السلام بذلك أرسل الى معاوية رضى الله عنه
 رسولا يقول له إن من مذهبنا أن لا نبدأكم بقتال حتى نحتج عليكم وننظر
 فيما جئنا له وتنظرون وقد منع أصحابك الناس من الماء فابعث حتى يخلو
 سبيل الماء وإن شئتم أن تترك ما جئنا له وتكون مقاتلتنا على الماء فيكون
 الغالب هو الشارب فعلنا ذلك فقال معاوية رضى الله عنه لأصحابه ما تشيرون
 قال قوم من بنى أمية نرى أن تمنعهم الماء حتى يموتوا عطشاً أو يرجعوا يطلب
 الماء فتكون هزيمة فقال عمرو بن العاص رضى الله عنه أرى أن تخلى لهم
 سبيل الماء فإن القوم لا يعطشون وأنت ريان فأخر معاوية رضى الله عنه
 الجواب وقال سأنظر فاقتتل الناس على الماء وأمدّ على عليه السلام أصحابه
 وأمد معاوية رضى الله عنه أصحابه ونشبت الحرب والتحم القتال فلما
 أصحاب على عليه السلام الشريعة فأرادوا منع أصحاب معاوية رضى الله
 عنه فأرسل اليهم على عليه السلام وقال خذوا حاجتكم من الماء ولا تمنعوه
 منه ودام على ذلك مدة حتى كاد عسكر على عليه السلام أن يغلبوا وظهرت
 أمارات الفتح خاف عمرو بن العاص رضى الله عنه من الهلاك فأشار
 على معاوية رضى الله عنه برفع المصاحف على الرماح والدعاء الى ما فيه
 من أمر الله عز وجل فلما رفعت المصاحف قترا أكثر الناس عن الحرب
 وجأوا الى أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا با على أجب الى كتاب الله

عز وجل فوالله إن لم تفعل لنحملنك كارهاً الى معاوية رضى الله عنه أو
 لنفعلن بك كما فعلنا بابن عفان رضى الله عنه فقال لهم على عليه السلام يا قوم
 إنها خدعة منهم وإنهم ليس فيهم من يعمل بهذه المصاحف أو استم على بينة
 من ربكم فامضوا أشانكم وقاتلوا عدوكم فلم يفعلوا وغلبوه فأجاب الى ترك
 القتال ثم أرسل الى معاوية رضى الله عنه رسولا يقول له ما الذى تريد برفع
 هذه المصاحف قال نحكم منا رجلاً ومنكم رجلاً ونقسم على الرجلين أن ينصحا
 الامة ويعملا بما فى كتاب الله عز وجل وما لم يجداه فى كتاب الله حملاه
 على السنة والجماعة فأى شيء حكمنا به قبلناه فتراضى الناس جميعاً بذلك الا
 أمير المؤمنين عليه السلام فانه رضى كارهاً مغلوباً ونفريسير من بطائنه
 كالاشتر وابن عباس رضى الله عنهم وغيرهما وانعقد الاجماع على التحكيم
 رجلين فأما أهل الشام فاتفقوا على أن يكون الحكم من جهة عمرو بن العاص
 رضى الله عنه داهية العرب وأما أهل العراق فطلبوا أبا موسى الاشعري
 رضى الله عنه وكان شيخاً مغفلاً فلم يستصلحه أمير المؤمنين عليه السلام
 للتحكيم وقال ان كان ولا بد من التحكيم فدعوني أرسل عبد الله بن عباس
 فقالوا لا والله هو أنت وأنت هو قال فلاشتر قالوا قبل سعر الارض غير
 لاشر قال فقد أيتيم الا أبا موسى قالوا نعم قال فافعلوا ما شئتم فاتفق الناس
 على أبى موسى وعمرو بن العاص رضى الله عنهما وتواعدوا الى شهور
 وسكنت الحرب وانصرف الناس الى أمصارهم ورجع معاوية رضى الله عنه
 الى الشام وأمير المؤمنين عليه السلام الى العراق ثم بعد شهور سار الحكمان
 ليجتمعا بدومة الجندل وكانت ميعاد الحكمين وسار ناس من الصحابة
 يشهدوا ذلك المقام وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد أرسل صحبة أصحابه

عبد الله بن العباس رضى الله عنه فلما اجتمع الحكماء قال عمرو بن العاص
لأبي موسى الأشعري يا أبا موسى أأنت تعلم أن عثمان قتل مظلوماً قال
أشهد قال أأنت تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه قال بلى قال عمرو ف
منعك منه وبيته في قريش كما قد علمت فإن خفت أن يقول الناس ليست
له سابقة فقل وجده ولى عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن
السياسة والتدبير وهو أخو أم حبيبة زوج النبي صلوات الله عليه وكتبه
وقد صحبه وعرض عمرو لأبي موسى بولاية ووعدده عن معاوية بأشياء
فأبى أبو موسى وقال معاذ الله أن أولى معاوية وأن أقبل في حكم الله رشوة فقال
له عمرو فما تقول في ابني عبد الله وكان لعمرو بن العاص ابن اسمه عبد الله من خيار
الصحابة رضى الله عنهم فأباه أبو موسى وقال لعمرو إنك غمسته معك في هذه
الفتنة ولكن هل لك في احياء اسم عمر بن الخطاب وندبه الى عبد الله بن
عمر فأباه عمرو فلما لم يتفقا قال له عمرو يا أبا موسى فأى شئ هو رأيك قال
أبو موسى رأيي أن نخلع علياً ومعاوية رضى الله عنهم من هذا الأمر ونزج
الناس من هذه الفتنة وندع أمر الناس شورى فيخار المسلمون لأمره
من يجمعون عليه قال عمرو رضى الله عنه نعم ما رأيت وأنا معك على ذلك
ولاح وجه الحيلة وكان قد عود أبا موسى الأشعري أن يتقدمه في الكلام
يقول له أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر سننا فتعود
أبو موسى أن يتكلم قبل عمرو فتقدم أبو موسى وقال إني وعمر قد اتفقنا على
أمر نرجوا فيه صلاح المسلمين فتقدم عمرو وقال صدق وبرّ تقدم يا أبا موسى
وأعلم الناس بما اتفقنا عليه فقام بن عباس وقال لأبي موسى ويحك إني لآظنه
قد خدعك وقد أوهمك انه اتفق معك على ما تريد ثم قدمك لتعترف به

فاذا اعترفت انكره فانه رجل غادر فان كنتم قد اتفقتم على شيء فقدمه ليقوله
 قبلك فقال أبو موسى انا قد اتفقنا ثم قال اننا قد اتفقنا على أن نخلع علياً
 ومعاوية وندع أمر المسلمين شورى يختارون من أجمعوا عليه واني قد خلعت
 علياً ومعاوية من الخلافة كما يخلع الخاتم من الاصبع فتقدم عمرو بن العاص
 رضى الله عنه وقال أيها الناس قد سمعتم ما قال وانه قد خلع صاحبه وانا أيضاً
 قد خلعته معه وأثبت صاحبي معاوية فانكر أبو موسى وقال انه غدر وكذب
 وما على هذا اتفقنا فلم يسمع منه وتفرق الناس ومضى عمرو بن العاص وأهل
 الشام الى معاوية وسلموا عليه بالخلافة ومضى بن عباس وأصحاب علي عليه
 السلام الى أمير المؤمنين وأخبروه بما جرى وأما أبو موسى فان أهل الشام
 تطلبوه فهرب الى مكة * وعلى ذلك انفصل أمر صفين وكان ابتداءه في سنة
 ست وثلاثين وانقضاؤه في سنة سبع وثلاثين * حديث الخوارج وما كان
 منهم وما آلت بهم الحال اليه * لما جرى أمر التحكيم على الوجه المشروح عاد
 الذين أشاروا بالتحكيم وألزموا أمير المؤمنين عليه السلام الرضى به ندموا عليه
 ونفروا وأتوا علياً عليه السلام وقالوا لالحكمي الا الله قال علي عليه السلام لالحكمي
 الا الله قالوا فما لك حكمت الرجال قال اني لما ارض بقضية التحكيم وأتم الذين
 رضيتموها واني أعلمتكم أنها مكيدة من أهل الشام وأمرتكم بقتال عدوكم
 منهم فأبىتم الا التحكيم وغلبتموني على رأيي فلما لم يبق بد من التحكيم
 ستوثقت وشرطت على الحكمين أن يعملوا بكتاب الله عز وجل وأن يحبوا
 ما أحى الكتاب ويميتا ما أمات فاختلفا وخالفنا كتاب الله وعملا بالهوى فنحن
 على الرأي الاول في قتالهم قال الخوارج أما نحن فلا ريب انا راضينا بالتحكيم
 في أول الامر لكننا ندمنا عليه وعلمنا انا كنا مخطئين فأتت ان أقررت

على نفسك بالكفر واستغفرت الله من خطئتك وتضييعك وتحكميك الرجال
رجعنا معك الى قتال عدوك وعدونا والا فيها نحن قد نابذناك فوعظهم بكل
قول وبصرهم بكل وجه فلم يرجعوا واجتمعوا أمما من أهل البصرة والكوفة
وغيرهم وقصدوا النهروان وكان رأيهم ان يأتوا بعض المدن الحصينة فيتحصنوا
بها ويقاثلون فيها وصدرت منهم أمور متناقضة تدل على ان يخبطو خبط
عشواء * منها أن رطبة سقطت من نخلة فتناولها رجل ووضعها في فيه فقالوا
له أكلتها غصباً وأخذتها بلائعن فألقاها * ومنها ان خنزيراً لبعض أهل القرى
مر بهم فضربه أحدهم بسيفه فمقره فقالوا هذا فساد في الارض فضى الرجل
الى صاحب الخنزير وأرضاه * ومنها أنهم كانوا يقتلون النفس التي حرمت الا
بالحق قتلوا عبد الله بن خباب رضى الله عنه وكان خباب من كبار الصحابة
وقتلوا عدة نساء وسبوا وفعّلوا أفاعيل من هذا القبيل * فلما بلغ علياً عليه السلام
أمرهم وقد كان خطب الناس في الكوفة وندبهم الى قتال أهل الشام واعادة
الحرب جذعة قالوا يا أمير المؤمنين أين نمضى وندع هؤلاء الخوارج يخلفوننا
في عيالنا وأموالنا سر بنا اليهم فاذا فرغنا من قتالهم رجعنا الى قتال أعدائنا
من أهل الشام فسار عليه السلام بالناس الى الخوارج فلقبهم على النهروان
وأبادهم فكأنما قيل لهم موتوا فماتوا * كرامة لأمير المؤمنين على صلوات
الله عليه * لما التقى الخوارج بالنهروان أجفلوا قدمه الى ناحية الجسر فظن
الناس أنهم قد عبروا الجسر فقالوا العلى عليه السلام يا أمير المؤمنين انهم قد
عبروا الجسر فلقبهم قبل أن يبعدوا فقال أمير المؤمنين عليه السلام ما عبروا وان
مصارعهم دون الجسر والله لا يقتل منكم عشرة ولا يبقى منهم عشرة فشك
الناس في قوله فلما اشرفوا على الجسر رأوهم لم يعبروا فكبر أصحاب أمير المؤمنين

عليه السلام وقالوا له هو كما قلت يا أمير المؤمنين قال نعم والله ما كذبت ولا
 كذبت فلما انفصلت الواقعة وسكنت الحرب اعتبر القتل من أصحاب عليّ
 عليه السلام فكانوا سبعة وأما الخوارج فذهبت طائفة منهم قبل أن تنشب
 الحرب وقالوا والله ما ندري على أي شيء نقاتل على بن أبي طالب سنأخذ
 ناحية حتى ننظر إلى ماذا يؤل الأمر وأما الباقيون فثبتوا وقالوا فهلكوا
 جميعهم ثم ان أمير المؤمنين عليه السلام لما انقضى أمر الخوارج رجع إلى
 الكوفة وندب الناس إلى قتال أهل الشام فثاقلوا فأعاد القول عليهم ووعظهم
 وحشهم على الجهاد فقالوا يا أمير المؤمنين كلت سيوفنا وفيت نبالنا ومللنا من
 الحرب فامهلنا نصلح أمورنا ونتوجه وكان قد عسكر ظاهر الكوفة فامهلهم
 وأمرهم أن يوطنوا نفوسهم على الحرب ونهاهم عن غشيان أهاليهم حتى يرجعوا
 من الشام فصاروا يتسللون ويدخلون الكوفة حتى خلا المعسكر منهم
 فبطل رأيهم عليه السلام وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين * وفاة الأربعة *
 وفاة أبي بكر رضي الله عنه * أول من مات منهم أبو بكر مات بالمدينة خنف
 ألفه في سنة ثلاث عشرة وكان مرضه انتقاض لسعة الحياة التي لسعته ليلة
 الغار ودفن عند النبي صلوات الله عليه وسلامه في بيت عائشة إبنته رضي الله
 عنها زوج الرسول وكان الرسول صلوات الله عليه لما قبض قبض في بيتها
 فدفن أبو بكر عنده وعهد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستخلفه على
 الأمة بعسده * مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه * لما وضع عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه الخراج اغناظ من ذلك أبو لؤلؤة رضي الله عنه غلام
 المغيرة بن شعبه لانه كان قد وضع الخراج على مولاه وكان عمر بن الخطاب
 لقي أبا لؤلؤة رضي الله عنهم فقال له اصنع لي رحي فقال أبو لؤلؤة لأصنعن

لك رحي تدور مع الدهر فقال عمر يهدني العبد فطعنه وهو في الصلاة فبقى
 ثلاثة أيام ومات ودفن في تربة النبي عليه السلام وذلك في سنة ثلاث وعشرين
 من الهجرة وأما أبو لؤؤة فاجتمع الناس عليه فقتل منهم جماعة ثم أخذ
 وقتل * ذكر الشورى وصفة الحال في ذلك * لما طعن عمر اجتمع اليه الناس
 وسألوه عن يتولى الأمر بعده فجعل الأمر شورى والشورى في اللغة هي
 المشاورة ومعنى هذا أن عمر لما أحس بالموت نظر فيمن يعهد اليه ويوليّه
 أمر الأمة فلم يصح رأيّه في رجل واحد فجعلها في ستة من أكابر الصحابة
 وهم أصحاب الشورى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وعثمان بن عفان وطاحه
 والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم وقال كل
 من هؤلاء صالح للأمر بعدى وأمره أن يتشاوروا ثلاثة أيام ثم يجمعوا على
 واحد من هؤلاء الستة وكان طلحة رضي الله عنه غائباً فقال عمر إن قدم
 طلحة قبل الأيام الثلاثة وإلا فامضوا أمركم وأقام عليهم رجلا من الأنصار
 وقال ان الله أعزّ بكم الاسلام فاختر خمسين رجلا من الأنصار واستحث
 هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا وقال إن اجتمع خمسة ورضوا واحداً منهم
 وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب
 رؤسهما وان رضي ثلاثة منهم رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر
 يعني ابنه فبأى الفريقين حكم فليختاروا رجلا منهم وكان قد أمر بحضور ابنه
 في ذلك المقام مشيراً ولم يجعل له من الأمر شيئاً فان لم تختاروا بحكم عبد الله
 ابن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقيين ان
 رغبوا عما اجتمع عليه الناس فلم يجر مما قال شيء بل لما مات بوبع عثمان بن
 عفان وكان من الامر ما كان * مقتل عثمان بن عفان وسيبه * ان ناساً من

المسلمين تقموا عليه تجاوزه لطريقة صاحبيه أبي بكر وعمر رضى الله عنهم
من الثقل والكف عن أموال المسلمين وكان هو قد فرق جملة منها على أقاربه
ووسع على عياله وأهله فمن جملة ما فعل أنه أعطى عبد الله بن خالد بن أسيد
خمسين ألف درهم وأعطى مروان بن الحكم خمسة عشر ألفاً ولم يكن المسلمون
عنادوا مثل هذا التبذير وعهدهم قريب بضبط أبي بكر وعمر رضى الله عنهما
فنفروا من ذلك وجرت بينهم وبينه معانبات ومقاولات فاعنذر اليهم بأن
أبا بكر وعمر رضى الله عنهم منعوا أنفسهم وأهلها احتساباً لله وتركوا حق
نفوسهما وأنا صاحب عيال مددت يدي فوسعت على وعلى أهلي بشيء من
هذا المال فإن سخطتم هذا فأمرى لأمركم تبع فقالوا أحسنت وأأنصفت
قد أعطيت عبد الله بن خالد خمسين ألفاً ومروان خمسة عشر ألفاً قال فإني
ستعيد ذلك منهما واستعاد ما أعطاهما وكان ذا عاتبوه على صادرات أمواله
التي يحمله عليها ويحسنها له مروان بن الحكم يعتذر مرة ويلتزم لهم ما يشيرون
به عليه ويخبر مرة وفشا الأمر فاجتمع ناس من أهل الأمصار على حربه
جاء أهل مصر وناس من كل صقع وعزموا على قتله فخرج ليلاً وجاء إلى
مير المؤمنين عليه السلام وقال له يا بن عمي عليك حق وقد قصدتك ولك
سند هؤلاء القوم منزلة وهم يقبلون قولك وقد ترى جرائهم على فأخرج
نهم وردت على فركب على عليه السلام ورد الناس عنه وضمن لهم عنه حسن
سيرة فرجعوا ثم أعزل الخطب وزين له مروان بن الحكم أموالاً تقمها
نفس فاجتمعوا عليه من كل صوب وأحاطوا به وحصروه في داره فأرسل إلى
علي عليه السلام يستنصره فأرسل له ابنه الحسن عليه السلام فقاتل عنه قتلاً
شديداً حتى كان يستكفه وهو يقاتل عنه ويبذل نفسه دونه وتكاثر الناس

عليه فدخلوا عليه الدار وخبطوه بالسيوف وهو صائم والمصحف في حجره وهو يقرأ فيه فوق المصحف بين يديه وسال الدم عليه فقامت زوجته نائلة لتلتقي عنه الضرب بيدها فأصاب السيف أصابعها فأبانها وهي الأصابع التي كان يعلقها معاوية رضى الله عنه على منبر الشام مع قيص عثمان ليرقق الناس بذلك فولت المرأة دهشة فغمز ضاربها أوراكاها وقال انها لكبيرة العجز ثم قتل عثمان رضى الله عنه واحتزوا رأسه فوق نساؤه عليه وصحن وبكين فقال بعضهم دعوه فتركوه ثم داس رجل من أهل الكوفة يقال له عمير بن ضائب البرجمي أضلاعه فكسرها ثم نهبت داره حتى أخذ ما على النساء ثم حمل في تابوت بعد أيام ليدفن فقعد جماعة على الطريق يريدون رجمه فأرسل أمير المؤمنين على عليه السلام اليهم فردهم عن ذلك ودفن قريباً من البقيع ثم بعد ذلك اشترى معاوية رضى الله عنه ما حول قبره ومرججه بمقابر المسلمين وأباح للناس الدفن حوله وكان ذلك في سنة خمس وثلاثين من الهجرة وسمى يوم قتله يوم الدار لانهم هجموا عليه في داره وقتلوه بها

﴿ مقتل أمير المؤمنين على عليه السلام ﴾

نقل من عدة جهات أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول دائماً ما يمنع أشقاكم أن يخضب هذه من هذا يعني لحيته بدم رأسه وكان اذا رأى عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله ينشد

(وافر)

أريد حباه فيريد قتلى عذيرك من خيلك من مراد

وكان يقال له اذا جرى على لفظه مثل هذا يا أمير المؤمنين فلم لا تقتل فيقول كيف أقتل قاتلي وهذا يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بذلك في جملة ما أعلمه به ومما يؤكد هذا ما روى عن أنس بن مالك

رضي الله عنه قال مرض عليّ عليه السلام فدخلت عليه أعوده وعنده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فجلسنا عنده ساعة فأتى رسول الله صلوات الله عليه فنظر في وجهه فقال له أبو بكر رضي الله عنه يا بنيّ الله إنا نراه لمات فقال ان يموت هذا الآن ولن يموت حتى يملاً غيظاً ولن يموت إلا مقتولا وكان عليّ عليه السلام دائماً يحسن الى ابن ملجم لعنه الله قالوا فلما دخل شهر رمضان من سنة أربعين كان عليّ عليه السلام يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار عليهم السلام فاذا أكل لا يزيد على ثلاث قم ويقول انما هي ليلة أو ليلتان ويأتى أمر الله وأنا خيصر فلم يمض إلا ليال قلائل حتى قتل عليه السلام

وقيل انه قتل في شهر ربيع الآخر والاول أصح وهو المعول عليه

﴿ وأما كيفية قتله عليه السلام ﴾

فانه خرج من داره بالكوفة أول الفجر فجعل ينادي الصلاة يرحمكم الله فضربه ابن ملجم لعنه الله بالسيف على أم رأسه وقال الحكيم لله لا لك يا عليّ وصاح الناس وهرب ابن ملجم فقال أمير المؤمنين لا يفوتكم الرجل فشدّ الناس عليه فأخذوه واستناب عليّ عليه السلام في صلاة الصبح بعض أصحابه وأدخل داره فقال أحضروا الرجل عندي فلما حضر عنده قال له يا عدو الله ألم أحسن إليك قال بلى قال فما حملك على هذا قال شحذته أردبين صباحا وسألت الله أن يقتل به شرّ خلقه فقال أمير المؤمنين لا أراك إلا مقتولا به ولا أراك إلا من شرّ خلق الله ثم قال عليه السلام النفس بالنفس إن هلكت فاقتلوه كما قتاني وإن بقيت رأيت فيه رأيي يا بني عبد المطلب لا تجمعوا من كل صوب تقولون قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلنّ بي

إلا قاتلي ثم التفت إلى بنه الحسن عليه السلام وقال انظر يا حسن إذ
 أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثلن بالرجل فاني
 سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور
 ثم وصى بنيه بتقوى الله تعالى وبإقامة الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محله
 وحسن الوضوء وغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه
 في الدين والتثبت للأمر والتعاهد للقرآن وحسن لجوار والامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش ثم كتب وصيته ولم ينطق إلا بلا إله
 إلا الله حتى قبض صلوات الله عليه وسلامه * فلما قبض بعث الحسن عليه
 السلام إلى ابن ملجم فأحضره فقال للحسن هل لك في أمراني والله قد
 أعطيت الله عهداً أن لا أعاهد عهداً إلا وفيت به واني عاهدت الله عند الحطيم
 أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما فخل بني وبين معاوية حتى أمضي
 واقتله ولك عهد الله على أني إن لم أقتله أو قتله وسلمت أن أجئ إليك حتى
 تضع يدي في يدك فقال الحسن لا والله حتى تذوق النار ثم قدمه فقتله
 وأخذته الناس فأدرجوه في بوارى وأحرقوه بالنار

وأما مدفن أمير المؤمنين عليه السلام فإنه دفن ليلاً بالغري ثم عفي قبره إلى أن
 ظهر حيث مشهده الآن صلوات الله عليه وسلامه

وأما السبب الذي حمل ابن ملجم لعنه الله على فعله فهو أن ابن ملجم كان
 أحد الخوارج فاجتمع برجلين من خوارج وتذكروا من قتل أمير المؤمنين
 عليه السلام منهم بالهرون وقالوا ما في الحياة بعد أصحابنا نفع وتواعدوا
 على أن يقتل كل واحد منهم واحداً من ثلاثة على ابن أبي طالب ومعاوية
 وعمر بن العاص رضي الله عنهم فقال ابن ملجم أنا أكفكم علياً وقال

الآخر أنا أكفيكم معاوية وقال الآخر أنا أكفيكم عمرا فأما ابن ملجم
لعنه الله فانه رأى امرأة جميلة من بنات الخوارج فهوها فخطبها فقالت له
أريد كذا وكذا وأريد ان تقتل على بن ابى طالب فقال لها ما جئت الا لقتله
والترم لها انه يقتله ثم قتله وقتل بعده * وأما الآخر فانه مضى الى معاوية
فقتله حتى خرج فضربه بالسيف على طرف الية فلم يصنع طائلا وتطيب
لها معاوية فبرئ وقتل الرجل وقيل لم يقتله * وأما الآخر فمضى الى مصر
لقتل عمرو بن العاص فقتله فاتفق ان عمرا انحرف مزاجه في تلك الليلة فلم
يخرج في صبيحتها الى الصلاة واستتاب بعض أصحابه فلما طلع عتقده الرجل
عمرا فضربه فقتله فقبضوه واحضروه الى عمرو فلما رأى الناس يسلمون عليه
بالامارة قال من هذا قالوا الامير عمرو بن العاص قال فمن قتلت قالوا نائبه
وكان اسمه خارجة فقال الرجل لعمرو بن العاص اما والله يافاسق ما اردت
غيرك فقال عمرو اردتني واراد الله خارجة ثم قدمه عمرو فقتله * ولما بلغ عائشة
رضي الله عنها قتل على عليه السلام قالت
(طويل)
فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

❦ الدولة الاموية ❦

(وهى التى تسلمت الملك من الدولة الاولى)

لما قتل أمير المؤمنين صلوات الله عليه بايع الناس الحسن بن على
عليهما السلام فمكث شهورا حتى اجتمع هو ومعاوية فتصالحا للمصالحة
حاضرة التى كان الحسن عليه السلام أعلم بها وسلم الخلافة اليه وتوجه نحو
لمدينة وبويع معاوية رضى الله عنه بالخلافة العامة ودعى بأمر المؤمنين وذلك في

سنة أربعين من الهجرة * ذكر شئ من سيرة معاوية ووصف طرف من حاله
 * هو معاوية بن ابى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد
 مناف كان أبوه ابو سفيان أحد أشياخ مكة أسلم في السنة التي فتح الرسول
 صلى الله عليه وآله وسلم فيها مكة وأسلم معاوية وكتب الوحي في جملة من
 كتبه بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكانت أمه هند بنت عتبة
 شريفة في قریش أسلمت عام الفتح وكانت في وقعة أحد لما صرع حمزة بن
 عبد المطلب رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وآله من طعنة الحرب التي طعنها
 جاءت هند فمثلت بحمزة وأخذت قطعة من كبده فضعفها حنقاً عليه لأنه كان
 قد قتل رجالاً من أقاربها فلذلك يقال لمعاوية بن آكلة الا كباد

ولما فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة حضرت اليه متكررة في جملة نساء
 من نساء مكة أتبن لبيايعنه فلما تقدمت هند لمبايعنه اشترط صلوات الله عليه
 وآله شروط الاسلام عليها وهو لا يعلم أنها هند فأجابته بأجوبة قوية على خوفها
 منه فما قال لها وقالت قال لها صلوات الله عليه وآله وسلم تباعينى على أن
 لا تقتلن أولادكن وكانوا في الجاهلية يقتلون الاولاد فقالت هند أما نحن
 فقد ربيناهم صفاراً وقتلتهم كباراً يوم بدر فقال وعلى أن لا تعصينى في معروف
 قالت ما جلسنا هذا المجلس وفي عزمنا أن نعصيك قال وعلى أن لا تسرقن
 قالت والله ما سرقت عمري شيئاً اللهم الا أنى كنت آخذ من مال أبى سفيان شيئاً
 في بعض الوقت وكان ابو سفيان زوجها حاضراً فخذل علم رسول الله صلى
 الله عليه وآله أنها هند فقال هند قالت نعم يا رسول الله فلم يقل شيئاً لأن
 الاسلام جب ما قبله ثم قال وعلى أن لا تزنين قالت وهل تزنى الحرمة قالو
 فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله الى العباس رضى الله عنه وتبسم

* وأما معاوية رضى الله عنه فكان عاقلاً في دنياه لبيباً عالماً حليماً ملكاً قوياً جيد السياسة حسن التدبير لأمور الدنيا عاقلاً حكيماً فصيحاً بليغاً يحلم في موضع الحلم ويشند في موضع الشدة إلا أن الحلم كان أغلب عليه وكان كريماً باذلاً للمال محباً للرئاسة مشغولاً بها كان يفضل على أشرف رعيته كثيراً فلا يزال أشرف قريش مثل عبد الله بن العباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر الطيار وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وأبان بن عثمان بن عفان وناس من آل أبي طالب رضى الله عنهم يقدون عليه بدمشق فيكرم مثوam ويحسن قراهم ويقضى حوائجهم ولا يزالون يحدثونه أغلظ الحديث ويجبهونه أقبح الجبه وهو يداعبهم تارة ويتعافل عنهم أخرى ولا يعيدهم إلا بالجوائز السنية والصلوات الجملة قال يوماً لقيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه وهو رجل من الأنصار يا قيس والله كنت أود أن تنكشف الحروب التي كانت بيني وبين علي عليه السلام وأنت حتى فقال قيس والله اني كنت أكره أن تنكشف تلك الحروب وأنت أمير المؤمنين فلم يقل له شيئاً وهذا من أجل ما كانوا يخاطبونه به

وبعث إلى رجل من الأنصار بخمس مائة دينار فاستقلها الأنصارى وقال لابنه خذ ما وامنض إلى معاوية فاضرب بها وجهه وردّها عليه وأقسم على ابنه أن يفعل ذلك فجاء ابنه إلى معاوية ومعه الدراهم فقال يا أمير المؤمنين ان أبى فيه حدة وسرعة وقد امرنى بكيت وكيت وأقسم علىّ وما أقدر على مخالفته فوضع معاوية يده على وجهه وقال افعل ما أمرك أبوك وارق بعك فاستحي الصبي ورمى بالدراهم فضاغفها معاوية وحملها إلى الأنصارى وبلغ الخبر يزيد ابنه فدخل على معاوية غضبان وقال لقد افرطت في الحلم حتى خفت ان يعد ذلك منك

ضعفًا وجبنًا فقال معاوية أي بني انه لا يكون مع الخلم ندامة ولا مذمة
فامض لشأنك ودعني ورأي وبمثل هذه السيرة صار خليفة العالم وخضع له من
بناء المهاجرين والانصار كل من يعتقد انه أولى منه بالخلافة وكان معاوية
رضي الله عنه من أدهى الدهاة * روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال جلسائه تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية * ومن دهائه
ما اعتده من ستمالة عمرو بن العاص وكان عمرو بن العاص احد الدهاة
وكان أول ما نشبت الفتنة بين أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية معتزلا
للفريقين فرأى معاوية أن يستميله ويتقوى برأيه ودهائه ومكره فاستماله ووصل
حبله بحبله وولاه مصر ودخل معه في تلك المدخل وفعل في صفين ثلاث
الافاعيل ولم يكن بينهما مع ذلك مودة قلبية وكانا يتباغضان سرًا وربما ظهر
ذلك على صفحات وجوههما وقلبات الستمهما طلب أمير المؤمنين عليه السلام
في صفين من معاوية أن يخرج إلى مبارزته فقال له عمرو بن العاص رضي الله
عنه قد انصفك ولا يحسن بك النكول عن مبارزته فقال له معاوية غششتي
وأحببت قتلي أأست تعلم أن ابن أبي طالب لا يبرز له احد الا قتله وقال
معاوية يوما جلسائه ما أعجب الأشياء فقال يزيد أعجب الأشياء هذا السحاب
الركد بين السماء والارض لا يدعمه شيء من تحته ولا هو منوط بشيء من
فوقه وقال آخر أعجب لأشياء حظ يناله جاهل وحرمان يناله عاقل وقال آخر
أعجب الأشياء ما لم ير مثله وقال عمرو بن العاص أعجب الأشياء أن المبطل
يغلب الحق يعرض بعلي عليه السلام ومعاوية فقال معاوية بل أعجب الأشياء
أن يعطى الانسان ما لا يستحق اذا كان لا يخاف يعرض بعمر وومصر
فنفت كل منهما بما في صدره من الآخر

واعلم ان معاوية كان مربى دول وسأس امم وراعى ممالك ابتكر فى الدولة
اشياء لم يسبقه احد اليها * منها انه اول من وضع الحشم للملوك ورفع الخراب
بين ايديهم ووضع المقصورة التى يصلى الملك أو الخليفة بها فى الجامع منفرداً
من الناس وذلك لحوفه مما جرى لأمر المؤمنين عليه السلام فصار يصلى
منفرداً فى مقصورة فاذا سجد قام الحرس على رأسه بالسيوف * وهو أول
من وضع البريد لوصول الأخبار بسرعة

• كلام فى معنى البريد •

البريد أن يجعل خيل مضمرات فى عدة أما كن فاذا وصل صاحب الخبر
المسرع الى مكان منها وقد تعب فرسه ركب غيره فرساً مستريحاً وكذلك
يفعل فى المكاتب الآخر والآخر حتى يصل بسرعة * وأما معناه اللغوى
فالبريد هو اثنا عشر ميلاً وأظن أن الغاية التى كانوا قدروها بين بريد وبريد
هى هذا القدر وقال صاحب علاء الدين عطا ملك فى جهاز كشاي ومن
جملة الاشياء وضعهم البريد بكل مكان طلباً لحفظ الاموال وسرعة وصول
لاخبار ومتجددات الاحوال وما أرى للبريد فائدة سوى سرعة وصول
الاخبار فأما حفظ الاموال فأى تعلق له بذلك

ومما اخترع معاوية رضى الله عنه من أمور الملك ديوان الخاتم وهذا ديوان
معتبر من أكابر الدواوين لم تزل السنة جارية به الى أواسط دولة بني العباس
فأسقط ومعناه أن يكون ديوان وبه نواب فاذا صدر توقيع من الخليفة بأمر
من الامور أحضر التوقيع الى ذلك الديوان وأثبتت نسخته فيه وخزم
بخط وختم بشمع كما يفعل فى هذا الزمان بكتب القضاة وختم بخاتم صاحب
ذلك الديوان

وكان الذي حمل معاوية رضى الله عنه على اختراع هذا الديوان أنه
أحال رجلا على زياد بن أبيه أمير العراق بمائة ألف درهم فضى ذلك الرجل
وقرأ الكتاب وكانت تواقعهم تصدر غير مخنومة فجعل المائة مائتين فلما رفع
زياد حسابه الى معاوية رضى الله عنه أنكر معاوية ذلك وقال ما أحلته إلا
بمائة ألف ثم استعادها منه ووضع ديوان الخاتم فصارت التواقيع تصدر منه
مخنومة لا يدرى أحد ما فيها ولا يتمكن أحد من تغييرها

وكان معاوية رضى الله عنه مصروف المهمة الى تدبير أمر الدنيا يهون عليه
كل شيء، اذا انتظم أمر الملك فانظر الى وصف عبد الملك بن مروان له فانه لاحظ فيه
هذا المعنى * قالوا ان عبد الملك بن مروان مرّ بقبر معاوية رضى الله عنه فترحم
عليه فقال له رجل قبر من هذا يا أمير المؤمنين قال قبر رجل كان والله فيما
علمته ينطق عن علم • ويسكت عن حلم • كان اذا أعطى أغني • واذا حارب
أفنى • ووصفه أيضاً عبد الله بن العباس وكان من النقاد فقال ما رأيت أليق
من أعطاف معاوية بالرئاسة والملك * وقال له بعض بني أمية والله لو قدرت
أن تستكثر بالزنج لاستكثر بهم لينتظم لك أمر الملك

وكان معاوية رضى الله عنه نهما شحيحاً عند الطعام على كرمه وسماحته فاما
نهمه فقالوا إنه كان يأكل في كل يوم خمس أكلات آخرهن أغلظهن ثم
يقول يا غلام ارفع فوالله ما شبعتم ولكن مللت * وروى أنه أصلح له عجل
مشوى فأكل معه دستا من الخبز السمين وأربع فرانج وجدياً حاراً وآخر
بارداً سوى الألوان ووضع بين يديه مائة رطل من الباقلي الرطب فأتى عليه
* وأما شحه على الأكل فان ابن أبي بكرة دخل عليه ومعه ابنه فجعل ابنه
بأكل اكلا مفرطاً ومعاوية يلحظه وفطن ابن أبي بكرة لحلق معاوية واراد

أن ينهى ابنه عن كثرة الأكل فلم يتفق له ذلك وخرجا من عند معاوية رضى الله عنه ففى الغد حضر الأب وليس معه ابنه فقال له معاوية ما فعل ابنك قال يا أمير المؤمنين انحرف مزاجه قال قد علمت أن تلك الأكلة ما كانت تتركه حتى تهيبه . وهاهنا موضع حكاية حسنة تدل على كرم و مروءة و نبيل كان بعض الوزراء مشغوفاً بالأكل و يحب كل من يأكل معه وكل من كان أكثر أكلاً كان أقرب الى قلبه فاتفق انه قصد بعض الاكابر من العلويين وكمل عليه وجوهاً من خراج و ضمان وغير ذلك وطالبه بها فوكل عليه فى نفس داره أعنى دار الوزير ففى بعض الايام مد السماط بين يدى الوزير فقال العلوى للموكلين به إني جائع فهل نأذنون أن أخرج الى السماط وأنتم معي فأكل وأعود الى هذا الموضع وكان العلوى قد فطن لطبع الوزير فى ذلك فاستحيوا منه وأذنوا له فى ذلك فخرج وجلس فى أخربات السماط وجعل يأكل بنهم فلحظه الوزير وهو مقبل على الأكل فاستدناه ورفعاه الى صدر المجلس وقدم اليه من أطيب ذلك الطعام وكلما بالغ فى الأكل زادت بشاشة الوزير وطلاقة فلما رفع الطعام استدعى الوزير كانوا فيه نار وأحضر الحساب الذى رفع على الرجل به وقال أيها السيد قد أراحك الله من هذا المال وأنت فى حل منه ووالله وحق جدك صلوات الله عليه ليس عندي بهذا الحساب ولا فى الديوان به غير هذه النسخة ثم ألقاها فى الكانون فاحترقت وأفرج عنه وأذن له فى الرّواح الى منزله * ومما عظم على الناس عامة وعلى بني أمية خاصة قضية الاستلحاق وهى ان معاوية رضى الله عنه استلحق زياد بن أبيه وجعله أخاه ليتكثر به ويتقوى برأيه ودهائه

﴿ شرح كيفية الاستلحاق على وجه الاختصار ﴾

كانت سمية أم زياد بغياً من بغايا العرب ولها زوج اسمه عبيد فاتفق أن أبا
سفيان وهو أبو معاوية نزل بخمار يقال له أبو مريم فطلب أبو سفيان منه بغياً
فقال له أبو مريم هل لك في سمية وكان أبو سفيان يعرفها فقال هاتها على طول
ثديها وذفر بطنها (والذفر الصنان وتثن الریح) فأتاه بها فوقع أبو سفيان عليها
فعلقت منه زياد ثم وضعت على فراش زوجها عبيد فلما نشأ زياد تأدب
وبرع وتقلب في الأعمال فولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عملاً فاحسن
القيام به فحضر يوماً مجلس عمر وفيه كبار الصحابة وأبو سفيان في جملة القوم
فخطب زياد خطبة بليغة لم يسمعوا بمثلاً فقال عمرو بن العاص لله در هذا
الغلام لو كان أبوه من قریش لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان والله إني
لا أعرف أباه الذي وضعه في رحم أمه وعن نفسه فقال له أمير المؤمنين علي عليه
السلام يا أبا سفيان أسكت فانك لتعلم أن عمر لو سمع هذا القول منك لكان
اليك سرياً فلما ولي عليه السلام الخلافة استعمل زياداً على فارس فضبها وحمي
قلاعها وقام فيها مقاماً مرضياً واشتهرت كفاءته واتصل الخبر بمعاوية رضي
الله عنه فساءه أن يكون من أصحاب علي عليه السلام رجل مثل زياد وأرده
لنفسه فكذب اليه كتاباً يهدده ويعرض له بولادة أبي سفيان ويقول له انت
أخى فلم يلتفت زياد اليه وبلغ الخبر أمير المؤمنين علياً عليه السلام فكذب لي
زياد إني وليتك ما وليتك وأنا أراك له أهلاً وقد كانت من أبي سفيان فلتة من
أمانى الباطل وكذب النفس لا توجب لك ميراثاً ولا تحل له نسباً وإن معاوية
رضي الله عنه يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله
فاحذر ثم احذر والسلام * فلما قتل علي عليه السلام جد معاوية في استصفاء
مودة زياد واستمالته وترغيبه إلى الانخراط في زمرته فنشأ بينهما حديث

ولادة ابى سفيان واتفقا على الاستلحاق وحضر شهود مجلس معاوية رضى الله عنه فشهدوا بان زيادا ولد ابى سفيان فمن جملة الشهود ابو مريم الحنار الذى أحضر سمية الى ابى سفيان وكان هذا ابو مريم قد أسلم وحسن اسلامه فقال له بم تشهد يا ابا مريم فقال أشهد أن ابا سفيان حضر عندى وطلب منى بغيا فقلت له ليس عندى الا سمية فقال هاتها على قدرها ووضرها فأثبته بها فخلا معها فخرجت من عنده وانها لتقطر منيا فقال له زياد مهلا يا ابا مريم فانما دعيت شاهدا ولم تدع شاتما فاستلحقه معاوية رضى الله عنه قالوا وكان هذا الاستلحاق أول ما ردت به احكام الشريعة علانية فان رسول الله صلوات الله عليه قضى بالولد للفراش وللماهر الحجر * واعتذر قوم لمعاوية بأن قالوا انما جاز استلحاق معاوية زيادا لان انكحة الجاهلية كانت أنواعا فمن جملتها أن الجماعة اذا جامعوا بغيا ثم ولدت تلك البني ألحقت الولد بمن شاءت منهم والقول في ذلك قولها فلما جاء الاسلام حرم هذا النكاح الا انه اقر كل ولد على نسبه الى الاب الذى عرف به من أى نكاح كان من انكحتهم ولم يفرق الاسلام بين شئ من ذلك

قال آخرون صدقتم في هذا لكن معاوية رضى الله عنه توهّم أن ذلك على هذه الصورة ولم يفرق بين ما استلحق في الجاهلية والاسلام فان زيادا لم يكن يعرف في الجاهلية بابى سفيان ولم يكن منسوباً الا الى عبيد فكان يقال زياد بن عبيد وبين الصورتين بون * وقال الشاعر مشيرا الى هذه القضية

(وافر)

ألا أبلغ معاوية بن حرب	مغلغلة عن الرجل اليماني
أنفضب أن يقال أبوك عف	وترضى أن يقال أبوك زان

فأقسم ان رحمك من زباد كرحم الفيل من ولد الاتان
 (الرحم القرابة) ثم صار زياد من رجال معاوية وأعضاده فولاه البصرة
 وخراسان وسجستان وأضاف اليه الهند والبحرين وعمان وأضاف اليه في
 آخر الأمر الكوفة وكتب زياد على كتبه من زياد بن ابى سفيان وكانوا قبل
 ذلك يقولون له زياد بن عبيد تارة وتارة زياد بن سمية ومن يتجرى الصدق
 يقول زياد بن ابيه وكان زياد أحد الدهاة عظيم السياسة قوى الهبة صحيح
 العقل سديداً شهماً فظناً بليغاً * وكانت وفاة معاوية رضى الله عنه في سنة ستين
 من الهجرة * ولما أدركته الوفاة أوصى الى ابنه يزيد وصية تدل على عقله ولبه
 وخبرته بالامور ومعرفته بالرجال فلم يعمل يزيد بشئ منها وقد أثبتها هاهنا
 لحسنها وسدادها

قالوا لما مرض معاوية رضى الله عنه مرضه الذى مات فيه دعى ابنه
 يزيد فقال له يا بني إني قد كفيتك الشد والترحال ووطأت لك الأمور
 وذلت لك الأعداء وأخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك ما لم يجمعه
 أحد فانظر أهل الحجاز فانهم أصلاك فاكرم من قدم عليك منهم وتعهد من
 غاب وانظر أهل العراق فان سألوك ان تعزل كل يوم عاملاً فافعل فان عزل
 عامل أيسر من أن يشهر مائة سيف وانظر أهل الشام وليكونوا بطانتك
 فان رابك من عدوك شئ فانتصر بهم فاذا أصبتهم فاردد أهل الشام الى
 بلادهم فانهم إن أقاموا بها تغيرت أخلاقهم وإني لست أخاف عليك أن
 ينازعك في هذا الامر إلا أربعة من قريش الحسين بن على وعبد الله بن
 عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنهما فأما ابن عمر
 فرجل قد وقذته العبادة واذا لم يبق أحد غيره بايعك وأما الحسين بن على

فهو رجل خفيف ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه فان خرج وظفرت به
فاصفح عنه فان له رحما ماسة وحقاً عظيماً وقرابة من محمد صلوات الله عليه
وسلامه وأما ابن أبي بكر فان رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنعه مثله ليست له همه
إلا في النساء والهو وأما الذي يجثم لك جثوم الاسد ويراوغك مراوغة
الثعلب فان أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فان هو وثب عليك فظفرت
به فقطعه إرباً إرباً وأحقن دماء قومك ما اسنطعت

وفي هذه الوصية دليل على ما سبق من وفور رغبته في تدبير الملك
وشدة كلفه بالرئاسة

ثم ملك بعده ابنه يزيد * كان موفر الرغبة في الهو والقنص والحر
والنساء والشعر وكان فصيحاً كريماً شاعراً مفلحاً قالوا بدئ الشعر بملك
وختم بملك إشارة الى امرئ القيس واليه فمن شعره (بسيط)

جاءت بوجه كأن البدر برقه	نوراً على مأس كالغصن معتدل
إحدى يديها تماطيني مشعشة	تخدها عصفرته صبغة الحجل
ثم استبدت وقالت وهي عالمة	بما تقول وشمس الراح لم تقل
لا ترحلن فما أبقيت من جلدي	ما أستطيع به توديع مرتحل
ولا من النوم ما ألقى الخيال به	ولا من الدمع ما أبكى على الطلل

كانت ولايته على أصح القولين ثلاث سنين وستة أشهر ففي السنة
الأولى قتل الحسين بن عليّ عليهما السلام وفي السنة الثانية نهب المدينة
وأباحها ثلاثة أيام وفي السنة الثالثة غزا الكعبة

فنبأ بشرح قتل الحسين عليه السلام

﴿ شرح كيفية الحال في ذلك على وجه الاختصار ﴾

هذه قضية لا أحب بسط القول فيها استعظماً لها واستفظاعاً فانها قضية
 لم يجر في الاسلام أعظم فحشاً منها ولعمري إن قتل أمير المؤمنين عليه السلام
 هو الطامة الكبرى ولكن هذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع والسبي
 أو التمثيل ما تقشعر له الجلود واكتفيت أيضاً عن بسط القول فيها بشهرتها فانها
 شهر الطامات فلعن الله كل من باشرها وأمر بها ورضى بشيء منها ولا تقبل
 الله منه صرفاً ولا عدلاً وجعله من (الأخسرين أعمالاً) الذين ضل سعيهم في
 الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (وجملة ما جرى في ذلك أن
 يزيد لعنه الله لما بويج لم يكن له هم إلا تحصيل بيعة الحسين رضي الله عنه
 والنفر الذي حذره أبوه منهم فأرسل إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو
 يومئذ أمير المدينة يأمره بأخذ البيعة عليهم فاستدعاهم فحضر الحسين عليه
 السلام عنده فأخبره بموت معاوية رضي الله عنه ودعاه إلى البيعة فقال له
 الحسين عليه السلام مثلي لا يبايع سراً ولكن اذا اجتمع الناس نظرنا ونظرت
 ثم خرج الحسين عليه السلام من عنده وجمع أصحابه وخرج من المدينة
 قاصداً مكة متأبياً من بيعة يزيد آنفاً من الانحراف في زمرة رعيته فلما استقر
 بمكة اتصل بأهل الكوفة تأبيه من بيعة يزيد وكانوا يكرهون بني أمية
 خصوصاً يزيد لقبح سيرته ومجهرته بالمعاصي واشتباره بالقبائح فراسلوا
 الحسين عليه السلام وكتبوا إليه الكتب يدعونه إلى قدوم الكوفة ويهدلون
 له النصر على بني أمية وجتمعوا وتحالفوا على ذلك وتابعوا الكتب إليه في
 هذا المعنى فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه
 فلما وصل إلى الكوفة فشا الخبر إلى عبيد الله بن زياد لعنه الله وأحلّه دار الحزى
 وكان يزيد قد أمره على الكوفة حين بلغه مرسلته أهلها الحسين عليه السلام

وكان مسلم قد التجأ الى دار هانيء بن عروة رضى الله عنه وكان من أشراف
هل الكوفة فاستدعاه عبيد الله بن زياد وطلبه منه فأبى فضرب وجهه
بالقضيب فهشمه ثم أحضر مسلم بن عقيل رضى الله عنهما فضربت عنقه فوق
القصر فهوى رأسه وأتبع جثته رأسه * وأما هانيء فأخرج الى السوق
فضربت عنقه * وفي ذلك يقول الفرزدق

(طويل)

وان كنت لا تدرين ما الموت فانظري الى هانيء في السوق وابن عقيل
الى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر يهوي من طمار قتيل
ثم إن الحسين عليه السلام خرج من مكة متوجهاً الى الكوفة وهو
لا يعلم بحال مسلم فلما قرب من الكوفة علم بالحال ولقيه ناس فأخبروه الخبر
وحسروه فلم يرجع وصمم على الوصول الى الكوفة لأمر هو أعلم به من
الناس فأرسل ابن زياد اليه عسكرياً أميره عمر بن سعد بن ابى وقاص فقاتل
الحسين عليه السلام وأصحابه حين التقى الجمعان قتالاً لم يشاهد أحد مثله حتى
فنى أصحابه وبقي هو عليه السلام وخاصته فقاتلوا أشد قتال رآه الناس ثم
قتل الحسين عليه السلام قتلة شنيعة ولقد ظهر منه عليه السلام من الصبر
والاحتساب والشجاعة والورع والخبرة التامة بأداب الحرب والبلاغة ومن
هله وأصحابه رضى الله عنهم من النصر له والمواساة بالنفس وكرامية الحياة
بعده والمقاتلة بين يديه عن بصيرة ما لم يشاهد مثله ووقع النهب والسبي في
عسكره وذرائه عليهم السلام * ثم حمل النساء ورأسه صلوات الله عليه الى
يزيد بن معاوية بدمشق فجعل ينكت ثيابا الحسين عليه السلام بالقضيب ثم
ردّ نساءه الى المدينة

وكان قتل الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء من سنة إحدى وستين

* (شرح كيفية وقعة الحرة) *

ثم ثنى بقتال أهل مدينة سيدنا رسول الله صلوات الله عليه وسلامه
وهي وقعة الحرة بالحاء المفتوحة غير معجمة ومبدأ الامر فيها أن أهل المدينة
كروهوا خلافة يزيد وخلعوه وحصروا من كان بها من بني أمية وأخافوه
فأرسل بنو أمية رسولا الى يزيد يعلمه حالهم فلما وصل الرسول الى يزيد وأخبره
بذلك تمثل

(طويل)

لقد بدلوا الحلم الذي في سجيتي فبدلت قومي غلظة بليان
ثم ندب اليها عمرو بن سعيد فأحجم عنها وأرسل يقول له إني قد ضبطت
لك الامور والبلاد* وأما الآن اذ صارت دماء قريش تهراق بالصعيد فلا
أحب أن أتولى ذلك فندب عبيد الله بن زياد لذلك فاعتذر وقال والله
لا جمعتهما للفاسق أقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأغزو مدينته
والكعبة فندب اليها مسلم بن عقبة المري وكان شيخا كبيرا مريضا الا أنه
كان احد جبابرة العرب وشياطينهم وقيل ان أباه قال له ان خالفك أهل
المدينة فارمهم بمسلم بن عقبة فتوجه اليها مسلم بن عقبة وهو مريض فحاصرها
من جهة الحرة وهو موضع بظاهر المدينة فنصب لمسلم بن عقبة كرسي بين
الصفين وجلس يحرض أصحابه على القتال حتى فتحها وقتل في ذلك الوقعة
جماعة من أعيانها* فيقال ان أبا سعيد الحدري رضي الله عنه صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله خاف فأخذ سيفه وخرج الى كهف هناك
ليدخل اليه ويعتصم به فتبعه بعض أهل الشام نخافه أبو سعيد وسل سيفه
عليه ليرؤعه فسل الآخر سيفه فلما وصل الى أبي سعيد قال له (إن بسطت
يدك اليّ لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك) فقال له الشامي من أنت

قال أنا أبو سعيد قال صاحب رسول الله قال نعم فمضى وتركه ثم أباح مسلم
ابن عقبة المدينة ثلاثاً فقتل ونهب وسبي فقيلاً من الرجل من أهل المدينة
بعد ذلك كان إذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها ويقول لعلها قد افتضت في
وقعة الحرة وسمى مسلم بن عقبة مسرفاً

﴿ شرح كيفية غزو الكعبة ﴾

ثم ثلث يزيد بغزو الكعبة فأمر مسلم بن عقبة بقصدها وغزوها بعد
فراغه من أمر المدينة فتوجه مسلم إليها وكان عبد الله بن الزبير بها وقد دعا
إلى نفسه وتبعه أهل مكة فمات مسلم في الطريق واستخلف على الجيش رجلاً
كان يزيد أوصاه بتأثيره إن هلك فمضى بالجيش إلى مكة وحصرها وبرز
بن الزبير إليه في أهل مكة ونشبت الحرب وقال راجز أهل الشام

(رجز)

خطارة مثل الفنيق المزبد يرمي بها أعواد هذا المسجد

وهم في ذلك إذ ورد نعي يزيد فرجعوا

(ثم ملك بعده ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية) كان صبيّاً ضعيفاً ملك
أربعين يوماً وقيل ثلاثة أشهر ثم قال للناس أي ضعفت عن أمركم فالتفت
إلهم مثل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلم يجد فالتفت ستة مثل أهل
الشورى فلم يجد فأنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتهم فما كنت لأتزوجها
ميتاً وما استمتعت بها حياً ثم دخل داره وتنبأ أياماً ومات وقيل مات مسموماً
وليس له من الأخبار ما يؤثر

(ثم ملك بعده مروان بن الحكم) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص

ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف

ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية ما ج الناس فأراد اهل الشام
 بني أمية وأراد غيرهم عبد الله بن الزبير ثم غلب من رأيه في بني أمية لكنهم
 اختلفوا فيمن يولونه فقال ناس منهم الى خالد بن يزيد بن معاوية وكان
 فصيحاً بليغاً وقيل انه أصاب عمل الكيمياء وكان صيباً ومال ناس الى مروان
 ابن الحكم لسنه وشيخوخته وكرهوا خالدا لصبوته ثم بايعوا مروان وقاد
 الجنود وفتح مصر وكان يقال له ابن الطريد وذلك لان أباه الحكم طرده
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة

فلما ولي عثمان بن عفان رضى الله عنه رده اليه وانكر المسلمون ذلك
 منه فاحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وعده برده ورويت أحاديث
 واخبار في لعنة الحكم بن العاص ولعنة من في صلبه وضعفها قوم وكان من
 أراد ذم مروان وعييه يقول له يا ابن لزرقاء قالوا وكانت الزرقاء جدتهم من
 ذوات الرايات التي يستدل بها على بيوت البغايا في الجاهلية فلذلك كانوا يذمون
 بها وكان مروان حين بويع قد تزوج أم خالد زوجة يزيد بن معاوية ليصغر
 بذلك شأن خالد فيسقط عن درجة الخلافة فدخل خالد يوما على مروان
 فقال له مروان يا ابن الرطبة ونسبه الى الحمق ليصغر أمره عند اهل الشام
 فحجل خالد ودخل على أمه وأخبرها بما قال له مروان فقالت لا يعلمن احد
 أنك أعلمتني وناأ كفيك ثم ان مروان نام عندها ليلة فوضعت على وجهه
 وسادة ولم ترفعها حتى مات واراد ابنه عبد الملك أن يقتلها فقيّل له يتحدث
 الناس أن اباك قتلته امرأة فتركها وكانت ولاية مروان تسعة اشهر وبعض
 شهر وذلك تأويل قول امير المؤمنين ان له إمرة كلعقة الكلب أنفه * وفي
 تلك الايام أخذت الشيعة بثأر الحسين عليه السلام

﴿ شرح كيفية ذلك على وجه الاختصار ﴾

لما هدأت الفتنة بعد قتل الحسين عليه السلام وهلك يزيد بن معاوية
 جتمع ناس من أهل الكوفة وندموا على خذلانهم الحسين عليه السلام
 ومقاتلتهم له ونصره لقتلته بعد ارسالهم اليه واستدعائهم منه القدوم عليهم
 وبذلهم له النصر وتابوا من ذلك فسموا التوابين ثم انهم تحالفوا على بذل
 نفوسهم ومواهلهم في الطلب بثأره ومقاتلة قتلته واقرار الحق مقره في رجل
 من آل بيت نبيهم صلوات الله عليه وسلامه وأمروا عليهم رجلا منهم يقال
 له سليمان بن صرد رضى الله عنه فكاتب الشيعة بالامصار يندبهم الى ذلك
 فأجابوه بالموافقة والمساعدة ثم ظهر في تلك الايام المختار بن عبيد الثقفي
 وكان رجلا شريفاً في نفسه على الهدى كريماً فدعا الى محمد بن علي بن أبي
 طالب عليه السلام وهو المعروف بابن الحنفية وكانت تلك الايام أيام فتن
 وذلك ان مروان كان خليفة بالشام ومصر مبايعاً جالساً على سرير الملك
 وعبد الله بن الزبير خليفة بالحجاز والبصرة مبايع مع الجنود والسلاح
 والمختار بن أبي عبيد بالكوفة ومعه الناس والجنود والسلاح وقد أخرج أمير
 الكوفة عنها وصار هو أميرها يدعو الى محمد بن الحنفية

ثم ان المختار قويت شوكته فقتل بقنلة الحسين فضرب عنق عمر بن
 سعد وابنه وقال هذا بالحسين وابنه عليّ ووالله لو قتلت به ثلثي قریش ماوفوا
 بأثملة من أنامله ثم ان مروان أرسل عبيد الله بن زياد في جيش كشف فأرسل
 اليه المختار ابراهيم بن مالك الأشتر فقتله بنو حى الموصل وأرسل برأسه
 الى المختار فالقى في القصر فيقال ان حية دقيقة تخطت رؤوس القتلى ودخات
 في فم عبيد الله فخرجت من منخره ثم دخات في منخره فخرجت من فيه

فعلت ذلك مراراً ثم ان عبد الله بن الزبير أرسل أخاه مصعباً وكان شجاعاً الى المختار فقتله * ومات مروان بن الحكم في سنة خمس وستين وبويع ابنه عبد الملك

(ثم ملك ابنه عبد الملك بن مروان) كان عبد الملك ليبياً عاقلاً عالماً ملكاً جباراً قوى الهمة شديد السياسة حسن التدبير للديار في أيامه نقل الديوان من الفارسية الى العربية واخترعت سياقة المستعربين وهو أول من نهى الرعية عن كثرة الحديث بحضرة الخلفاء ومراجعتهم وكانوا يتجروؤن عليهم وقد تقدم شرح ذلك وهو الذي سلط الحجاج بن يوسف على الناس وغزا الكعبة وقتل عبد الله بن الزبير وأخاه مصعباً من قبله

ومن ظريف ما وقع في ذلك أن عبد الملك لما أرسل يزيد بن معاوية الجيش لقتال أهل المدينة وغزو الكعبة امتعض عبد الملك من ذلك غاية الامتعاض وقال ليت السماء انطبقت على الأرض فلما صار خليفة فعل ذلك وأشد منه فانه أرسل حجاج خصار بن الزبير وغزو مكة وكان عبد الملك قبل الخلافة أحد فقهاء المدينة وكان يسمى حمامة المسجد لمداومته تلاوة القرآن فلما مات أبوه وبشر بالخلافة أطبق المصحف وقال هذا فراق بيني وبينك وتصدى لأموار الدنيا وقيل إنه قال يوماً اسعید بن المسيب ياسعید قد صرت أفعل الخير فلا أسر به وأصنع الشر فلا أساء به فقال له سعید بن المسيب الآن تكامل فيك موت القاب * في أيامه قتل عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب أمير العراق

فأما عبد الله بن الزبير فانه كان قد اعتصم بمكة وبإيعة أهل الحجاز وأهل العراق وكان عظيم الشح فلذلك لم يتم أمره فارسل الحجاج اليه فحاصره

بمكة ورمي السكبة بالمنجنيق وحاربه وخذله أهله وأصحابه فدخل على أمه
وقال لها يا أمت قد خذاني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبق معي غير نفر
يسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوني ما أردت من
لدينا فما رأيك فقالت له انت اعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق
فامض لشأنك ولا تتمكن من رقبتيك غلمان بني أمية وان كنت انما أردت
لدينا فبئس العبد انت اهلكك نفسك ومن معك وكم خلودك في الدنيا
القتل أحسن فقال يا أمت اني أخاف ان قتلوني ان يمشلوا بي قالت يا بني ان
الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها وما زالت تحرضه بهذا وأشباهه حتى خرج
فصمم على المناجزة فقتل وأرسل الحجاج بالبشارة الى عبد الملك وكان ذلك
سنة ثلاث وسبعين

وأما أخوه مصعب بن الزبير امير العراق فكان شجاعا جريلا جليل القدر
مدحا تزوج سكينه بنت الحسين عليه السلام وعائشة بنت طلحة وجمعها
في داره وكانت من أعظم النساء قدرا ومالا وجمالا فقتل عبد الملك يوما
جلوسه من أشجع الناس قالوا انت قال لا لكن أشجع الناس من جمع في
داره بين عائشة بنت طلحة وسكينه بنت الحسين يعني مصعبا ثم تجهز عبد
الملك لقتال مصعب وودع زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية فلما ودعها بكت
فبكي جواريتها لبكائها فقال عبد الملك قاتل الله كثير عزة كأنه شاهد هذا
حين قال

(طويل)

إذا ما أراد الغزولم يثن همه
حصان عليها نظم در يزيها
نهته فلما لم تر النهي نافعا
بكت فبكي مما شجاها قطيها
ثم ثار الى حرب مصعب فالتقيا بأرض دجيل فاقتتلا قتالا شديدا

وقتل مصعب وذلك في سنة إحدى وسبعين

وكان عبد الملك أديباً ذكياً فاضلاً قال الشعبي ما ذا كرت أحداً لا
وجدت لي الفضل عليه لا عبد الملك بن مروان فاني ما ذا كرت حديثاً إلا
زادني فيه ولا شعراً إلا زادني فيه

وقيل لعبد الملك لقد أسرع اليك الشيب قال شيبني صعود المنابر
واخوف من لحن وكان للحن عندهم في غاية القبح * ومن آرائه ما أشار به
وهو صبي على مسلم بن عقبة المري حين أرسله يزيد بن معاوية لقتال أهل
المدينة فوصلها وبنو أمية محاصرون بها ثم أخرجوا فلما لقيهم مسلم بن عقبة
استشار بعبد الملك بن مروان وكان حدثاً فقال له الرأي أن تسير بمن معك
فاذا انتهيت إلى أدنى نخلها نزلت فاستظل الناس في ظله وأكلوا من صفوه
فاذا أصبحت مضيت وتركت المدينة على اليسار ثم درت بها حتى نأيتهم من
قبل حرّة مشرقاً ثم تستقبل القوم فاذا استقبلتهم وقد طلعت الشمس عليه
طلعت بين أكتاف أصحابك فلا تؤذيهم بل يصيب أهل المدينة أذاها ويرون
من إئتلاف بيضكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم ما لا ترونه أتم
مادموا مغربين ثم قائلهم واستعين بالله * وقال عبد الملك يوماً جلسائه
نقولون في قول القائل
(طويل)

أهيم بدعد ما حيت فان أمت فوا حرباً من يهيم بها بعدى
قالوا معنى حسن قال هذا ميت كثير الفضول ليس هذا معنى جيد
فالوا صدفت قال فكيف كان ينبغي أن يقول فقال رجل منهم كان ينبغي أن
يقول
(طويل)

أهيم بدعد ما حيت فان أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

قال عبد الملك هذا ميت ديوث قالوا فكيف ينبغي أن يكون قال كان
ينبغي أن يقول (طويل)

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدى
قالوا أنت يا أمير المؤمنين أشعر الثلاثة * ولما اشتد مرضه قال اصعدوني
على شرف فأصعدوه إلى موضع عال فجعل يتشم الهواء ثم قال يا دنيا ما
أطيبك إن طويلك أقصير وإن كثيرك لحقير وإن كنا منك لفي غرور وتمثل
بمهددين البيتين (خفيف)

إن تناقش يكن نقاشك يار بّ عذاباً لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فأنت ربّ صفوح عن مسيء ذنوبه كالتراب
ولما مات صلى عليه ابنه الوليد فتمثل هشام ابنه الآخر

(طويل)

فما كان قيس هلكه هلاك واحد ولكنه بنيان قوم تهتما
فقال له الوليد اسكت فأنت تتكلم بلسان شيطان الا قلت كما قال

(طويل)

الآخر

إذا سيد منا مضى قام سيد قوول لما قال الكرام فعول
وأوصى عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز حين مضى إلى مصر
ميراً عليها فقال له ابسط بشرك وأن كنفك وآثر الرفق في الأمور فانه ابلغ
بك وانظر حاجبك فليكن من خير اهلك فانه وجهك ولسانك ولا يقفن
حد ببابك الا اعلمك مكانه لتكون انت الذي تأذن له او ترده واذا خرجت
لي مجلسك فابدأ بالسلام يأسوا بك وثبت في قلوبهم محبتك واذا انتهى
لك مشكل فاستظهر عليه بالمشاورة فانها تفتح مغاليق الأمور واذا

سخطت على احد فأخر عقوبته فانك على العقوبة بعد التوقف عنه اقدر منك
على ردها بعد امضائها * وكانت وفاته في سنة ست وثمانين
* (ثم ملك ابنه الوليد) *

كان الوليد من افضل خلفائهم سيرة عند اهل الشام بنى الجوامع جامع دمشق
وجامع المدينة على ساكنها افضل السلام والمسجد الاقصى واعطى المجذمين
ومنهم من سؤال الناس واعطى كل مقعد خادماً وكلّ ضرير قائداً وفتح في
خلافته فتوحاً عظيماً * منها الاندلس وكاشغر والهند وكان شديد الكلف بالعمارات
والأبنية واتخاذ المصانع والضياع وكان الناس يلتقون في زمانه فيسئل بعضهم
بعضاً عن الابنية والعمارات * وكان أخوه سليمان يحب الطعام والنكاح فكان
الناس في خلافته اذا التقوا سأل بعضهم بعضاً عن الطعام والنكاح * وكان
عمر بن عبد العزيز صاحب عبادة وثلاوة فكان الناس اذا تلاقوا في أيامه سأل
بعضهم بعضاً ما وردك الليلة وكم تحفظ من القرآن وكم تقوم من الشهر

وهذا من خواص الملك التي تقدم شرحها * وكان حاناً لا يحسن النحو
فدخل عليه يوماً بعض الاعراب فتقرب اليه بقرابة بينه وبينه فقال له الوليد
من خنتك وفتح النون فظن الاعرابي أنه يسئل عن الخنا فقال بعض
الاطباء فقال له سليمان أخوه انما يقول لك أمير المؤمنين من خنتك وضم
سليمان النون فقال الاعرابي نعم خنتي فلان وذكر قرابته

وعاتبه أبوه عبد الملك على اللحن وقال له انه لا يلي العرب الا من
يحسن كلامهم قد دخل الوليد بيتاً وأخذ معه جماعة من علماء النحو وأقام مدة
يشتغل فيه فخرج أجهل مما كان يوم دخوله فلما بلغ ذلك عبد الملك قال
قد أعذر

* (ثم ملك بعده أخوه سليمان بن عبد الملك) *

كانت أيامه ذات فتوح متوالية وكان غيوراً شديداً الفيرة وكان نهماً فيقال إن الطباخ كان يأتيه بالشواء فلا يصبر حتى يبرد فيأخذه بكمه وكان فصيحاً بليغاً
* (وها هنا موضع حكاية) *

(قال الأصمعي) كنت مرة أفلاوض هرون الرشيد فجري حديث أصحاب النهم فقلت كان سليمان بن عبد الملك شديد النهم وكان إذا أتاه الطباخ بشواء للقاه فأخذه بأحكامه فقال الرشيد ما أعلمك يا أصمعي بأخبار الناس لقد اعترضت منذ أيام جباب سليمان فوجدت أثر الدهن في أحكامها فظننته طيباً قال الأصمعي ثم أمر لي بجبة منها * وقيل إن سليمان لبس يوماً حلة خضراء وعمامة خضراء ونظر في المرأة فقال أنا الملك الفتي ثم نظرت إليه جارية من جواريه فقال ما تنظرين قالت

(خفيف)

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان

ليس فيما علمته فيك عيب كان في الناس غير أنك فان

فلم تمض الا جمعة واحدة حتى مات وكانت وفاته في سنة تسع وتسعين

* (ثم ملك بعده عمر بن عبد العزيز بن مروان) *

لم يمرض سليمان بن عبد الملك مرضته التي مات فيها عزم على ان يبائع لبعض أولاده فنهاه بعض أصحابه وقال له يأمير المؤمنين انه مما يحفظ الخليفة في قبره ان يستحفظ على الناس رجلاً صالحاً فقال سليمان استخير الله وأفعل ثم استشاره في عمر بن عبد العزيز فأشار عليه به وأثنى عليه خيراً فكتب سليمان عهداً الى عمر بن عبد العزيز وختمه ودعا أهل بيته وقال بايعوا لمن قد عهدت اليه في هذا الكتاب ولم يعلمهم به فبايعوا ثم لما مات جمعهم ذلك الرجل الذي أشار عليه بعمر بن

عبد العزيز وقد كنتم موت سليمان عنهم وقال لهم بايعوا مرة أخرى فبايعوا فلما رأى انه قد أحكم الامر أعلمهم بموت سليمان

وكان عمر بن عبد العزيز من خيار الخلفاء عالماً زاهداً عابداً نقيّاً ورعاً سار سيرة مرضية ومضى حميداً هو الذي قطع السبّ عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وسلامه وكان بنو أمية يسبونهم على المنابر قال عمر بن عبد العزيز كان أبي عبد العزيز بن مروان يمر في خطبته بهذه هذه حتى اذا وصل الى ذكر أمير المؤمنين على عليه السلام تتعق قال فقلت له ذلك فقال يا بني أدركت هذا مني قلت نعم قال يا بني أعلم أن العوام لو عرفوا من على بن أبي طالب ما نعرفه نحن لفرقوا عنا الى ولده فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة قطع السبّ وجعل مكانه قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) * ومدحه الشعراء على ذلك * فمن مدحه على ذلك كثير عزه بقوله (طويل)

وليت فلم تشتم علياً ولم تحف	برياً ولم تتبع مقالة مجرم
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي	فعلت فأضحى راضياً كلّ مسلم
وقد لبست لبس المهلوك ثيابها	وأبدت لك الدنيا بخد ومعصم
وتومض أحياناً بعين مريضة	وتبسم عن مثل الجمان المنظم
فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما	سقتك مدوفاً من سمّ وعلم
وقد كنت منها في جبال أرومها	ومن بحرها في زاخر السيل مغم
ورثاه الشريف الرضى الموسوى بقوله (خفيف)	

يا ابن عبد العزيز لو بكى العيين فتي من أمية لبيكيتك
انت انقذتنا من السب والشتيم فلو امكن الجزاء جزيتك

غير أني أقول إنك قد طببت وإن لم يطب ولم يرك بيتك
 دير سمان لا عدتك الغواذي خير ميت من آل مروان ميتك
 واليه الإشارة بقولهم الأشج والناقص أعدلا بني مروان
 وسيجيء ذكر الناقص فيما بعد إن شاء الله تعالى * وكانت وفاته بدير
 سمان في سنة إحدى ومائة

﴿ثم ملك بعده يزيد بن عبد الملك﴾

كان خلبع بني أمية شغف بجاريتين اسم أحدهما سلامة واسم الأخرى
 حبابة فقطع معها زمانه قالوا فغنت يوماً حبابة
 بين التراق والهامة حرارة ما تطمئن ولا تسوغ فتبرد
 (كامل)

فأهوى يزيد بن عبد الملك ليظير فقالت يا أمير المؤمنين لنا فيك حاجة
 فقال والله لأطيرن قالت فعلى من تدع الامة قال عليك وقبل يدها فخرج
 بعض خدمه وهو يقول سخنت عينك فما أسخنك * فانظر الى هذا والى
 أبيه عبد الملك حين خرج الى قتال مصعب بن الزبير وصدته عاتكة بنت
 يزيد بن معاوية فلم يلتفت اليها واستشهد بدينك البيتين وقد سبق شرح
 ذلك في ترجمة عبد الملك بن مروان * ولم تكن دولة يزيد طائلة ولا وقع
 فيها من الفتوح والوقائع ما تحسن حكايته * وكانت وفاته في سنة خمس ومائة
 عشراً وصباية

﴿ثم ملك بعده أخوه هشام بن عبد الملك﴾

كان هشام بخيلاً شديداً بالبخل إلا أنه كان غزير العقل حليماً عفيفاً امتدت
 أيامه وجرى فيها وقائع * فمن وقائعها الشهيرة قتل زيد بن علي بن الحسين بن
 علي بن أبي طالب عليه السلام

شرح مقتل زيد بن علي بن الحسين إمام الزيدية رضى الله عنه
 كان زيد من عظماء أهل البيت عليهم السلام علماً وزهداً وورعاً
 وشجاعة ودينياً وكرماً وكان دائماً يحدث نفسه بالخلافة ويرى أنه أهل لذلك
 وما زال هذا المعنى يتردد في نفسه ويظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه
 حتى كانت أيام هشام بن عبد الملك فاتمه بوديعة خالد بن عبد الله القسري
 أمير الكوفة فحملة إلى يوسف بن عمر أميرها في ذلك العصر فاستحلفه أن
 ما لخالد عنده مالا وخلي سبيله فخرج ليتوجه إلى المدينة ف تبعه أهل الكوفة
 وقالوا له أين تذهب يرحمك الله ومعك مائة ألف سيف نضرب بها دونك
 وليس عندنا من بنى أمية إلا نفر قليل لو أن قبيلة واحدة مناصدت لهم
 لكفهم بأذن الله ورغبوه بهذا وأمثاله فقال لهم يا قوم اني أخاف غدركم
 فانكم فعلتم بجدي الحسين عليه السلام ما فعلتم وأبى عليهم فقالوا نناشدك الله
 إلا ما رجعت ونحن نبذل أنفسنا دونك ونعطيك من الأيمان والعهود
 والمواثيق ما تنق به فاننا نرجو أن تكون المنصور وأن يكون هذا الزمان
 الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية فلم يزالوا به حتى ردوه فلما رجع إلى الكوفة
 أقبلت الشيعة تختلف إليه يبائعونه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألفاً من
 أهل الكوفة سوى أهل المداين والبصرة وواسط والموصل وأهل خراسان
 والري وجرجان والجزيرة وأقاموا بالكوفة شهوراً ثم لما تم الأمر لزيد
 وخفقت الألوية على رأسه قال الحمد لله الذي أكمل لي ديني والله اني كنت
 أستحي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أرد عليه الخوض غداً ولم أمر
 في أمته بمعروف ولم أنه عن منكر فلما اجتمع الناس مع زيد أظهر أمره وناشد
 من خالفه فجمع له يوسف بن عمر جموعاً وبرز إليه وعي كل منهما أصحابه

والتقى الفريقان وجرى بينهم قتال شديد* ففترق اصحاب زيد عنه وخذلوه
فبقى في شردمة يسيرة فأبلى هو رضى الله عنه بلاء حسناً وقاتل قتالا شديدا
جاءه سهم فأصاب جبينه فطلب حداً ففرغ السهم من جبينه فكانت فيه
نفسه فمات رضى الله عنه من ساعته فحفر له اصحابه في ساقية ودفنوه فيها
وأجروا الماء على قبره خوفاً أن يمثلوا به فلما استظهر يوسف بن عمر أمير
الكوفة تطلب قبر زيد فلم يعرفه فدلّه عليه بعض العبيد فنبشه وأخرجه فصلبه
فبقى مدة مصلوباً ثم أحرق وذرى رماده في القرات رضى الله عنه وسلم عليه
ولعن ظالميه وغاصبيه حقه فلقد مضى شهيداً مظلوماً

وفي أيامه أنبث دعاة بنى العباس في البلاد الشرقية وتحركت الشيعة
خفية وغزت جنود هشام الأتراك بما وراء النهر* وكانت لجنوده الغلبة ثم بعد
ذلك قتل خاقان

(ثم ملك بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك)*

كان من فتيان بنى أمية ووظرفائهم وشجعانهم وأجواده وأشدائهم منهمكا
في اللهو والشرب وسماع الغناء وكان شاعراً محسناً له أشعار حسنة في العتاب
والغزل ووصف الخمر فمن جيد شعره ما كتبه الى هشام بن عبد الملك وقد
عزم على خلعه وكان هشام لما رأى استهتار الوليد بالمعاصي وعكوفه على اللذات
طمع في الخلافة لابنه وأراد على أن يخلع نفسه وتناوله بلسانه وتهده فكتب
اليه الوليد بن يزيد

(طويل)

كفرت يدا من منعم لو شكرتها	جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن
رأيتك تبنى جاهداً في قطيعي	ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
أراك على الباقيين تجنى ضغينة	فيا ويحهم إن مت من شر ما تبني

كأنى بهم يوماً وأكثر قولهم ألا ليت أنا حين ياليت لا ينفى
وقد سرق الناس معانيه وأودعوها أشعاره * فمن سرق معانيه أبو
نواس أخذ معانيه في وصف الخمر

(ومما يحكى عن الوليد بن يزيد) أنه استفتح فألاً في المصحف فخرج
(واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فألقاه ورماد بسهام وقال (وافر)
تهددنى بجبار عنيد نعم أنا ذاك جبار عنيد
إذا ماجئت ربك يوم بعث فقل يارب خرقتى الوليد

(فلم يلبث بعده هذا إلا سيراً حتى قتل) وكان السبب في قتله أنه
كان قبل الخلافة على ما وصفنا من الهو والشرب واتهمك حرمت الله عزَّ
وجلّ فلما أفضت إليه الخلافة لم يزد إلا أنهما كافي اللذات واستهتاراً بالمعاصي
وضم إلى ذلك ما ارتكبه من اغصاب أكابر أهله والاساءة إليهم وتفجيرهم
فاجتمعوا عليه مع أعيان رعيته وهجموا عليه وقتلوه وكان المتولى لذلك يزيد
ابن الوليد بن عبد الملك وذلك في سنة ست وعشرين ومائة

(ثم ملك بعده يزيد بن الوليد بن عبد الملك) *

كان يظهر النسك وكان يقال أنه قدرى وسمى الناقص لأنه نقص من
اعطيات أهل الحجاز ما كان قد زاده الوليد بن يزيد بن عبد الملك فسمى الناقص
لهذا السبب * ولما بويع بالخلافة خطب الناس وقال لهم كلاماً حسناً أنا مثبته هاهنا
لحسنه خطبهم وذكر الوليد بن يزيد والحادة وقال سيرته كانت خبيثة وكان منهكاً
لحرمت الله فقتلته ثم قال أيها الناس ان لكم على أن لا أضع حجراً على حجر
ولا لبنه على لبنه ولا أكرى نهراً ولا أكنز مالاً ولا أثقل مالاً من بلد إلى بلد
حتى أسد ثغروا خصاصة أهله بما يغنيهم ففضل منه نقلته إلى البلد الآخر الذى

عليه ولا أغلق بابي دونكم ولكم أعطياتكم في كل سنة وأرزاقكم كل شهر حتى يكون أقصاكم كأدناكم فإن وفيت لكم بما قلت فعليكم بالسمع والطاعة وحسن الموازنة وإن لم أف فلكم أن تخلعوني إلا أن أتوب وإن كنتم تعلمون أن أحدا ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه ما قد بذلت لكم وأردتم أن تبايعوه فانا أول من يبايعه معكم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

أقول إن هذا الكلام حسن بالنسبة إلى ذلك الزمان وإلى اصطلاح أهله فإن هذه الشرائط هي التي كانت معتبرة عندهم في استحقاق الرئاسة فأما في هذا العصر فلو افتخر ملك من الملوك بأنه لا يكرى نهرا ولا يضع حجرا على حجر أو ندب رعيته إلى تملك غيره لعد سفيها ولكان جديرا في اصطلاحهم بأن يملك غيره

وفي تلك الأيام شرع حبل بنى أمية يضطرب وشرعت الدولة العباسية تتبع وانبعثت الدعوة في الأمصار * وكانت وفاته في سنة ست وعشرين ومائة * ثم ملك بعده أخوه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان * كانت تلك الأيام أيام فتن وكان حبل بنى أمية قد اضطرب فلما مات يزيد ابن الوليد بن عبد الملك بويع أخوه إبراهيم يعة لم تكن بطائل فكان ناس يسلمون عليه بالخلافة وناس بالامارة وناس ربما لا يسلمون عليه بواحدة منهما واضطرب أمره فكث سبعين يوما وسار إليه مروان بن محمد بن مروان نخلعه وبويع له بالخلافة وجلس على سرير المملكة وذلك بعد حروب وفتن ووقائع يشيب منها الطفل

ثم ملك بعده مروان بن محمد بن مروان *

هو آخر خلفاء بنى أمية وعنه انتقلت الدولة إلى بنى العباس ويقال له

الجعدي ويقال له الحمار وانما لقب بالحمار قالوا لصبره في الحرب وكان
شجاعاً صاحب دهاء ومكر وكانت أيامه أيام قتن وهرج ومرج ولم تطل
أيامه حتى هزمته الجيوش العباسية وتبعته الى بلاد مصر فقتل بقرية اسمها
بوصير من قرى الصعيد وذلك سنة اثنين وثلاثين ومائة* في أيامه خرج عبد
الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

✽ شرح كيفية الحال في ذلك على سبيل الاختصار ✽

لما اضطرب جبل بني أمية وبويع مروان ثارت الفتن بين الناس
واختلفت كلمتهم فكل يرى رأياً ويذهب مذهبا وكان بالكوفة رجل من
ولد جعفر الطيار عليه السلام اسمه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر
ابن أبي طالب وكان فاضلاً شاعراً أخذته نفسه بالامر ورأى أهل الكوفة
اختلاف الامور بدمشق واضطراب جبل بني أمية فحضروا الى هذا عبد
الله وباليعة واجتمعوا حوله خلائق فبرز اليهم أمير الكوفة يومئذ فقال لهم بمن
معه وتصابر القريقتان مدة . ففي آخر الامر طلب أهل الكوفة لانفسهم
ولعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الامان من أمير الكوفة ليتوجهوا
أين شاؤوا من بلاد الله وكان أمير الكوفة ومن معه قد ملوا من القتال
فأعطاهم الامان فتوجه عبد الله الى المداين وعبر دجلة وغلب على حلوان وما
قاربها ثم توجه الى بلاد العجم فغلب على تلك الجبال وهمدان واصفهان والري
والتحق به قوم من بني هاشم وبقي على ذلك مدة

وكان أبو مسلم الخرساني قد قويت شوكته فسار الى هذا
عبد الله فقتله ثم أظهر الدولة العباسية . ثم ظهرت الدولة العباسية
واشتهرت دعوتها

﴿ ذكر انتقال الملك من بنى أمية الى بنى العباس ﴾

لا بد قبل الخوض في ذلك من مقدمة يشرح فيها ابتداء أمر أبي مسلم
الخراساني فانه رجل الدولة وصاحب الدعوة وعلى يده كان الفتح
﴿ شرح ابتداء أمر أبي مسلم الخراساني ونسبه ﴾

أما نسبه ففيه اختلاف كثير لافائدة في استقصاء القول فيه * فقل هو
حر من ولد بزرجهر وانه ولد باصفهان ونشأ بالكوفة فاتصل بابراهيم الامام
ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فغير اسمه وكناه بأبي مسلم وثقفه
وفقه حتى كان منه ما كان

وقيل هو عبد تنقل في الرق حتى وصل الى ابراهيم الامام فلما رآه أعجبه
سمته وعقله فابتاعه من مولاد وثقنه وفهمه وصار يرسله الى شيعته وأصحاب
دعوته بخراسان وما زال على ذلك حتى كان من الامر ما كان

وأما هو فانه لما قويت شوكته ادعى انه بن سليط بن عبد الله بن
العباس ولهذا سليط خبر هذا موضع شرحه على سبيل الاختصار

كان لعبد الله بن عباس جارية فوقع عليها مرة من المرات ثم اعتزلها
مدة فاستنكحها عبداً فوطئها فولدت منه غلاماً سمته سليطاً ثم ألصقته بعبد
الله بن العباس وأنكره عبد الله ولم يعترف به ونشأ سليط وهو أكره الخلق
الى عبد الله بن عباس فلما مات عبد الله نازع سليط ورثته في ميراثه وأعجب
ذلك بنى أمية ليغضوا من علي بن عبد الله بن عباس فأعانوه وأوصوا قاضي
دمشق في الباطن فمال اليه في الحكم وحكم له بالميراث وجرت في ذلك
خطوب ليس هذا موضعاً لشرحها فادعى أبو مسلم حين قويت شوكته انه
من ولد هذا سليط ثم ترسل أبو مسلم لابراهيم الامام الى خراسان ودعا اليه

سراً وما زال على ذلك حتى ظهرت الدعوة وتم الامر
﴿ مقدمة أخرى قبل الخوض فيها ﴾

قال الله تعالى (ونلك الايام نداولها بين الناس)

وعزى بعض الحكماء بعض الملوك عن مملكة خرجت عنه فقال لو
بقيت لغيرك لما وصلت اليك

واعلم علمت الخير ان هذه دولة من كبار الدول ساست العالم سياسة
مزوجة بالدين والملك فكان اختيار الناس وصاحاؤهم يطيعونها تديناً والباقون
يطيعونها رهبة أو رغبة ثم مكثت فيها الخلافة والملك حدود ستمائة سنة ثم
طرت عليها دول كدولة بنى بويه وكانت عظمتها كما علمت وفيها كبريتهم
وخلهم عضد الدولة فناخسرو وكدولة بنى سلجوق وفيها مثل طغرل بك
وكالدولة الخوارزمية وفيها مثل علاء الدين وجريدة عسكره مشتملة على
اربعة مائة ألف مقاتل وكدولة الفاطميين بمصر وقد وجهوا عسكراً صعبة
عبد من عبيدهم اسمه جوهر لم ير عسكراً كشف منه حتى قال فيه شاعره
وهو محمد بن هاني المغربي

(طويل)

فلا عسكر من قبل عسكر جوهر تخب المطايا فيه عشراً وتوضع
وخنوارج خرجوا في اثنائها بجموع كثيرة وحشور عظيمة كل ذلك ولم
يزل ملكهم ولم تقو دولة على إزالة ملكهم ومحو أثره بل كان الملك من
هؤلاء المذكورين يجمع ويختشد وينجر العساكر العظيمة حتى يصل الى بغداد
فاذا وصل التمس الحضور بين يدي الخليفة فاذا حضر قبل الارض بين يديه
وكان قصارى ما يتمناه أن يوليه الخليفة ويعقد له لواء ويخلع عليه فاذا فعل
الخليفة ذلك قبل الملك الارض بين يديه ومشى في ركابه راجلاً والفاشية

تحت إبطه كما فعل مسعود السلطان مع المسترشد فان المسترشد وقعت بينه وبين مسعود مناجاة أدت الى محاربة تخرج المسترشد بعسكر كثيف وصحبته جميع أرباب الدولة فالتقى هو والسلطان مسعود بظاهر مراغة فاقتتلوا ساعة ثم انكشف الغبار وقد انهزم أصحاب المسترشد واستولى عسكر مسعود فأنجلى الغبار والخليفة ثابت على ظهر فرسه وفي يده المصحف وحواليه القراء والقضاة والوزراء لم يهزم أحد منهم وانما انهزم المقاتلون فلما نظر السلطان مسعود اليهم أرسل من قاد دابة الخليفة وأدخله الى خيمة قد نصبت له وأخذ أرباب دولته فحبسهم في قلعة قريبة من تلك النواحي ثم غنموا جميع ما كان في عسكر الخليفة وبعد أيام اجتمع السلطان بالخليفة وعاتبه على فعله ثم تقرر بينهم أمر الصلح فاصطلحا وركب الخليفة الى نخيم عظيم ضربه لاجله السلطان فلما ركب الخليفة أخذ السلطان مسعود الفاشية ومشى في ركابه ثم جرى من قتل المسترشد ما ذكره بعد هذا * فهذه الدول جميعها طارت على دولة بني العباس ولم تقو نفس أحد على إزالة ملكهم ومحو آثارهم وكانت لهم في نفوس الناس منزلة لا تدانيها منزلة أحد آخر من العالم حتى ان السلطان هو لا كولو لما فتح بغداد وأراد قتل الخليفة أبي أحمد عبد الله المستنصر أقوا الى سمعه انه متى قتل الخليفة اختل نظام العالم واحتجبت الشمس وامتنع القطر والنبات فاستشعر لذلك ثم سأل بعض العلماء في حقيقة الحال عن ذلك فذكر ذلك العالم له الحق في هذا وقال ان علي بن أبي طالب كان خيراً من هذا الخليفة باجماع العالم ثم قتل ولم تجر هذه المحذورات وكذلك الحسين وكذلك أجداد هذا الخليفة قتلوا وجرى عليهم كل مكروه وما احتجبت الشمس ولا امتنع القطر فحين سمع ذلك زال ما كان قد حصل في خاطره واعتذر ذلك العالم عن هذا

القول بأن هبة السلطان كانت عظيمة وسطوته مرهوبة فأتجاسرت أن أقول
بين يديه غير الحق . فهذا كان اعتقاد الناس في بني العباس وما قويت دولة من
الدول على إزالة مملكتهم ومحو أثرهم سوى هذه الدولة القاهرة نشر الله
احسانها وأعلى شأنها

فإن السلطان هولاء كولو لما فتح بغداد وقتل الخليفة محمداً أثر بني العباس
كل المحو وغير جميع قواعدهم حتى إن الذي كان يتلفظ باسم بني العباس كان
على خطر من ذلك

﴿ وهاهنا موضع حكاية ﴾

حدثني نصر الميمني الحبشي أحد خدام السلطان مد الله معدته وأعلى
في الدارين درجته وكان قبل ذلك للخليفة المستعصم قال لما ملك بغداد
أخرجوني وأنا صغير في جملة الخدم فلأزمننا خدمة الدركاء أياماً فلما بعدنا عن
بغداد أحضرنا السلطان هولاء كولو يوماً بين يديه وكان علينا زى دار الخلافة
فقال أتم كنتم قبل هذا للخليفة وأتم اليوم لي فينبغي أنكم تخدمون خدمة
جيدة بنصيحة وتزيلون من قلوبكم اسم الخليفة فذاك شيء كان ومضى وإن
آثرتم تغيير هذا الزى والدخول في زيننا كان أصلح قال فقلنا السمع والطاعة
ثم غيرنا زيننا ودخلنا في زيهم

﴿ شرح ابتداء الدولة العباسية ﴾

روى أن الرسول صلوات الله عليه وسلامه كان يجرى على أنفه
الشريف ما معناه البشارة بدولة هاشمية فزعم ناس أنه قال تكون لرجل من
ولدى وزعم ناس أنه عليه الصلاة والسلام قال لعمة العباس رضى الله عنه
وسلم عليه إنها تكون في ولدك وأنه حين أناه بابنه عبد الله أذن في أذنه وتقل

ن فيه وقال اللهم فقهِه في الدين وعلمه التأويل ثم دفعه لى أبيه وقال له خذ
اليك أبا الاملاك فمن زعم هذا الزعم

قال ان الدولة العباسية هي الدولة المبشر بها وكانت دولة بنى أمية
مكروهة عند الناس ملعونة مذمومة ثقيلة الوطأة مستهترة بالمعاصي والقبائح
فكان الناس من أهل الامصار ينتظرون هذه الدولة صباح مساء . وكان محمد
بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو المعروف بابن الحنفية قد اعتقد فيه
الناس أنه صاحب الدولة بعد قتل اخيه الحسين عليه السلام ما عدا الامامية
فن اعتقادهم إمامة علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وإمامة بنيهِ
واحد بعد واحد الى القائم محمد بن الحسن عليه السلام

فلما مات محمد بن الحنفية عليه السلام أوصى الى ابنه ابي هاشم عبد الله
وكان أبو هاشم من رجال اهل البيت عليهم السلام فاتفق انه قصد دمشق
وافداً على هشام بن عبد الملك فبرّه هشام ووصله ثم رأى من فصاحته
ورئاسته وعلمه ما حسده عليه وخاف منه فبعث اليه وقد رجع الى المدينة
من سمه في لبن فلما علم بذلك عدل الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس
وكان نازلاً بالحميمة من أرض الشام فأعلمه أنه ميت وأوصى اليه وكان صحبته
جماعة من الشيعة فسلمهم اليه وأوصاه فيهم ثم مات رضى الله عنه فتهوّس
محمد بن علي بن عبد الله بالخلافة منذ يومئذ وشرع في بث الدعاة سرّاً وما
زال الامر على ذلك حتى مات وخلف أولاده وهم جماعة منهم ابراهيم الامام
والسفاح والمنصور . فقام ابراهيم لامام بالامر بعد أبيه واستكثر من ارسال
الدعاة الى الاطراف خصوصاً الى خراسان فانهم كانوا أشد وثوقاً بأهل
خراسان من غيرهم من أهل الامصار

أما أهل الحجاز فقليلون وأما أهل الكوفة والبصرة فكان أهل البيت
مذعورين منهم لم جرى منهم على أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين
عليهما السلام من الخذلان والفدر وسفك الدم وأما أهل الشام ومصر
فهوهم في بني أمية وحب بني أمية قد رسخ في قلوبهم فلم يبق لهم من يسكنون
إليه من أهل الامصار الا أهل خراسان

وكان يقال ان الرايات السود الناصرة لأهل البيت تخرج من خراسان
فأرسل إبراهيم الامام جماعة من الدعاة الى خراسان وكانت مشايخها ودهاقينها
فأجابوه ودعوا اليه سرّاً وأرسل في آخر الامر أبا مسلم فضي الى هناك وجمع
الجموع كل ذلك والامر سر والدعوة مخفية لم تظهر بعد

فلما كانت أيام مروان الحمار بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية كثير
الهرج والمرج ونفي الشر وثارت الفتن واضطرب جبل بني أمية واختلفت
كلماتهم وقتل بعضهم بعضاً أظهر أبو مسلم دعوة بني العباس واجتمع اليه كل
من له في ذلك رأى من أهل خراسان وجرّ عسكرياً كثيفاً ليقاتل به أمير
خراسان وهو نصر بن سيار فلما بلغ نصر حال أبي مسلم وجموعه راعه ذلك
فكتب الى مروان الحمار (وافر)

أرى بين الرماد وميض نار
فان لا يظنهما عقلاء قوم
فان النار بالعودين تذكى
فقلت من التعجب ليت شعري
ويوشك أن يكون لها ضرام
يكون وقودها جثث وهام
وان الحرب أولها كلام
أيقاظ أمية أم نيام
فكتب اليه مروان ان الحاضر يرى ما لا يرى الغائب فاحسم أنت هذا
المداء الذي قد ظاهرك فقال نصر بن سيار لأصحابه أما صاحبكم فقد أعلمكم

انه لا نصر عنده وتواترت الاخبار الى مروان بهذا الامر وحبله كلما جاء
اضطرب وأمره في كل يوم يضعف ثم بلغه أن الذي تدعو الدعاة اليه هو
ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس اخو السفاح والمنصور فأرسل
اليه وقبض عليه وأحضره الى حران فحبسه فيها ثم سمه في الحبس فمات
ثم جرت بين ابني مسلم وبين نصر بن سيار وغيره من امراء خراسان
حروب ووقائع كانت الغلبة فيها للمسودة وهم عسكر ابني مسلم وانما سموها
المسودة لان الزبي الذي اختاروه لبني العباس هو لون السواد فانظر الى
قدرة الله تعالى وانه اذا أراد امراً هياً اسبابه واذا أراد امراً فلا مرد لامره
لما قد رانقال الملك الى بني العباس هياً لهم جميع الاسباب . فكان ابراهيم
الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بالحجاز او بالشام جالساً على
مصلاه مشغولاً بنفسه وعبادته ومصالح عياله ليس عنده من الدنيا طائل واهل
خراسان يقاتلون عنه ويبذلون نفوسهم وأموالهم دونه وأكثرهم لا يعرفه
ولا يفرق بين اسمه وشخصه وانظر الى ابراهيم الامام هو بتلك الحالة من
الانقطاع بداره واعتزال الدنيا وهو بالحجاز او بالشام وله مثل هذا العسكر
العظيم في خراسان يبذلون نفوسهم دونه لا ينفق عليهم مالا ولا يعطي احدهم
دابة ولا سلاحاً بل هم يجيئون اليه الاموال ويحملون اليه الخراج في كل سنة
ولما قدر الله تعالى خذلان مروان وانقراض ملك بني أمية كان مروان
خليفة مبايعاً ومعه الجنود والاموال والسلاح والدنيا بأجمعها عنده والناس
يتفرقون عنه وأمره يضعف وحبله يضطرب فما زال يضمحل حتى هزمه
وقتل فتعالى الله

ولما غلب ابو مسلم على خراسان واستولى على كورها وقويت شوكرته

سار الى العراف بالجنود وكان لما قبض مروان على ابراهيم الامام وحبسه
بحرّان خاف أخواه السفاح والمنصور وجماعة من أقاربهم فهربوا وقصدوا
الكوفة وكان لهم بها شيعة منهم ابو سلمة خنص بن سليمان الخلال وكان
من كبار الشيعة بالكوفة وصار بعد ذلك وزيراً للسفاح ثم قتله السفاح وسيرد
ذكره عند ذكر الوزراء فأخلى لهم ابو سلمة الخلال داراً بالكوفة وأمر لهم
بها وتولى خدمتهم بنفسه وكنتم أمرهم واجتمعت الشيعة اليه وقويت شوكتهم
فوصل ابو مسلم بالجنود من خراسان الى الكوفة فدخل على بني العباس وقال
ايكم ابن الحارثية فقال له المنصور هذا وأشار الى السفاح وكانت أمه حارثية
فسلم ابو مسلم عليه بالخلافة وخرج السفاح ومعه اخوته وعمومته وأقاربه
وأكابر الشيعة وأبو مسلم بين يديه الى الجامع فصلى وصعد المنبر وأظهر الدعوة
وخطب الناس وبويع بالخلافة وذلك في سنة مائة واثنين وثلاثين . وهذا أول
دولة بني العباس وآخر دولة بني أمية

ثم عسكر السفاح ظاهر الكوفة ووفد عليه الناس من الامصار يبايعونه
فلما اجتمع عنده الناس وقويت شوكته ندب رجلاً من أقاربه لقتال مروان
الحمار فاندب لذلك عمه عبد الله بن عليّ وكان من رجال بني العباس فتوجه
عبد الله بن عليّ الى مروان فلقية بالزاب ومع مروان مائة وعشرون الف مقاتل
ولا يكون مع عبد الله بن عليّ الا الأقل من ذلك فصنع الله تعالى لعبد الله بن
عليّ أنواع الصنع وخذل مروان كل الخذلان فانظر واعتبر

• شرح كيفية الوقعة بالزاب وخذلان مروان وانهمزاه •

لما التقى على الزاب مروان الحمار وعبد الله بن عليّ قال مروان لبعض
أصحابه ان نابت شمس هذا النهار ولم يقاثلونا فالخلافة فينا ونحن نسلها في آخر

لزمان الى المسيح عليه السلام وأمر أصحابه بالكف عن القتال وقصد أن
 ينتضى النهار ولا يقع قتال ثم أرسل الى عبد الله بن عليّ يسأله المواعدة فقال
 عبد الله كذب لا تزول الشمس حتى أوضئه الخيل ان شاء الله تعالى فكان من
 الاتفاقات الطريفة أن صهر مروان حمل على قطعة من عسكر عبد الله بن عليّ
 فردّه مروان وشتّمه فلم يقبل ونشب القتال فأمر عبد الله بن عليّ أصحابه
 بالمناجزة فجثوا على الركب وأشرعوا الرماح ونادى عبد الله بن عليّ يارب حتى
 متى تقتل فيك ونادى يا أهل خراسان يا ثارات ابراهيم الامام واشتد القتال
 فصار مروان اذا أمر طائفة من العسكر بشيء قالوا قل للطائفة الأخرى
 وبلغ من أمره انه قال لصاحب شرطته انزل الى الارض فقال لا والله لا أتى
 نفسي في التهلكة فقال له مروان لأفعلن بك وتهده فقال وددت أنك تقدر
 على ذلك ثم رأى مروان فترة أصحابه ومناجزة أصحاب عبد الله بن عليّ فوضع
 مروان ذهباً كثيراً فدام الناس وقال أيها الناس قاتلوا وهذا المال لكم فصار
 الناس يمدون أيديهم الى المال ويتناولون منه شيئاً شيئاً فقال بعض الناس
 لمروان ان الناس قدموا أيديهم الى المال ولا نأمن انهم يذهبون به فأمر ابنه
 أن يسير في أواخر العسكر فمن وجد معه شيئاً من المال قتله فرجع ابنه برأيه
 لينهده ما قال فرأى الناس الراية راجعة فنادوا الهزيمة الهزيمة فانهزم الناس
 ومروان أيضاً وعبروا دجلة فكان من غرق أكثر ممن قتل * وثلا عبس لله
 ابن عليّ (واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأتم تنظرون)
 ثم نقل الى عسكر مروان وغنم ما فيه وأقام به سبعة أيام
 ﴿ شرح مقتل مروان الحمار ﴾

ثم ان مروان مضى منبهما حتى وصل الموصل فقطع أهلها الجسر

ومنعوه من العبور فنادى أصحابه يا اهل الموصل هذا أمير المؤمنين يريد
العبور فناداهم اهل الموصل كذبتكم أمير المؤمنين لا يفر وسبه اهل الموصل
وقالوا له الحمد لله الذي أزال سلطانكم وذهب بدولتكم الحمد لله الذي أنانا بأهل
بيت نبينا * فلما سمع ذلك سار الى بلد وعبر دجلة وأتى حرّاب ثم منها الى
دمشق ثم منها الى مصر وتبعه عبد الله بن علي ثم أرسل خلفه بعض أصحابه
فراه بقرية من قرى الصعيد اسمها بوسير فخرج اليهم ليلا مروان وقتلهم
فقال لجند بنى العباس أميرهم إن أصبحنا ورأوا قتلنا أهلكونا ولم ينبج منا
حد ففناجزوا القوم وكسر جفن سيفه وفعل أصحابه مثله وحملوا عليهم فانهزموا
وحمل رجل على مروان فطعنه وهو لا يعرفه فصرعه وصاح صائح صرعه
أمير المؤمنين فابتدروه فسبق اليه رجل من أهل الكوفة فاحتز رأسه ثم
نفض الرأس وقطع لسانه فأكاته هرة كانت هناك ثم حمل الرأس الى السفاح
فوصل اليه وهو بالكوفة فلما رآه سجد ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذي
أظهرني عليك وأظفرني بك ولم يبق ثأرى قبلك وتمثل (بسيط)

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ولا دماؤهم للغيظ تروني

ثم صفا الملك للسفاح

الدولة العباسية

(وهي التي تسلمت الملك من الدولة الاموية)

واعلم أن لدولة العباسية كانت دولة ذات خدع ودهاء وغدر وكان قسم
التحليل والمخادعة فيها أوفر من قسم القوة والشدة خصوصاً في أواخرها فان
المتأخرين منهم بطلو قوة الشدة والنجدة وركنوا الى الخيل والخدع * وفي

مثل ذلك يقول كشاجم مشيراً الى موادة أصحاب السيوف وعداوة أصحاب

الاقلام ومقاتلة بعضهم لبعض (طويل)

هنيئاً لأصحاب السيوف بطالة تقضى بها أوقاتهم في التئيم

فكم فيهم من وادع العيش لم يهيج لحرب ولم ينهد اقرون مصمم

يروح ويفدو عاقداً في نجاده حساماً سليم الحد لم يتشلم

ولكن ذووالاقدام في كل ساعة سيوفهم ليست تجف من الدم

وفيها يقول بعض الشعراء حين قتل المتوكل وزيره محمد بن عبد الملك

لزيات (وافر)

يكاد القلب من جزع يطير اذا ما قيل قد قتل الوزير

أمير المؤمنين فتلث شخصا عليه راحكم كانت تدور

فهلا يا بني العباس مهلا لقد كويت بغدركم الصدور

إلا أنها كانت دولة كثيرة المحاسن حجة المكارم أسواق العلوم فيها قائمة

وبضائع الآداب فيها نافقة وشعائر الدين فيها معظمة والخيرات فيها دارّة

والدنيا عامرة والحرمات مرعية والثغور محصنة وما زالت على ذلك حتى

كانت أواخرها فانتشر الجبر واضطرب الامر وانتقلت الدولة وسيرد

ذلك في موضعه مشروحاً ان شاء الله تعالى * وهذا أوان الشروع في ذكر

خليفة خليفة

* أول خليفة ملك منهم السفاح *

هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن

عبد المطلب * بويغ في سنة مائة واثنين وثلاثين

كان كريماً حليماً وقوراً عاقلاً كاملاً كثير الحياء حسن الأخلاق ولما بويغ

واستوسق له الامر تتبع بقايا بني أمية ورجالهم فوضع السيف فيهم * وفي
 بعض أيامه كان جالسا في مجلس الخلافة وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك
 وقد أكرمه السفاح فدخل عليه سديف الشاعر فأنشده (خفيف)
 لا يفرنك ما ترى من رجال ان تحت الضلوع داء دويّا
 فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويّا
 فالتفت سليمان وقال قتلتي يا شيخ ودخل السفاح وأخذ سليمان فقتل
 ودخل عليه شاعر آخر وقد قدم الطعام وعنده نحو سبعين رجلا من بني
 أمية فأنشده (خفيف)

أصبح الملك ثابت الآساس بالهائل من بني العباس
 طلبوا وتر هاشم فشفوها بعد ميل من الزمان وياس
 لا تقبلن عبد شمس عثارا واقطعن كل رقلة وغراس
 ذلها أظهر التودد منها وبها منكم جحر المواسي
 ولقد غاظني وغاض سوائي قربهم من نمارق وكراسي
 أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والانعاس
 واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلا بجانب المهراس
 والقتيل الذي بحرّان أضحي ثاويا بين غربة وتناس
 فالتفت أحدهم الى من بجانبه وقال قتلنا العبد ثم امر بهم السفاح
 فضربوا بالسيوف حتى قتلوا وبسط النطوع عليهم وجلس فوقهم فاكل الطعام
 وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا

وبالغ بنو العباس في استئصال شأفة بني أمية حتى نبشوا قبورهم بدمشق
 فنَبَشُوا قَبْرَ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فلم يجدوا فيه الا خيطا مثل الهباء

ونبشوا قبر يزيد فوجدوا فيه حطاما كأنه الرماد ولما قتل رجالهم واستصفي
أموالهم قال

(بسيط)

بنى أمية قد افنيت جمعكم فكيف لي منكم بالاول الماضي
يطيب النفس أن النار تجمعكم عوضتم من اظاها شر معترض
منيتكم لا أقال الله عزرتكم بليت غاب الى الاعداء نهاض
ان كان غيظي لقوت منكم فلقد رضيت منكم بما ربي به راض
ثم لم تطل مدة السفاح حتى مات بالانبار في سنة مائة وست وثلاثين

✽ شرح حال الوزارة في أيامه ✽

لا بد قبل الخوض في ذلك من تقديم كلمات في هذا المعنى فأقول
الوزير وسيط بين الملك ورعيته فيجب أن يكون في طبعه شطر يناسب طباع
الملوك وشطر يناسب طباع العوام ليعامل كلا من الفريقين بما يوجب له
القبول والمحبة والامانة والصدق رأس ماله ✽ قيل اذا خان السفير ✽ بطل التدبير .
وقيل ليس لمكذوب رأى والكفاءة والشهامة من مهماته والفطنة والتيقظ
والدهاء والحزم من ضروراته ولا يستغنى أن يكون مفضالا مطعاما ليستميل
بذلك الاعناق وليكون مشكورا بكل لسان ✽ والرفق والاناة والنثبت في
الامور والحلم والوقار والتمكن ونفاذ القول مما لا بد له منه

لما استوزر الناصر وزيره مؤيد الدين محمد بن برز القمى خلع عليه خلع
الوزارة ثم جلس القمى في منصب الوزارة والناس جميعا بين يديه فبرز من
حضرة الخليفة مكتوب لطيف في قدر الخنصر بخط يد الناصر فقرئ على الجمع
فكان فيه ✽ باسم الله الرحمن الرحيم محمد بن برز القمى نائبنا في البلاد والعباد
فن أطاعه فقد أطاعنا ومن أطاعنا فقد أطاع الله ومن أطاع الله أدخله الجنة

ومن عصاه فقد عصانا ومن عصانا فقد عصى الله ومن عصى الله أدخله النار *
 فنبل القمى بهذا التوقيع في عيون الناس وجلت مكانته وقامت له الهيبة في
 الصدور * والوزارة لم تتمد قواعدها وتقرر قوانينها إلا في دولة بنى العباس
 * فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ولا مقررة القوانين بل كان لكل
 واحد من الملوك أتباع وحاشية فاذا حدث أمر استشار بذوى الحجب والآراء
 الصائبة فكل منهم يجرى مجرى وزير فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين
 الوزارة وسعى الوزير وزيراً وكان قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً

قال أهل اللغة الوزر الملجأ والمعتصم والوزر الثقل فالوزير إما مأخوذ من
 الوزر فيكون معناه أنه يحمل الثقل أو يكون مأخوذاً من الوزر فيكون المعنى
 أنه يرجع ويلجأ إلى رأيه وتديره وكيف تقلبت لفظة وزر كانت دالة على
 الملجأ والثقل

أول وزير وزر لأول خليفة عباسي حفص بن سليمان أبو سلمة الخلال
 كان مولى لبني الحارث بن كعب * قيل في تلقيبه بالخلال ثلاثة أوجه أحدها
 أن منزله بالكوفة كان قريباً من محلة الخلالين وكان يجالسهم فنسب إليهم كما
 نسب الغزالي إلى الغزاليين وكان يجالسهم كثيراً * ورأيت في تسمية الغزالي
 وجهاً آخر قيل كان من رأيه الصدقة على النساء العجائز اللواتي يحضرن إلى
 دار الغزل ليعن غزلهن فيرى ضعفين وفقهين ووزارة مكسبهن فيرق لهن
 فيتصدق عليهن كثيراً ويأمر بالصدقة عليهن فنسب إلى ذلك وثانيها أنه كان
 له حوانيت يعمل فيها الخل فنسب إلى ذلك وثالثها أنها نسبة إلى خلل السيوف
 وهي أغمادها

كان أبو سلمة من مياسير أهل الكوفة وكان ينفق ماله على رجال

الدعوة وكان سبب وصلته الى بنى العباس انه كان صهرًا لبكير بن ماهان وكان
 بكير بن ماهان كاتبًا خصيصًا بأبراهيم الامام فلما أدركته الوفاة قال لأبراهيم
 لامام ان لي صهرًا بالكوفة يقال له أبو سلمة الخلال قد جعلته عوضى في
 القيام بأمر دعوتكم ثم مات فكتب ابراهيم الامام الى أبى سلمة يعلمه بذلك
 ويأمره بما يريد من أمر الدعوة وقام أبو سلمة بأمر دعوتهم قيامًا عظيمًا فلما
 سبر أحوال بنى العباس عزم على العدول عنهم الى بنى على عليه السلام فكتب
 ثلاثة من أعيانهم جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وعبد الله المحض ابن
 حسن بن حسن بن على بن أبى طالب عليهما السلام وعمر الأشرف بن زين
 العابدين عليه السلام وأرسل الكتب مع رجل من مواليهم وقال له اقصد
 أولاً جعفر بن محمد الصادق فان أجاب فأبطل الكتابين الآخرين وان لم
 يجب فالق عبد الله المحض فان أجاب فأبطل كتاب عمر وان لم يجب فالق عمر
 فذهب الرسول الى جعفر بن محمد عليه السلام أولاً ودفع اليه كتاب أبى
 سلمة فقال مالى ولا بنى سلمة وهو شيعة لغيرى فقال له الرسول اقرأ الكتاب
 فقال الصادق عليه السلام لحادمه أدن السراج منى فأدناه فوضع الكتاب
 على النار حتى احترق فقال الرسول ألا تجيبه قال قد رأيت الجواب ثم مضى
 الرسول الى عبد الله المحض ودفع اليه الكتاب فقرأه وقبله وركب فى الحال
 الى الصادق عليه السلام وقال هذا كتاب أبى سلمة يدعونى فيه الى الخلافة
 قد وصل على يد بعض شيعتنا من أهل خراسان فقال له الصادق عليه السلام
 ومتى صار أهل خراسان شيعتك أنت وجهت اليهم أبا مسلم هل تعرف
 أحدا منهم باسمه أو بصورته فكيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرفهم وهم
 لا يعرفونك فقال عبد الله كأن هذا الكلام منك لشيء فقال الصادق قد

علم الله انى أوجب النصح على نفسى لكل مسلم فكيف أذخره عنك فلا
تمن نفسك الاباطيل فان هذه الدولة ستم لهؤلاء وقد جاءنى مثل الكتاب
الذى جاءك فانصرف عبد الله من عنده غير راض وأما عمر بن زين العابدين
فانه رد الكتاب وقال أنا لا أعرف صاحبه فأجيبه ثم غلب أبو سلمة على رأيه
وعملت الدعوة عملها وبويع السفاح ونم الخبر اليه فحقدما على أبي سلمة وقتله
﴿ ذكر شيء من سيرته ومقتله ﴾

كان أبو سلمة سمحاً كريماً مطعماً كثير البذل مشعوراً بالننوق فى
السلاح والدواب فصيحاً عالماً بالأخبار والأشعار والسير والجدل والتفسير
حاضر الحجة ذا يسار ومروءة ظاهرة فلما بويع السفاح استوزره وفوض
الأمر اليه وسلم اليه الدواوين ولقب وزير آل محمد وفى النفس أشياء وخاف
السفاح إن هو قتل وزيره أبا سلمة أن يستشعر أبو مسلم ويتمر فتلطف
لذلك وكتب الى ابى مسلم كتاباً يعلمه فيه بما عزم عليه ابو سلمة من نقل
الدولة عنهم ويقول لهم اتى قد وهبت جرمه لك وباطن الكتاب يقتضى
تصويب الراى فى قتل ابى سلمة وأرسل الكتاب مع أخيه المنصور فلما قرأ
ابو مسلم الكتاب فطن لغرض السفاح فأرسل قوماً من اهل خراسان قتلوا
أبا سلمة فقال الشاعر

(كامل)

إن الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشنك كان وزيراً

إن السلامة قد تين وربما كان السرور بما كرهت جديراً

﴿ انقضت وزارة ابى سلمة ﴾

اختلفوا فيمن وزر للسفاح بعده ف قيل أبو الجهم وقيل عبد الرحمن فاما
أبو الجهم فوزر للسفاح مدة فلما أفضت الخلافة الى المنصور كان فى نفسه

منه أمور فسمه في سويق اللوز فلما أحس بالسم قام ليذهب فقال له المنصور

الى أين قال الى حيث بعثتني يا امير المؤمنين

وأما الصولى فقال إن السفاح استوزر بعد أبى سلمة خالد بن برمك

﴿ ذكر وزارة خالد بن برمك وشيء من سيرته ﴾

هذا خالد هو جد البرامكة وفي تلك الايام نبغت الدولة البرمكية

وامتدت الى أن انقضت في أيام الرشيد

وكان خالد بن برمك من رجال الدولة العباسية فاضلا جليلا كريما

حازما يقظا استوزره السفاح وخف على قلبه وكان يسمى وزيراً وقيل إن كل

من استوزر بعد أبى سلمة كان يتجنب أن يسمى وزيراً تطيراً مما جرى على

أبى سلمة ولقول من قال

إن الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك كان وزيراً

قالوا فكان خالد بن برمك يعمل عمل الوزراء ولا يسمى وزيراً

كان خالد عظيم المنزلة عند الخلفاء * قيل إن السفاح قال له يوماً يا خالد

مارضيت حتى استخدمتني فزع خالد وقال كيف يا امير المؤمنين وأنا عبدك

وخادمك فضحك وقال إن ربيعة ابنتى تنام مع ابنتك فى مكان واحد فأقوم

بالليل فأجدهما قد سرح الغطاء عنهما فاردده عليهما فقبل خالد يده وقال مولى

يكتسب الأجر فى عبده وأمنه * وكثر لو فدون على باب خالد بن برمك

ومدحه الشعراء وانتجهم الناس وكان الوافدون قبل ذلك يسمون سؤالا فقال

خالد إني استقيح هذا الاسم لئلا هؤلاء وفيهم الاشراف والا كابر فسماهم

الزوار وكان خالد أول من سماهم بذلك فقال له بعضهم والله ما ندرى أى أياديك

عندنا أجل أصلتنا أم تسميتنا * وقيل إن أول من فعل ذلك المساور بن النعمان

في دولة بني أمية

ولما بنى المنصور مدينة بغداد عظمت النفقة عليه فأشار عليه ابو ايوب
المورياني بهدم ايوان كسرى واستعمال أنقاضه فاستشار المنصور خالد بن برمك
في ذلك فقال لا تفعل يا امير المؤمنين فانه آية الاسلام فاذا رآه الناس علموا
أن مثل هذا البناء لا يزيله الا امر سماوى وهو مع ذلك مصلى على بن ابي
طالب عليه السلام والمؤنة في نقضه أكثر من نفعه فقال له المنصور أبيت
ياخالد الا ميلا الى العجمية ثم أمر المنصور بهدمه فهدمت منه ثلثة فبلغت
النفقة عليها أكثر مما حصل منها فأمسك المنصور عن هدمه وقال ياخالد
قد صرنا الى رأيك وتركنا هدم الايوان قال يا امير المؤمنين انا الآن أشير
بهدمه لئلا يتحدث الناس أنك عجزت عن هدم ما بناه غيرك فأعرض عنه
وأمسك عن هدمه

كتب بعض الشعراء الى خالد بن برمك في يوم نوروز وقد أهدي
الناس الى خالد هدايا فيها جامات من فضة وذهب (خفيف)

ليت شعري أماننا منك حظ يهديا الوزير في النوروز
ما على خالد بن برمك في الجو دنوال ينيله بعزير
ليت لي جام فضة من هدايا سوى ما به الامير يجيزى
انما أبتغيه للعسل المـزوج بالمـال لا لبول العجوز
فأمر له بجمع ما كان حاضرا بين يديه من الجامات والواني الفضية
والذهبية فبلغت مالا جليلا

ولما تولى المنصور الخلافة أقره على وزارته وأكرمه واستشاره *
انقضت وزارة وزراء السفاح وبانقضائها انقضى الكلام على دولته

﴿ثم ملك بعده اخوه ابو جعفر المنصور﴾

بويغ في سنة مائة وست وثلاثين * ذكر شيء من سيرته وما وقع في أيامه من الحوادث والوقائع

كان المنصور من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم وعلماهم وذوى الآراء الصائبة منهم والتدبيرات السديدة وقوراً شديداً وقاراً حسن الخلق في الخلوة من أشد الناس احتمالاً لما يكون من عبث أو مزاح فاذا لبس ثيابه وخرج الى المجلس العام تغير لونه واحمرت عيناه وانقلبت جميع أوصافه قال يوماً لبنيه يا بني اذا رأيت منى قد لبست ثيابى وخرجت الى المجلس فلا يدنون أحد منى مخافة أن أعمره بشيء قالوا وكان المنصور يلبس الحشن وربما رقع قميصه وقيل ذلك لجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام فقال الحمد لله الذى ابتلاه بفقر نفسه في ملكه قالوا ولم يكن يرى في دار المنصور لهو ولعب أو ما يشبه اللهو واللعب

حدث بعض مواليه قال كنت مرة واقفاً على رأسه فسمع صوتاً عالياً فقال لى انظر ما هذا الصوت قال فنظرت فاذا هو بعض خدمه يلعب بالطنبور وحوله جماعة من جواريه يضحكن منه قال فأخبرته الخبر فتعمر وقال وأى شيء يكون الطنبور قال فوصفته له فقال وأنت ما يدريك بالطنبور قلت يا أمير المؤمنين رأيت به بخراسان فقام المنصور حتى جاء الى الخادم فلما بصر به الجوارى تفرقن فأمر فضرب رأس الخادم بالطنبور حتى تكسر الطنبور ثم أخرجه فباعه

وكان المنصور من أشد الناس شغفاً بآبائه المهدي فكان اذا جنى أحداً جناية أو أخذ من أحد مالا جعله في بيت المال مفرداً وكتب عليه اسم صاحبه

فلما أدركته الوفاة قال لابنه المهدي يا بني اني قد أفردت كل شيء أخذته من الناس على وجه الجناية والمصادرة وكتبت عليه أسماء أصحابه فاذا وليت أنت فأعذه على أربابه ليدعو لك الناس ويحبوك

قال يزيد بن عمر بن هبيرة ما رأيت رجلا في حرب أو سلم أو مكر ولا انكر ولا أشد تيقظاً من المنصور لقد حاصرني تسعة شهور ومعى فرسان العرب فجهدنا كل الجهد حتى نال من عسكري شيئا فما قدرنا لشدة ضبطه لعسكريه وكثرة تيقظه ولقد حاصرني وما في رأسي شعرة بيضاء ثم انقضى ذلك وما في رأسي شعرة سوداء

واعلم أن المنصور هو الذي أصل الدولة وضبط المملكة ورتب القواعد وأقام الناموس واخترع أشياء * فمن جملة ما اخترع فرس النوبة ولم يكن الملوك قبله يعرفون ذلك وسبب ذلك يأتي فيما بعد * ومن جملة ما اخترع عمل الحيش الكتان في الصيف ولم يكن الناس قبله يعرفون ذلك وكان الاكاسرة يطبنون كل يوم من أيام الصيف بيتاً يسكنونه ثم في الغد يطبن بيت آخر

وكان المنصور مبغلاً يضرب بشحه الأمثال وقيل كان كريماً وإنه لم حج أفضل على أهل الحجاز فكانوا يسمون عامه عام الحصب والصحيح أنه كان رجلاً حازماً يعطى في موضع العطاء ويمنع في موضع المنع وكان المنع عليه أغلب

وجرى في أيامه شيء طريف وهو أن قوماً من أهل خراسان يقال لهم الراوندية كانوا يقولون بتناسخ الارواح يزعمون أن روح آدم انتقلت الى فلان رجل من كبارهم وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور وأن

جبرائيل هو فلان عن رجل آخر فلما ظهروا أتوا قصر المنصور فطافوا حوله وقالوا هذا قصر ربنا فأخذ المنصور رؤساءهم فحبس منهم مائتي رجل فغضب الباقون واجتمعوا وفتحوا السجون وأخرجوا أصحابهم منها وقصدوا المنصور وحاربوه فخرج المنصور اليهم ماشياً ولم يكن في بابه في ذلك الوقت دابة فصار بعد ذلك اليوم تربط له دابة في باب القصر لا تزال واقفة وصارت تلك سنة للخلفاء بعده وللملوك فلما خرج المنصور أتى بدابة فركبها وهو يريدهم حتى تكاثروا عليه وكادوا يقتلونه * وجاء معن بن زائدة وكان مستخفياً من المنصور جاء مثملاً ووقف بين يدي المنصور والمنصور لا يعرفه فقاتل بين يديه قتالاً شديداً وأبلى بلاء حسناً

وكان المنصور راكباً على بغلة ولجامها يد حاجبه الربيع فأتى معن وقال تنح فأنا أحق منك بهذا اللجام في هذا الوقت فقال المنصور صدق ادفع اللجام اليه فلم يزل يقاتل حتى انكشفت الحال وظفر بالراوندية فقال له المنصور من أنت قال طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فقال قد آمنتك لله على نفسك واهلك ومالك ومثلك يصطنع وأحسن اليه وولاه اليمن والمنصور هو الذي بنى مدينة بغداد

شرح كيفية الحال في بناء بغداد

كان المنصور قد بنى في أوائل دولتهم مدينة بنواحي الكوفة وسماها لهاشمية ووقعت وقعة الراوندية فيها فكره سكانها لذلك ولجأورة أهل الكوفة فانه كان لا يأمنهم على نفسه وكانوا قد أفسدوا جنده فخرج بنفسه يرتاد له موضعاً يسكنه ويبني فيه مدينة له ولعياله ولأهله ولجنده فأنحدر الى جرجرايا وأصعد الى الموصل ثم أرسل جماعة من الحكماء ذوي اللب والعقل

وأمرهم بارتداد موضع فاختاروا له مدينته التي تسمى مدينة المنصور وهي
بالجانب الغربي قريبة من مشهد موسى والجواد عليهما السلام فحضر الى هناك
واعتبر المكان ليلا ونهاراً فاستطابه وبني به المدينة

ومن طريف ما اتفق في ذلك أن راهبا من رهبان الدير المعروف الآن
بدير الروم سأل بعض أصحاب المنصور من يريد أن يبنى في هذا الموضع
مدينة فقال له ذلك الرجل امير المؤمنين المنصور خليفة الناس قال ما اسمه
قال عبد الله قال فهل له اسم غير هذا قال اللهم لا إلا أن كنته ابو جعفر ولقبه
المنصور قال الراهب فاذهب اليه وقل له لا يتعب نفسه في بناء هذه المدينة
فانا نجد في كتبنا أن رجلا اسمه مقلص يبنى هاهنا مدينة ويكون لها شأن
من الشأن وان غيره لا يتمكن من ذلك فجاء ذلك الرجل الى المنصور وأخبره
بما قال الراهب فنزل المنصور عن دابته وسجد طويلا ثم قال أما والله كان
اسمي مقلصا وكان هذا اللقب قد غلب علىّ ثم ذهب عني وذاك ان لصا
كان في صباى يسمى مقلصا وكان تضرب به الامثال وكانت لنا عجوز تربي
فاتفق ان صبيان المكتب جاؤا يوما الى وقالوا الى نحن اليوم اضيفك ولم
يكن معي ما انفقه عليهم وكان للعجوز غزل فأخذته وبعته بما انفقته عليهم
فلما علمت انى سرقت غزلها سميتى مقلصا وغلب هذا اللقب علىّ ثم ذهب
عني والآن عرفت انى ابني هذه المدينة

ونبه بعض عقلاء النصارى على فضيلة مكانها فقال يا امير المؤمنين
تكون على الصراطين دجلة مع القرات فاذا حاربك أحد كانت دجلة والقرات
خنادق لمدينتك ثم ان الميرة تأتيك في دجلة من ديار بكر تارة ومن البحر
والهند والصين والبصرة وفي القرات من الرقة والشام وتجيئك الميرة أيضا

من خراسان وبلاد العجم في شط تامرآ* وأنت يا أمير المؤمنين بين أنهار
لا يصل عدوك اليك الا على جسر أو قنطرة فاذا قطعت الجسر أو أخربت
القنطرة لم يصل اليك عدوك* وانت متوسط للبصرة والكوفة وواسط
والموصل والسواد* وانت قريب من البر والبحر والجبل. فازداد المنصور جداً
وحرصاً على بنائها وكاتب الاطراف بانفاذ الصنائع والقلة وأمر باختيار قوم
من ذوى العدالة والعقل والعلم والامانة والمعرفة بالهندسة ليتولوا قسمة المدينة
وعملها وشرع فيها في سنة خمس واربعين ومائة

وكان أبو حنيفة رضى الله عنه صاحب المذهب يعد اللبن والآجر وهو الذى
خترع عده بالقصب اختصاراً وجعل المنصور عرض السور من أساسه خمسين
ذراعاً ومن أعلاه عشرين ذراعاً ووضع بيده أول لبنة وقال بسم الله والحمد لله
الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال ابنوا فابتدأ بها في
سنة خمس واربعين ومائة وتممها في سنة ست واربعين ومائة وجعلها مدورة وجعل
قصره في وسطها لئلا يكون احد اقرب اليه من الآخر وبلغ الخرج عليها اربعة
الف الف وثمانى مائة وثلاثة وثلاثين درهماً ولما فرغت حاسب القواد بما
كان حول عليهم لعمارتها فألزمهم بالبواقي حتى ستوفى من بعضهم ما اقتضاه
لحساب خمسة عشر درهماً* أسماؤها* يقال بغداد وكان هناك موضع يسمى
بغداد فسميت المدينة باسمه* ويقال بغداد بالذال المعجمة* ويقال بغداد
بالتون* ويقال الزوراء وكان موضعها يسمى الزوراء قديماً وقيل لان قبلتها
غير مستقيمة يحتاج المصلى في مسجدتها الجامع ان يتحرف الى جهة اليسار قليلاً*
ويقال مدينة المنصور* ويقال دار السلام* وقيل انها مدينة مباركة مسعودة
ميت فيها خليفة قط فمدينة المنصور هي بغداد القديمة وهذه بغداد التي هي

بالجانب الشرقى استجدت بعد ذلك وهو لذي فعل بنى الحسن ما فعل
أخذ مشايخ السادات منهم وهم عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي
ابن أبي طالب عليهم السلام وكان شيخ الطالبين في عصره وبنيه وإخوته
وبني أخوته سادات بني الحسن عليهم السلام فحبسهم عنده وماتوا في حبسه
روى أنه خرج حاجبه فقال من كان على الباب من بني الحسين فليدخل
فدخل مشايخ بني الحسين عليهم السلام ثم خرج فقال من كان بالباب من
بني الحسن فليدخل فدخل مشايخ بني الحسن عليه السلام فعدل بهم إلى
مقصورة ثم أدخل الحدادين من باب آخر فقيدهم وحمهم إلى العراق فحبسهم
حتى ماتوا في حبسه بالكوفة لا جزاء الله خيراً عن فعله

ومن طريف ما وقع في ذلك أن رجلاً من بني الحسن عليه السلام جاء
حتى وقف على المنصور فقال ما جاء بك قال جئت حتى تحبسني عند أهلي
فأني لا أريد الدنيا بعدهم فحبسه معهم وكان ذلك الرجل علي بن حسن بن حسن
ابن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان منهم محمد بن إبراهيم بن الحسن بن
الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وكان من أحسن الناس صورة
وكان يسمى الديباج الأصفر لحسنه وجماله فأحضره المنصور وقال له أنت
الديباج الأصفر قال كذا يقولون قال لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحداً ثم أمر به
فبني عليه اسطوانة وهو حي فمات فيها

ذكر السبب في فعل المنصور ما فعل بنى الحسن عليهم السلام
كان بنو هاشم الطالبيون والعباسيون قد اجتمعوا في ذيل دولة بني أمية
وتذاكروا حالهم وما هم عليه من الاضطهاد وما قد آل إليه امر بني أمية من
الاضطراب وميل الناس إليهم ومحبتهم لأن تكون لهم دعوة واتفقوا على

أن يدعوا الناس سرّاً ثم قالوا لا بد لنا من رئيس نبايعه فاتفقوا على مبايعة النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وكان محمد من سادات بني هاشم ورجالهم فضلا وشرفا وعلما وكان هذا المجلس قد حضره أعيان بني هاشم علويهم وعباسيهم فحضره من أعيان الطالبين الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وابناه محمد النفس الزكية وإبراهيم قتيل باخري وجماعة من الطالبين ومن أعيان العباسيين السفاح والمنصور وغيرها من آل العباس فاتفق الجميع على مبايعة النفس الزكية إلا الامام جعفر بن محمد الصادق فإنه قال لا يبه عبد الله المحض أن ابنك لا يناها يعني الخلافة وإن يناها إلا صاحب القباء الأصفر يعني المنصور وكان علي المنصور حينئذ قباء صفر قال المنصور فرتبت العمال في نفسي من تلك الساعة ثم اتفقوا على مبايعة النفس الزكية فبايعوه ثم ضرب الدهر ضربه وانتقل الملك إلى بني العباس كما تقدم شرحه ثم انتقل من السفاح إلى المنصور فلم يكن له همة سوى طاب النفس الزكية لقتله أو ليخله وأغراء بذلك أن الناس كانوا شديدي الميل إلى نفس الزكية وكانوا يعتقدون فيه الفضل والشرف والرئاسة فطالبه المنصور من أبيه عبد الله المحض وكان عبد الله المحض من رجال بني هاشم وساداتهم فأنزله المنصور بإحضار ابنه محمد النفس الزكية وإبراهيم فقال لا علم لنا بهما وكانا قد تغيبا خوفا منه فلما طول القول لاييهما عبد الله قال كم تطول والله لو كانا تحت قدمي لما رفعتهما عنهما سبحانه الله آتيك بولدي لتقتلها فقبض عليه وعلى أهله من بني الحسن وكان من أمرهم ما تقدم شرحه رضى الله عنهم

وسلم عليهم

شرح خروج النفس الزكية هو محمد بن عبد الله المحض بن الحسن

ابن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ﴿

كان النفس الزكية من سادات بني هاشم ورجلهم فضلاً وشرفاً ودينًا
وعلمًا وشجاعة وفصاحة ورئاسة وكرامة ونبلا وكان في ابتداء الامر قد شيع
بين الناس أنه المهدي الذي بشر به وأثبت أبود هذا في نفوس طوائف من
الناس وكان يروى أن الرسول صلوات الله عليه وسلامه قال لو بقي من الدنيا
يوم أطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه مهدينا أو قائمنا اسمه كاسمى واسم أبيه
كاسم أبي * فأما الامامية فيروون هذا الحديث خالياً من واسم أبيه كاسم أبي

فكان عبد الله المحض يقول للناس عن ابنه محمد هذا هو المهدي الذي
بشر به هذا محمد بن عبد الله ثم ألقى الله محبته على الناس فمالوا اليه كافة ثم
عضد ذلك أن أشراف بني هاشم بايعوه ورشحوه للامر فقدموه على نفوسهم
فزادت رغبته في طلب الامر وزادت رغبة الناس فيه وما زال متغرباً منذ
أفضت الدولة الى بني العباس خوفاً منهم على نفسه فلما علم بما جرى لوالده
واقومه ظهر بالمدينة وأظهر أمره وتبعه أعيان المدينة ولم يتخلف عنه الا نفر
يسير ثم غلب على المدينة وعزل عنها أميرها من قبل المنصور ورتب عليها
عاملاً وقاضياً وكسر أبواب السجون وأخرج من بها واستولى على المدينة
ومنذ خرج محمد بن عبد الله وفعل ما فعل بالمدينة توجه رجل يقال له أوس
العامري من المدينة الى المنصور في تسعة أيام وقدم ليلاً فوقف على أبواب
المدينة فصاح حتى علموا به فأدخلوه فقال الربيع الحاجب ما حاجتك في هذه
الساعة وأمير المؤمنين نائم قال لا بد لي منه فدخل الربيع وأخبر المنصور
خبره وأدخله اليه فقال يا أمير المؤمنين خرج محمد بن عبد الله بالمدينة وفعل

وصنع قال أنت رأيته قال نعم وعينته على منبر رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وخاطبته فادخله المنصور بيتاً ثم تواترت الاخبار عليه بذلك فاخرجه وقال له سوف افعل معك وأصنع وأغنيك. في كم ليلة وصلت من المدينة قال في تسع ليال فاعطاه تسعة آلاف درهم. ثم قام المنصور وقعد وتراخت المدة حتى تكاثبا وتراسلا فكتب كل واحد منهما الى صاحبه كتابا نادراً معدوداً من محاسن الكتب احتج فيه وذهب في الاحتجاج كل مذهب وفي آخر الامر ندب ابن أخيه عيسى بن موسى لقتاله فتوجه اليه عيسى بن موسى في عسكر كثيف فالتقوا في موضع قريب من المدينة فكانت الغلبة لعسكر المنصور فقتل محمد بن عبد الله وحمل رأسه الى المنصور وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة * ثم خرج أخوه ابراهيم بن عبد الله قتيلاً باخرى بالبصرة

✽ شرح كيفية الحال في ذلك على سبيل الاختصار ✽

كان ابراهيم بن عبد الله في حال تغييه يحضر الى عسكر المنصور متخفياً وربما جلس على السباط وكان المنصور شديد الطلب له فخرج من مدينة المنصور ومضى الى البصرة وأظهر أمره ودعا الى نفسه فتبعه جماعة وكثرت جموعه فارسل المنصور اليه ابن أخيه عيسى بن موسى بعد رجوعه من قتل النفس الزكية فتوجه عيسى بن موسى اليه بخمسة عشر ألف مقاتل فالتقوا بقرية يقال لها باخرى قرية من الكوفة فكانت الغلبة لعسكر المنصور وقتل ابراهيم في المعركة وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة رحمه الله تعالى

وكانت أيام المنصور ذات فتوق وأحداث * فمن خرج عليه عمه عبد الله بن علي وكان السفاح أرسله الى قتال مروان الحمار كما تقدم شرحه ثم مات السفاح وتولى المنصور الخلافة وعبد الله بن علي بالشأم فطمع في الخلافة

وخطب الناس وقال ان السفاح ندب بنى العباس لقتال مروان فلم ينتدب
غيرى وانه قال لى ان ظهرت عليه وكانت الغلبة لك فانت ولى العهد بعدى
وشهد له جماعة بذلك فبايعه الناس ولما اتصل الخبر بالمنصور أقامه ذلك
وأقعدده فقال له أبو مسلم الخراسانى ان شئت جمعت ثيابى فى منطقتى وخدمتك
وان شئت أتيت خراسان وأمددتك بالجنود وان شئت سرت الى حرب
عبد الله بن على فامرته بالمسير الى حرب عبد الله فसार أبو مسلم بعسكر كثيف
فتناول الامد بينهما شهورا كانت فى آخرها الغلبة لعسكر أبى مسلم فهرب
عبد الله بن على الى البصرة ونزل على أخيه سليمان بن على بن عبد الله بن
عباس فشفع سليمان فيه الى المنصور وطلب له الامان فأمنه المنصور وكتب
له كتاباً بليغاً التزم فيه بكل شىء فلما جاء اليه حبسه ومات فى حبسه فقيل إنه
بنى له بيتاً وجعل فى أساساته ملجأ ثم أجرى الماء فيه فسقط البيت عليه
فمات * والمنصور هو الذى قتل أباً مسلم الخراسانى

شرح الحال فى ذلك

كان فى نفس المنصور قديماً حزازات من أبى مسلم وكان بينهما تباغض
وقد كان المنصور أشار على أخيه السفاح بقتله فامتنع السفاح وقال كيف يكون
ذلك مع حسن بلائه فى دولتنا فلما ولى المنصور الخلافة أرسل أباً مسلم الى
الشام لحرب عمه عبد الله بن على بن العباس كما تقدم شرحه فلما ظفر أبو مسلم
وغنم جميع ما كان فى عسكر عبد الله بن على وانهمزم عبد الله الى البصرة
أرسل المنصور بعض خدمه ليحتاط على باقى العسكر من الاموال فغضب
أبو مسلم وقال أمين على الدماء خائن فى الاموال وشم المنصور وكتب بعض
أصحاب الاخبار بذلك الى المنصور وعزم أبو مسلم على الخلاف وأن يتوجه

الى خراسان ولا يحضر عند المنصور يخاف المنصور أن يتوجه أبو مسلم الى خراسان بهذه الصفة فتفسد عليه الامور هناك

وكان أبو مسلم رجلاً مهيأً داهية شجاعاً ليلاً جريئاً على الامور فطناً عالماً قد سمع الحديث وعلم من كل شيء فكتب اليه المنصور يطيب نفسه ويسكنه ويعده الجميل ويستدعي منه الحضور فأجاب بأني على الطاعة واني متوجه الى خراسان فان أصلحت نفسك كنت سامعاً مطيعاً وان أبيت الا أن تعطى نفسك سؤالها كنت قد نظرت لنفسى بالحال التي تقارنها السلامة فاشتد خوف المنصور منه وحنقه عليه وكتب اليه كتاباً معناه انك لست في نظرنا بهذه الصفة التي قد سمت بها نفسك وان حسن بلائك في دولتنا يغنيك عن هذا القول واستدعي منه الحضور وقال لوجوه بني هاشم اكتبوا انتم ايضاً اليه فكتبوا اليه يقبحون عليه خلاف المنصور ومشاققته ويحسنون له الحضور عنده والاعتذار اليه وأرسل المنصور الكتب على يد رجل عاقل من أصحابه وقال له امض اليه وحدثه ألين حديث تحدثه أحداً فان رجع فارجع به حتى تقدم به على وان أصرّ على المشاققة وصمم على التوجه وأيست منه ولم يبق لك حيلة فقل له يقول لك فلان لست من العباس وبرئت من محمد ان مضيت على هذه الحال ولم تعد ان تولى حربك غيرى وعلى كذا وكذا ان لم أتول أنا ذلك بنفسى فمضى الرسول اليه وناوله الكتب فقرأها والتفت الى صديق له يقال له مالك بن الهيثم وقال له ما رأى قال رأى أن لا ترجع اليه فانك ان رجعت اليه قتلك وان مضيت على طريقك حتى تصل الى الرى وهم جندك فتقيم وتنظر في أمرك فان حدث لك حادث كانت خراسان من ورائك فعزم أبو مسلم على ذلك وقال للرسول قل لصاحبك انه ليس من

رأي الحضور عندك وأنا متوجه الى خراسان فقال له الرسول يا أبا مسلم أنت
 ما زلت أمين آل محمد فأثدك الله أن تسم نفسك بسمه العصيان والشقاق
 والرأي ان تحضر عند أمير المؤمنين وتعتذر اليه فلن ترى عنده الا ما تحب
 فقال له ابو مسلم متى كنت تخاطبني بمثل هذا الخطاب فقال الرجل سبحان
 الله أنت دعوتنا الى ولاية هؤلاء القوم ونصرهم وقلت لنا من خالفهم فاقتلوه
 فلما دخلنا معك فيما نديننا اليه رجعت عنه وأنكرته علينا فقال ابو مسلم هو
 ما قلت لك ولست ارجع فقال له فليس عندك غير هذا قال نعم بخلافه وابلغه
 ما قال المنصور فوجم واطرق ساعة ثم قال ارجع واعتذر اليه ورجع ثم سلم
 عسكره الى بعض أصحابه وقال له ان جاءك كتابي وهو مخنوم بنصف خاتمي
 فهو كتابي وان كان مخنوماً بكل الخاتم فاعلم انه ليس ختمى وأوصاه بما اراد
 ثم سار الى المنصور فلقيه بالمداين فلما علم المنصور بوصوله أمر الناس جميعاً
 بتلقيه فلما دخل عليه قبل يده فأدناه وأكرمه ثم أمره بان يعود الى خيمته
 ويستريح ويدخل الحمام ويعود من الغد فمضى فلما أصبح أتاه رسول المنصور
 يستدعيه وقد أعد المنصور جماعة من أصحابه خلف الستور بأيديهم السلاح
 فأوصاهم أنه اذا ضرب باحدى يديه على الاخرى يخرجون فيقتلون ابا مسلم
 فلما دخل ابو مسلم عليه قال له أخبرني عن سيفين وجدتهما في عسكر عبد الله بن
 علي فقال ابو مسلم هذا أحدهما وكان في يده سيف فأخذه المنصور ووضعته تحت
 مصلاه ثم شرع في توبيخه وتقريعه على ذنب ذنب وأبو مسلم يعتذر عن كل واحد
 بعذر فعدد عليه عدة ذنوب فقال ابو مسلم يا أمير المؤمنين مثلي لا يقال له هذا
 ولا تعدد عليه مثل هذه الذنوب بعد ما فعلت فاغتاز المنصور وقال يا ابن الاخفاء
 انت فعلت والله لو كانت مكانك أمة سوداء لفعلت ما فعلت وهل نلت ما نلت

إلا بنا وبدولنا فقال أبو مسلم دع هذا فقد أصبحت لا أخشى غير الله فضرب المنصور بيده على الأخرى فخرج أولئك نفر وخطود بالسيوف فصاح استبقني يا أمير المؤمنين لعدوك فقال المنصور وأى عدو لي أعدى منك ثم أمر به فكف في بساط ودخل عيسى بن موسى فقال أين أبو مسلم يا أمير المؤمنين فقال المنصور هو ذاك في البساط فقال قتلته قال نعم قال (أنا لله وأنا إليه راجعون) بعد ثلاثة وفعله وأمانه وكان المنصور قد آمنه وكفل عيسى بن موسى على ذلك فقال له المنصور خلع الله قلبك والله ليس لك على وجه لأرض عدو أعدى منه وهل كان لكم ملك في حياته ثم أمر المنصور بمال جنده ففارقوا وتصرف المنصور في خراسان وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائة

وفي عقب قتل أبي مسلم خرج رجل اسمه سنباذ بخراسان يطلب بثأر أبي مسلم الخراساني

شرح كيفية الحال في ذلك على سبيل الاختصار

كان هذا سنباذ رجلاً مجوسياً من بعض قرى نيسابور وكان من أصحاب أبي مسلم وصنائه فظهر غضبا لقتل أبي مسلم وكثر أشياعه وأطاعه أكثر أهل الجبال وغلب على كثير من بلاد خراسان فلما بلغ المنصور خبره أرسل إليه عشرة ألف فارس فالتقوا بين همدان والري وكان هذا سنباذ قد أفسد في البلاد التي غلب عليها فسادا كثيرا وسبى الذراري وأظهر أنه يريد أن يعصى في الحجاز ويهدم الكعبة فلما التقى هو وعسكر المنصور كان سنباذ قد أخذ معه عدة من النساء المسلمات اللواتي قد سباهن وهن على جمال أمر سنباذ بإخراج النساء المسييات قدام عسكره فخرج النساء حواسر على الجمال وصحن

صيحة واحدة وا محمداه فنفرت الجمال وكرت راجعة على عسكر سنباذ فقرقتها
فتبعها عسكر المنصور ودخلوا خلف الجمال فوضعوا فيهم السيوف وأبادوه
قتلا وكان عدة القتلى نحواً من ستين الفا وقد دل الاستقراء على أن من
اخترع دولة واحدها لم يستمتع بها في أغلب الاحوال * قال صلوات الله عليه
(لا تتنوا الدول فتحرموها) وكأن المخترع للدولة يكون عنده من الدالة
والتبسط ما نائف من احتماله نفوس الملوك فكما زاد تبسطه زادت الأئمة
عنده حتى يوقعوا به * والمنصور خلع ابن اخيه عيسى بن موسى من ولاية
العهد وجعلها في ابنه محمد المهدي

شرح كيفية الحال في ذلك *

هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس امير الكوفة
هو ابن اخي المنصور

كان عيسى بن موسى قد جعله براهيم الامام ولي عهد بعد المنصور
وأخذ له البيعة على الناس وحلفهم له فلما كبر المهدي بن المنصور شعف المنصور
به شعفا شديدا فأحب أن يبايع له بالخلافة فخلع عيسى بن موسى وأشهد عليه
بالخلع وبايع للمهدي وجعل عيسى بن موسى بعده

شرح كيفية خلع عيسى بن موسى *

قد اختلف أرباب السير في كيفية خلعه ف قيل ان المنصور التمس منه
ذات وكان يكرمه ويجلسه عن يمينه ويجلس المهدي عن يساره فلما فاضه
المنصور في خلع نفسه قال يا أمير المؤمنين كيف أصنع بالأيمان التي في رقبتي
وفي رقاب الناس بالعناق والطلاق والحج والصدقة ليس الى الخلع سبيلا
فتغير المنصور عليه وباعده بعض الماعدة وصار يأذن للمهدي قبله ويجلسه

دون المهدي وصار يتقصد أذاه فكان يكون عيسى بن موسى جالسا فيخفر الحائط الذي يليه ويثر التراب على رأسه فيقول لبيه تخوشم يقوم هو فيصلي والتراب ينتثر عليه ثم يؤذن له فيدخل على المنصور والتراب عليه لا ينفضه فيقول له المنصور يا عيسى ما يدخل أحد على بمثل ما تدخل انت به من الغبار والتراب افكل هذا من الشارع فيقول عيسى أحسب ذلك يا امير المؤمنين ولا يشكو

وقيل انه سقاه بعض ما يتلقه فرض مدة ثم افاق منه فلم يزل هذا الأذى يتكرر عليه حتى خلع نفسه وباع

وقيل بل وضع المنصور الجند فصاروا يشتمون عيسى بن موسى اذ ارأوه وينالون منه فلما شكك الى المنصور قال له يا ابن اخي إني والله اخافهم عليك وعلى نفسي فانهم قد أشربت قلوبهم حب هذا القتي يعني المهدي فلو قدمته بين يديك نخلع عيسى نفسه وباع المهدي ولما رآه بعض اهل الكوفة وقد جعل المهدي قدامه في الخلافة وصار هو بعده قال هذا الذي كان غداً فصار بعد غد * وقيل بل اشتراها المنصور منه بمال مبلغة احد عشر الف الف درهم * وقيل بل أرسل اليه خالد بن برمك فاخذ معه جماعة من أهل المنصور نحو الثلاثين رجلا ومضى الى عيسى فحاطبه في أن يخلع نفسه فأبى فلما أبى قال خالد لجماعة نشهد عليه انه قد خلع نفسه ونحقق بذلك دمه ونسكن هذه التتنة فشهدوا عليه بذلك فقامت البيعة به ونكر عيسى فم يلبثت اليه وتم خلعه وبويع للمهدي والله أعلم أي ذلك كان * والمنصور هو الذي بنى الرصافة لابنه المهدي

* شرح السبب في بنائها *

كان الجند قد شغبوا على المنصور فقال المنصور لقثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس ما ترى التياث الجند وإنى خائف أن تجتمع كلمتهم فقال له يا أمير المؤمنين الرأي أن تعبر ابنك إلى الجانب الشرقي وتعبر معه قطعة من العسكر وتبنى له مدينة فيصير هو في مدينة وعسكر بالجانب الشرقي وانت في مدينة وعسكر بالغربي فإن رايك حدث من أحد الجانبين استعنت عليه بالجانب الآخر فقبل قوله وبني الرصافة وتمت الرصافة وصار الخلفاء بعد ذلك يدفنون موتاهم بها وبنوا بها التراب الجليلة وحملوا إليها من القرش العظيم والآلات الجليلة ما يتجاوز الحصر ووقفوا عليها من النواحي والأقرحة والعقارات جملة كثيرة وكانت في أيامهم حرما إذا لجأ إليها الخائف أمن ومات المنصور محرما بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة فكمم الربيع أمره لأجل البيعة للمهدي فيقال أنه أجلسه وسنده وجعل على وجهه كلة خفيفة يرى وجهه منها ولا يفهم أمره وأذن لوجود بني هاشم فلما دخلوا ووقفوا بين يديه وهم يحسبون أنه حتى تقدم الربيع إليه كأنه يشاوره ثم عاد إليهم وقال أمير المؤمنين يأمركم بتجديد البيعة للمهدي فبايع الناس طرا وقيل إن المهدي لما بلغه ذلك استخف بالربيع وقال ما منعك هية أمير المؤمنين من هذا الفعل به

شرح حال الوزارة في أيامه

لم تكن الوزارة في أيامه طائلة لاستبداده واستغنائه برأيه وكفائه مع أنه كان يشاور في الأمور دائما وإنما كانت هيئته تصغر لها هية الوزراء وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف فلا يظهر لهم أمية ولا رونق
 وزارة أبي أيوب المورياتي للمنصور

موريان قرية من قرى الاهواز * كان المنصور قد اشتراه صبياً قبل
 الخلافة وثقفه فاتفق انه أرسله مرة الى أخيه السفاح وهو خليفة وأرسل
 معه هدية فلما رآه السفاح أعجبه هيئته وفصاحته وصباحته فقال له يا غلام
 لمن انت قال لآخي امير المؤمنين قال بل انت لي واحتبسه عنده وكتب الى
 المنصور يعلمه انه قد أخذه وأعتقه وخصت بالسفاح مدة خلافته ثم تمت حاله
 وتزايدت نعم الله عنده حتى قلده المنصور وزارته وكان ليماً بصيراً بالامور
 عاقلاً فطناً ذكياً فاضلاً كريماً غزيراً المروءة

مكرمة

حدث ابن شبرمة قال زوجت ابني على صداق مبلغه الف درهم فجعلت
 أفكر فيمن أستعين به على ذلك فأثيت ابا أيوب المورياني وزير المنصور
 فذكرت له ذلك فقال قد أمرنا لك بهذا القدر فجزيته خيراً وقت لأخرج
 فقال لا تعجلن اجلس ثم قال اذ دفعت المهر فما يحتاج ابنك الى نفقة ثم قال
 أعطوه الف درهم للنفقة وذهبت لأقوم فقال لا تعجل أفلا يحتاج الى خادم
 أعطوه الف درهم لخادم فما زال يأمرني في كل مرة بالفين الفين حتى تكمل
 ما أمرني به خمسين الف درهم

* ذكر القبض على ابني أيوب سليمان المورياني وزير المنصور *

كان ابو أيوب يحب جمع المال ليتقرب به الى المنصور اذا خافه فقال
 له المنصور يوماً ما ترى حال صالح ابني ليس له ضيعة فقال ابو أيوب يا امير
 المؤمنين بالاهواز مزارع عاطلة تحتاج الى ثلاثمائة الف درهم تعدر بها ويقوم
 منها حاصل جيد فاطلق له ثلاثمائة الف درهم وأمره بممارتها لابنه صالح
 فأخذ ابو أيوب المال ولم يعمل في الضيعة شيئاً وصار في رأس كل سنة يحمل

عشرين الف درهم ويقول هذه حاصل الضيعة المستجدة فانكتم الحال عن المنصور مدة ثم ان أعداء ابى أيوب وجدوا هذا طريقاً الى السعاية به فأعلموا المنصور الحال فانحدر بنفسه الى هناك فأمر ابو أيوب أن تبني بيوت على جانب الشط ويفرس فيها كرم ويخضر حوايلها فلما فعل ذلك اجتاز المنصور بها فقال له ابو أيوب هذه هي الضيعة فرأى المنصور العمارة والحضرة فكاد الامر يشته عليه فأعلمه أعداء ابى أيوب صورة الحال فركب بنفسه وأخذ الادلاء معه وطاف الضيعة فوجدها عاطلة لاعمارة فيها فعرف القصة وتنبه على خيانة ابى أيوب فنكبه وقتله وقتل اقاربه واستصفي أموالهم * وقال ابن حبيبات الشاعر الكوفي في ذلك

(خفيف)

قد وجدنا الملوك تحسد من أعطته طوعاً أزيمة التدبير
فاذا ما رأوا له النهى والامرأتوه من بأسهم بنكير
شرب الكأس بعد خنص سليم من ودارت عليه كف المدير
ونجا خالد بن برمك منها إذ دعوه من بعدها بالامير
سوا العالمين حالا لديهم من تسمى بكتاب أو وزير
﴿ وزارة الربيع بن يونس للمنصور ﴾

هو ابو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان هو ابو فروة مولى عثمان بن عفان كان يقال إن الربيع لقيط ولذلك قال يوما لرجل كرّر الترحم على أبيه في حضرة المنصور كم تكرر ذكر أهلك وترحم عليه فقال له الرجل إنك معذور في ذلك لانك لم تذق حلاوة الآباء * قالوا والصحيح أنه ابن يونس بن محمد بن أبى فروة ولكنه لغير رشدة قالوا وقع يونس بن محمد على جارية لهم فولدت له الربيع فأنكره يونس فبيع وتثقل في الرق حتى

وصل الى بنى العباس * وبلغنى أن علاء الدين عطا ملك بن الجوينى صاحب
الديوان كان ينتسب الى الفضل بن الربيع . ولقد عجبت من الصاحب علاء
الدين مع نبلة وفضله واطلاعه على السير والتواريخ كيف رضى أن ينتسب
الى الفضل بن الربيع . فان كان قد اتحل هذا النسب ففضيحة ظاهرة وان كان
حقاً فلقد كان العقل الصحيح يقتضى ستره فانه نسب لا يوجد أرذل منه ولا
أفصح ولا أسقط أما أولاً فلان الفضل بن الربيع لم يكن حراً فى نفسه وكان
مرمياً بالفاحشة . قالوا كان له صبي يأتيه وكان يقال له فحل الفضل وعمل
الشعراء فيه أشعاراً منها (متقارب)

لواط الخليفة أعجوبة وأعجب منه بغاء الوزير
فلو يستعان هذا بذنا لكانا بعرضة أمر سثير
وأما ثانياً فلأن الربيع وان كان جليلاً كافياً إلا أنه كان مدخول النسب
فكان يقال إنه لقيط وتارة يقال إنه ولد زنا وأحسن أحواله أن يكون صحيح
الاتصال الى أبى فروة مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه وفى ذلك أثم العار فان أبا
فروة كان ساقطاً وكان عبداً للحرث حفار القبور بمكة والحرث مولى عثمان بن
عفان فابو فروة عبد عبد عثمان وفى ذلك يقول الشاعر (طويل)

وان ولا كيسان للحرث الذى ولى زمنا حفر القبور يثرب
وأبو فروة خرج على عثمان يوم الدار وكفاه بذلك عاراً فانظر هل ترى
نسباً أسقط أو أرذل من هذا وأعجب من رأى الصاحب علاء الدين فى هذا
خلو حضرته ممن يعرف هذا القدر فينبه عليه

كان الربيع جليلاً نبيلاً منفذاً للامور مهيباً فصيحاً كافياً حازماً عاقلاً
فطناً خبيراً بالحساب والأعمال حاذقاً بامور الملك بصيراً بما يأتى ويذر

محباً لفعل الخير

روى أن المنصور أحضر يوماً انساناً ذكر له أنه وثب على عامله ببعض
النواحي فقال له المنصور ويحك انت المتوثب على فلان العامل والله لا تثرن
من لحك أكثر مما يبقى منه على عظامك وكان شيخاً كبيراً فانشد بصوت
ضعيف (كامل)

أثروض عرسك بعد ماهرمت ومن العناء رياضة الهرم
فقال المنصور ياربيع مايقول فقال يقول (بسيط)
العبد عبدكم والامرأمركم فهل عذابك غني اليوم مصروف
فقال قد عفونا عنه فلينصرف * ورأى المنصور يوماً في بستانه شجيرة
من شجر الخلاف فلم يدركها فقال ياربيع ماهذه الشجرة فقال الربيع اجما
ووافق وكره أن يقال خلاف فاستعقله المنصور واستحسن قوله

ولم يزل الربيع وزيراً للمنصور الى أن مات المنصور وقام الربيع بأخذ
البيعة للمهدي على ما تقدم وصفه وهو آخر وزراء المنصور وقتله الهادي وكان
سبب قتله أنه أهدى جارية حسناء الى المهدي بن المنصور فوهبها المهدي
لابنه موسى الهادي فغلب حبها عليه وأولدها أولاده فلما صار الهادي خليفة
سمى اليه أعداء الربيع وقالوا له انه اذا رأى بنيك قال والله ما وضعت بني
وبين الأرض أطيب من أم هؤلاء فعظم ذلك على الهادي وعلى بنيه وعلى
الجارية أيضاً فناولها الهادي قدحاً فيه عسل مسموم فشربه فمات ليوم وذلك
في سنة سبعين ومائة * انقضت أيام المنصور ووزرائه

ثم ملك بعده ابنه محمد المهدي *

هو ابو عبد الله محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور وقد مر نسبه بويج

له بالخلافة بمكة في سنة ثمان وخمسين ومائة
 كان المهدي شهماً فظناً كريماً شديداً على أهل الاحاد والزندقة لا
 تأخذه في إهلاكمهم لومة لائم وكانت أيامه شبيهة بأيام أبيه في القتوف
 والحوادث والحوارج وكان يجلس في كل وقت لرد المظالم
 روي عنه أنه كان اذا جلس للمظالم قال أدخلوا عليّ القضاة فلو لم يكن
 ردى للمظالم إلا للحياء منهم لكفى

وحدث عنه أنه خرج متنزهاً ومعه رجل من خواصه اسمه عمرو فانقطعما
 في الصيد عن العسكر فجاء المهدي فقال هل من شيء يؤكل فقال له عمرو
 أرى كوخاً قصوده فاذا فيه نبطى وعنده مبقلة فسلموا عليه فرد السلام فقالوا
 هل من طعام فقال عندي ريشاء وهو نوع من الصحناء وعندي خبز شعير
 فقال المهدي ان كان عندك زيت فقد اكملت الضيافة قال نعم وكراث فاتاها
 بذلك فاكلا حتى شبعوا فقال المهدي لعمرو قل في هذا شعراً فقال

(خفيف)

إن من يطعم الريشاء بالزيست وخبز الشعير بالكراث
 لجدير بصفحة أو بثنتين لسوء الصنيع أو بثلاث
 فقال المهدي بشما قلت انما كان ينبغي أن تقول

لجدير ببدره أو بثنتين لحسن الصنيع أو بثلاث

قال ووافاه العسكر والحزائن والخدم فامر للنبطى بثلاث بدر
 وانصرف * وفي أيامه ظهر المقنع بخراسان

﴿ شرح كيفية الحال في ذلك ﴾

كان هذا المقنع رجلاً أعور قصيراً من أهل مرو وكان قد عمل وجهاً

من ذهب وركبه على وجهه لئلا يرى وجهه وادعى الالهية وكان يقول ان الله خلق آدم فتحول في صورته ثم في صورة نوح وهكذا هم جراً الى أبي مسد الخراساني وسمى نفسه هاشما وكان يقول بالتناسخ وبايعه خلق من ضلال الناس وكانوا يسجدون الى ناحيته أين كانوا من البلاد وكانوا يقولون في الحرب يا هاشم أعنا واجتمع اليه خلق كثير

فأرسل المهدي اليه جيشاً فاعتصم منهم بقلعة هناك وطاولوه فضجر وضجر أصحابه فطلب أكثره الامان وبقى معه نفر يسير وهو في القلعة محاصر فأضرم ناراً عظيمة وأحرق جميع ما بالقلعة من دابة وثوب ومتاع ثم جمع نساءه وأولاده وقال لأصحابه من أحب منكم الارتفاع معي الى السماء فليلق نفسه في هذه النار ثم التى فيها نفسه وأولاده ونساءه خوفاً ان يظفر بجثته او بحرمه فلما احترقوا فتحت أبواب القلعة فدخلها عسكر المهدي فوجدوها خالية خاوية

ولما ولي المهدي الخلافة جدد الكلام في خلع عيسى بن موسى والبيعة لولديه موسى الهادي وهرون الرشيد وقد تقدم شرح كيفية خلعه في أيام المنصور وانه قدم المهدي عليه فلما ولي المهدي أراد لبنيه ما أراد المنصور له فطلب من عيسى بن موسى ان يخلع نفسه فأبى فأرهبه وارغبه حتى أجاب واشهد عليه بالخلع وبايع لولديه الهادي والرشيد

وكان المهدي ينظر في الدقائق من الامور وكذلك كانت أبوه فتقدم المهدي حين ولي برد نسب آل زياد بن أبيه الى عبيد الثقفي واسقاطهم من ديوان قريش وبرد نسب آل أبي بكر الى ولاء رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وكتب الكتب بذلك فاعتمد ما رسم به ثم بعد ذلك ارتشى العمال

من بنى زياد وأعادوهم الى ديوان قريش * وغزا المهدي الروم عدة دفعات
وكانت له الغلبة ومات المهدي بماسبذان واختلف في سبب موته
ف قيل انه طرد ظبياً في بعض متصيداته فدخل الظبي الى باب خربة
فدخل فرس المهدي خلفه فدقه باب الخربة فقطع ظهره فمات من ساعته *
وقيل ان بعض جواريه جعلت سما في بعض الماء كل جارية أخرى فأكل
المهدي منه وهو لا يعلم فمات * وذلك في سنة تسع وستين ومائة * وقال أبو
العتاهية يصف جواريه وقد برزن بعد موته وعليهن المسوح (رمل)

رحن في الوشي وأقبلن عليهن المسوح
كل نطاح من الدهر له يوم نطوح
لست بالباقي ولو عممرت ما عمر نوح
فعلى نفسك نح ان كنت لا بد تنوح
* شرح حال الوزارة في أيامه *

في أيامه ظهرت أبهة الوزارة بسبب كفاءة وزيره أبي عبيد الله معاوية
ابن يسار فانه جمع له حاصل المملكة ورتب الديون وقرر القواعد وكان كاتب
الدنيا وأوحد الناس حذقاً وعلماً وخبرة

﴿ وهذا شرح طرف من حاله ﴾

وزارة أبي عبيد الله معاوية بن يسار للمهدي هو من موالى الأشعرين
كان كاتب المهدي ونائبه قبل الخلافة ضمه المنصور اليه وكان قد عزم على ان
يستوزره لكنه آثر به ابنه المهدي فكان غالباً على امور المهدي لا يعصى له
قولاً وكان المنصور لا يزال يوصيه فيه ويأمره بامثال ما يشير به فلما مات
المنصور وجلس المهدي على سرير الخلافة فوض اليه تدبير المملكة وسلم اليه

الدواوين وكان مقدماً في صناعته فاخترع اموراً* منها أنه نقل الخراج الى المقاسمة وكان السلطان يأخذ عن الغلات خراجاً مقررأً ولا يقاسم فلما ولي ابو عبيد الله الوزارة قرر أمر المقاسمة وجعل الخراج على النخل والشجر واستمر الحال في ذلك الى يومنا وصنف كتاباً في الخراج ذكر فيه احكامه الشرعية ودقائقه وقواعده وهو اول من صنف كتاباً في الخراج وتبعه الناس بعد ذلك فصنفوا كتب الخراج وكان شديد التكبر والتجبر

روى أن الربيع لما قدم من مكة بعد موت المنصور وأخذ البيعة للمهدي حضر من ساعة وصوله الى باب أبي عبيد الله فقال له ابنه الفضل يا أبي نبأ به قبل امير المؤمنين وقبل منزلنا قال نعم يا بني هو صاحب الرجل والغالب على أمره قال فوصل الربيع الى باب أبي عبيد الله الوزير فوقف ساعة حتى خرج الحاجب ثم دخل فاستأذن له فأذن له فلما دخل عليه لم يقم له ثم سأله عن مسيره وحاله فأخبره وشرع الربيع يحدثه بما جرى في مكة من موت المنصور واجتهاده في أخذ البيعة للمهدي فسكته وقال قد بلغني الخبر فلا حاجة الى إعادته فاغتاظ الربيع ثم قام فخرج وقال لابنه الفضل على كذا وكذا ان لم أبذل مالى وجاهى في مكروهه وإزالة نعمته ومضى الربيع الى المهدي فاستحجبه واختص به كما كان مع ابيه فشرع في افساد حال أبي عبيد الله الوزير بكل وجه فلم يتفق له ذلك فخلاً ببعض أعدائه وقال له قد ترى ما فعل معك ابو عبيد الله وكان قد أساء اليه وما فعل معي أيضاً فهل عندك تدبير في أمره قال الرجل لا والله ما عندي حيلة تنفذ عليه فانه أعف الناس فرجاً ويداً ولساناً ومذهبه مذهب مستقيم وحقه في صناعته ما عليه مزيد وعقله وكفاءته كما علمت ولكن ابنه ردي الطريقة مذموم السيرة والقول يسرع

اليه فان تهيأ حيلة من جهة ابنه فمضى ذلك فقبل الربيع بين عينيهِ ولاح له وجه الحيلة عليه فسمى بابنه الى المهدي أنواعاً من السعاليات فتارة يرميه بعض حرم المهدي وتارة يرميه بالزندقة وكان المهدي شديداً على أهل الاتحاد والزندقة لا يزال يتطلع عليهم ويفتك بهم فلما رسخ في ذهن المهدي زندقه ابن الوزير استدعى به فسأله عن شيء من القرآن العزيز فلم يعرف فقال لايه وكان حاضراً ألم تخبرني أن ابنك يحفظ القرآن قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن فارقتني مذ مدة فنسيه فقال له قم فنقرب الى الله بدمه فقام ابو عبيد الله فعثرو وقع وارتعد فقال العباس بن محمد عم المهدي يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تعفى الشيخ من قتل ولده ويتولى ذاك غيره فأمر المهدي بعض من كان حاضراً بقتله فضربت عنقه واستمر أبوه على حاله من الخدمة الا أنه ظهر عليه الانكسار وتمر قلبه وتتمر أيضاً قلب المهدي منه فدخل بعض الايام على المهدي ليعرض عليه كتباً قد وردت من بعض الاطراف فنقدم المهدي باخلاء المجلس فخرج كل من به الا الربيع فلم يعرض ابو عبيد الله شيئاً من تلك الكتب وطلب أن يخرج الربيع فقال له المهدي يا ربيع اخرج فتنحى الربيع قليلاً فقال المهدي ألم أمرك بالخروج قال يا أمير المؤمنين كيف أخرج وأنت وحدك وليس معك سلاح وعندك رجل من أهل الشام اسمه معاوية وقد قتلت بالامس ولده وأوغرت صدره فكيف أدعك معه على هذه الحال وأخرج فثبت هذا المعنى في نفس المهدي الا انه قال يا ربيع اني اثق بأبي عبيد الله في كل حال وقال لابي عبيد الله الوزير اعرض ما تريد فليس دون الربيع سر ثم قال بعد ذلك المهدي للربيع اني استحي من ابني عبيد الله بسبب قتل ولده فاحجبه عني فحجب عنه واتقطع بداره واضمحل

أمره وتهياً للربيع ما اراده من ازالة نعمته ومات ابو عبيد الله معاوية بن
يسار في سنة سبعين ومائة

﴿وزارة ابي عبد الله يعقوب بن داود للمهدي﴾

هو من الموالي قال الصولي كان داود ابوه واخوته كتابا لنصر بن سيار
امير خراسان. كان يعقوب بن داود يتشيع وكان في ابتداء امره مائلا الى بني
عبد الله بن الحسن بن الحسن وجرت له خطوب في ذلك ثم إن المهدي خاف
من بني الحسن أن يحدثوا أمراً لا يتدارك فطلب رجلاً ممن له أنس ببني
الحسن ليستعين به على أمرهم فدلّه الربيع على يعقوب بن داود لصداقة كانت
بين الربيع وبينه وليتفقا على ازالة دولة ابي عبيد الله معاوية الوزير فاستحضره
المهدي وخاطبه فرأى أكمل الناس عقلاً وأفضلهم سيرة فشعف به واستخلصه
لنفسه ثم استوزره وفوض الامور اليه

وقيل ان السبب في وزارته غير هذا وهو أن يعقوب بن داود قرر للربيع
مائة الف دينار إن حصلت له الوزارة فجعل الربيع يثني عليه في الخلوات عند
المهدي فطلب المهدي أن يراه فلما حضريين يديه رأى أكمل الناس خلقاً وفضلاً
ثم قال له يا أمير المؤمنين ها هنا أمور لا تنتهي الى علمك فان وليتني
عرضتها عليك بذات جهدي في نصيحتك فقرّبه وأدناه فصار يعرض عليه
من المصالح والمهمات والنصائح الجليلة ما لم يكن يعرض عليه من قبل فاستخصه
وكتب كتاباً بأنه أخوه في الله تعالى واستوزره وفوض اليه الامور كلها وسلم
اليه الدواوين وقدمه على جميع الناس حتى قال بشار يهجو (بسيط)

بنی اُمیة هبوا طال نومکم ان الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتکم یا قوم فالتمسوا خلافة الله بين النای والعود

وذلك لان المهدي اشتغل باللغو واللعب وسماع الاغانى وفوضى الامور الى يعقوب بن داود وكان أصحاب المهدي يشربون عنده النبيذ وقيل ما كان هو يشرب معهم فهناك يعقوب بن داود عن ذلك ووعظه وقال أبعده الصلوات في المسجد تفعل هذا فلم يلتفت اليه وفي ذلك يقول الشاعر للمهدي

(طويل)

فدع عنك يعقوب بن داود جانباً واقبل على صبياء طيبة النشر
ثم ان الساعة ما زالوا يسعون يعقوب بن داود الى المهدي حتى نكبه وجعله في المطبق وهو حبس التجليد فلم يزل على ذلك مدة أيام المهدي ومدة أيام الهادي حتى أخرجه الرشيد

﴿ شرح السبب في القبض عليه وكيفية ما جرى ﴾

حدث يعقوب بن داود قال استدعاني المهدي يوماً فدخلت عليه وهو في مجلس في وسط بستان ورؤس الشجر مع أرض ذلك المجلس وقدامت لأت رؤس الشجر من الازهار المتنوعة وقد فرش المجلس بفرش موردة وبين يديه جارية حسناء لم أر أحسن وجهاً منها فقال لي يا يعقوب كيف ترى هذا المجلس قلت في غاية الحسن فهنا الله امير المؤمنين قال فهو لك وجميع ما فيه ومائة الف درهم وهذه الجارية ليم سرورك فدعوت له قال ولي اليك حاجة أريد أن تضمن لي قضاءها قلت يا امير المؤمنين انا عبدك الطائع لجميع ما أمرك به فدفع اليّ رجلاً علوياً وقال أحب ان تكفيني أمره فاني خائف أن يخرج عليّ قال فقلت السمع والطاعة قال تحلف لي خلعت له بالله ان افعل ما تريد ثم نقل جميع ما كان في المجلس الى منزلي والجارية أيضاً فمن شدة سروري بالجارية جعلتها في موضع قريب من مجلسي ليس بيني وبينها سوى ستر رقيق

قال وادخلت العلوى الى وخاطبته فرأيت أنه أتم الناس عقلا فقال لى يا يعقوب
 تلقى الله بدمى وأنا ابن على بن ابى طالب وابن فاطمة رضى الله عنها وليس لى
 اليك ذنب قال فقلت لا والله خذ هذا المال وانج بنفسك قال والجارية تسمع
 كل ذلك فأرسلت الى المهدي دسيساً أعلمه بالقصة فأرسل المهدي وشحن
 الدروب بالرجال حتى حصل العلوى وجعله فى بيت قريب من مجلسه ثم استدعانى
 فحضرت فقال يا يعقوب ما فعلت بالعلوى قلت قد أراح الله منه امير المؤمنين
 قال مات قلت نعم قال بالله قلت اى والله قال فضع يدك على رأسى واحلف
 به قال يعقوب فوضعت يدى على رأسه وحلفت به فقال لبعض الخدم اخرج
 الينا من فى هذا البيت قال فأخرج العلوى فلما رأيته امتنع الكلام على
 وتحيرت فى أمرى فقال المهدي يا يعقوب قد حل لى دمك احمלוه الى المطبخ
 قال يعقوب فدليت بحبل فى بئر مظلمة لا أرى فيها الضوء وكان يأتيني فى كل
 يوم ما أتقوت به فكثت مدة لا أدري كم هى وذهب بصرى فى بعض الايام
 دلى لى حبل وقيل اصعد قد جاء القرح فصعدت وقد طال شعرى وأظافيرى
 فأدخلت الحمام وأصلحوا شأنى والبسوا ثياباً ثم قادونى الى مجلس وقيل لى
 سلم على امير المؤمنين فقلت السلام عليك يا امير المؤمنين فقيل لى على اى امراء
 المسلمين سلمت قلت على امير المؤمنين المهدي فسمعت قائلاً من صدر المجلس
 يقول رحم الله المهدي ثم قيل لى سلم على امير المؤمنين فقلت السلام عليك
 يا امير المؤمنين فقيل لى على اى امراء المؤمنين سلمت فقلت على امير المؤمنين
 الهادي فسمعت قائلاً يقول من صدر المجلس رحم الله الهادي ثم قيل لى سلم
 فسلمت فقيل لى على من سلمت قلت على امير المؤمنين هارون الرشيد فقال
 وعليك السلام يا يعقوب ورحمة الله وبركاته أعزز على بما نالك فجعلت المهدي

في حل ودعوت للرشيد وشكرته على خلاصتي ثم قال ما تريد يا يعقوب قلت
يا أمير المؤمنين ما بقي في مستمتع ولا بلاغ وريد المجاورة بمكة فاصري بما
يصلحني ثم توجه يعقوب الي مكة وجاور بها ولم تطل أيامه حتى مات هناك
سنة ست وثمانين ومائة

وزارة الفيض بن أبي صالح للمهدي

هو من أهل نيسابور وكانو انصارى فانتقلوا الى بني العباس واسلموا وترى
الفيض في الدولة العباسية ونأدب وبرع وكان سخياً مفضالاً متخرفاً في ماله
جواداً عزيز النفس كبير المهمة كثير الكبر والته حتى قال فيه بعض الشعراء
(طويل)

أبا جعفر جئناك نسئلاً نائلاً فأعوزنا من دون نائلك البشر
فما برقت بالوعد منك غمامة يرجي بها من سيب نائلك القطر
فلو كنت تعطينا المنى وزيادة لنفصها منك التجبر والكبر

قالوا كان يحيى بن خالد بن برمك اذا استعظم احد كرمه وجوده قال
لو رأيتم الفيض لصغر عندكم أمرى * وفي الفيض يقول ابو الاسود الدماني
الشاعر يمدحه
(طويل)

ولأمة لامتك يا فيض في النسي فقلت لها لن يقدح اللوم في البحر
أرادت لتثني الفيض عن سنن الندي ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر
مواقع جود الفيض في كل بلدة مواقع ماء المزن في البلد القفر
كان وفود الفيض لما تحملوا الى الفيض وافوا عنده ليلة القدر

قالوا كان الفيض بن أبي صالح متوجهاً في بعض الايام الى بعض
أغراضه فصادفه صديق له فسأله الفيض الى أين يذهب فقال ان وكيل

السيدة أم جعفر زبيدة قد حبس فلاناً على بقية ضمان مبلغها مائة ألف دينار
وفلان يعني المحبوس صديقي وصديقك أيضاً وأنا متوجه الى الوكيل المذكور
لاشفع فيه فهل لت أن تصل جناحي وتساعدني على هذه المكرمة فقال
الفيض إي والله ثم مضى معه فحضر عند وكيل أم جعفر زبيدة وشفعاً في
الرجل المحبوس فقال الوكيل الامر في هذا اليها وما أستطيع ان أفرج عنه الا
بقولها ولكني أخاطبها وأحسن لها الافراج عنه ثم كتب اليها شيئاً فخرج
الجواب انه لا بد من استيفاء هذا المال منه ولا سبيل الى قبول شفاعتي في
هذا الباب فاعتذر لوكيل اليها وأراها الخط فقال لرجل الفيض قم حتى نمضي
فقد فعلنا ما يجب علينا فقال الفيض لا والله ما فعلنا ما يجب علينا فكأن
ما جئنا الى هنا الا لنؤكّد حبس صاحبنا قال الرجل فما نصنع قال الفيض
حيث قد تعذر علينا خلاصه من هذه الجهة تؤدي عنه هذا المال من خاصنا
ونخرجه أنت نصفه وأنا نصفه فأجاب لرجل الى ذلك فقالا للوكيل كم لك
عليه قال مائة ألف دينار قالوا هي علينا وهذا خطنا بها فادفع اليها صاحبنا قال
هذا أيضاً لا قدر ان أفعله حتى أعلها بالخال قالوا فاعلمها فكتب اليها الوكيل
يخبرها بما قال الفيض وبصورة الحال فخرج الخادم وقال لا يكون الفيض
أكرم منا قد وهبناه المائة الالف فادفع اليهم صاحبهم فأخذاه وخرجاه
وكان الفيض قد وصف للمهدي لما عزم على يعقوب بن داود فلما قبض عليه
احضر الفيض واستوزره وفوض الامور اليه ومات المهدي وهو وزيره
فلما ولي الهادي لم يستوزره وبقي الفيض الى ول أيام الرشيد ثم مات وذات
في ستة ثلاث وسبعين ومائة اتقضت امام المهدي ووزرائه
ثم ملك بعده ابنه موسى الهادي

بويع له بالخلافة في سنة تسع وستين ومائة

كان الهادي متيقظاً غيوراً كريماً شهماً ايدياً شديداً البطش جري القلب
 مجتمع الحس ذا إقدام وعزم وحزم حدث عبيد الله بن مالك وكان يتولى
 شرطة المهدي قال كان المهدي يأمرني بضرب ندماء الهادي ومغنيه وحبسهم
 صيانة له عنهم فكنت أفعل ما يأمرني به المهدي وكان الهادي يرسل لي في
 التخفيف عنهم فلا أفعل فلما مات المهدي وولى الهادي أيقنت بالتلف
 فاستحضرتني يوماً فدخلت عليه وهو جالس على كرسي والسيف والنطع بين
 يديه فسلمت فقال لا سلم الله عليك أتذكر يوم بعثت اليك في أمر الحراني
 وضربه فلم تقبل قولي وكذلك فعلت في فلان وفلان وعدد ندماء فلم تلثفت
 لي قولي قلت نعم أفأذن في ذكر الحجة قال نعم قلت ناشدك الله لو أنك
 فلدتني ما قلدني المهدي وأمرتني بما أمر فبعث الي بعض بنيك بما يخالف
 أمرك فاتبعته قوله وتركت قولك أكان يسرك ذلك قال لا قلت فكذلك
 أنا لك وكذلك كنت لأبيك فاستدناي فقبلت يده ثم أمرني بالخلع وقال
 وليتك ما كنت تتولاه فامض راشداً فضيت منكراً في امرى وأمره وفلت
 حدث يشرب والقوم الذين عصيته في أمرهم ندماء ووزرؤه وكنابه
 وكأني بهم حين يغلب الشراب عليه يغلبون على رأيه ويحسنون له هلاك
 فل فاني لجالس وعندى بنية لي والكانون بين يدي وقدامي رقاق وكامخ وأنا
 شطره بالكامخ وأسخنه بالنار وآكل واطم الصغيرة وإذا بوقع حوافر
 الحيل فظننت ان الدنيا قد زلزلت فقلت هذا ما كنت خافه وإذا الباب قد
 فتح وإذا الخدم قد دخلوا والهادي في وسطهم على دابته فلما رأيته وثبت
 فقبلت دمه ورجله وحافر فرسه فقال لي يا عبيد الله اني فكرت في امرك

فقلت ربما سبق الى ذهنك انى اذا شربت وحولى اعداؤك ازالوا حسن رأيي فيك فيقلقك ذلك فصرت الى منزلك لاؤنسك واعلمك ان ما كان عندي من الحقد عليك قد زال جميعه فبات واطعمنى مما كنت تأكل لتعلم انى قد تحرمت بطعامك فيزول خوفك فاذنيت اليه من ذلك الرقاق والسكخ فأكل ثم قال هاتوا ما صحبناه لعبد الله فدخل اربع مائة بغل موقرة دراهم وغيرها فقال هذه لك فاستعن بها على امرك واحفظ هذه البغال عندك لعلى احتاج اليها لبعض اسفارى ثم انصرف

ومن كلامه ما قاله لابراهيم بن مسلم بن قتيبة وقد مات له ولد جفاء الهادى يعزیه وكان عنده بمنزلة عظيمة فقال له يا ابراهيم سررك ابنك وهو عدو وفتنة وحرزك وهو صلوة ورحمة فقال ابراهيم يا امير المؤمنين ما بقى منى جزء فيه حزن الا وقد امتلأ عزاء * فى ايامه خرج صاحب فسخ وهو الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام

شرح كيفية الوقعة بفسخ *

كان الحسين بن على من رجال بنى هاشم وسادتهم وفضلائهم وكان قد عززم على الخروج واتفق معه جماعة من اعيان اهل بيته ثم وقع من عامل المدينة تهضم لبعض آل على عليه السلام فثار آل أبى طالب بسبب ذلك واجتمع اليهم ناس كثيرون وقصدوا دار الامارة فتحصن منهم عاملها فكسروا السجون وأخرجوا من بها وبويع الحسين بن على عليه السلام ثم نعى أمرهم فأرسل اليهم محمد بن سليمان وقالوا سليمان بن المنصور فى عسكر فالتقوا بموضع يقال له فسخ بين مكة والمدينة فاقتتلوا قتالا شديداً ثم قتل الحسين بن على رضى الله عنه وحمل رأسه الى موسى الهادى فلما وضع

لرأس بين يديه قال لمن أحضره كأنكم قد جئتم برأس طاغوت من الطواغيت إن أقل ما أجزىكم به حرمانكم ولم يطلق لهم شيئاً وكان الحسين بن علي رضي الله عنه صاحب فسخ شجاعاً كريماً قدم على المهدي فأعطاه أربعين ألف دينار فقرقها في الناس ببغداد والكوفة وخرج من الكوفة لا يملك ما يلبسه إلا فرواً ماتحته قميص رضي الله عنه وسلم عليه

ولم تطل مدة الهادي فيقال إن أمه الخيزران أمرت جواربها بقتله فجلسوا على وجهه حتى مات وسبب ذلك قد اختلف فيه فقل إن الخيزران كانت متبسطة في دولة المهدي فأمر وتنهى وتشفع وتبرم وتنقض والمواكب تروح وتغدو إلى بابها فلما ولي الهادي وكان شديد الغيرة كره ذلك وقال لها ماهذه المواكب التي تبلغني أنها تغدو وتروح إلى بابك أما لك منزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك والله والا أنا نقي من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادى وخاصتى لأضربن عنقه ولا قبضن ماله ثم قال لأصحابه أيما خير أنا وأمي أم أتم وأمهاتكم قالوا بل أنت وأمك قال فايكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه فيقال فعلت أم فلان وصنعت أم فلان قالوا لا نحب ذلك قال فما بالكم نأتون أي فنحدثون بحدثها فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها ثم بحث لها طعاماً سموا ما فلم تأكل منه ثم قتلته

وقيل بل السبب أن الهادي عزم على خلع أخيه هرون الرشيد والبيعة لابنه جعفر فخافت الخيزران على هرون وكانت تحبه ففعلت بالهادي ما فاعت ومات الهادي في سنة سبعين ومائة والليلة التي مات فيها هي ليلة مات فيها خليفة وجلس خليفة وولد خليفة وقد كانوا يحدثون أنه سيكون ليلة كذلك

فالخليفة الذي مات فيها هو الهادي والذي جلس فيها على سرير الخلافة هو
الرشيد والذي ولد فيها هو المأمون

﴿ شرح حال الوزارة في أيامه ﴾

لما بويع بالخلافة استوزر الربيع بن يونس وقد سبق شرح طرف من
سيرته ونسبه * ثم استوزر بعده ابراهيم بن دكوان الحراني
* وزارة ابراهيم بن دكوان الحراني للهادي *

كان ابراهيم قد اتصل بالهادي في أيام حدشته كان يدخل اليه مع معه
كان يعلم الهادي نخف ابراهيم على قلب الهادي وألقه وصار لا يصبر عنه
ثم سعى به الى المهدي فكره لابنه صحبته فهناه عنه فما انتهى فتهدد به بالقتل
والهادي لا يباعده فاشتدت به السعايات الى المهدي فارسل ابنه الهادي أن
أرسل الى ابراهيم الحراني والا خلعتك من الخلافة فارسله اليه صحبة بعض
خدمه مرفها فوصل اليه والمهدي يريد الركوب الى الصيد فلما رآه قال
يا ابراهيم والله لأقتلنك والله لأقتلنك والله لأقتلنك ثم قال احفظوه حتى
أعود من الصيد فاقبل على الدعاء والتضرع فاتفق أن المهدي أكل الطعام
المسموم كما تقدم شرحه فمات من ساعته وتخلص الحراني وجلس الهادي
على سرير الخلافة ثم بعد ذلك بمديدة استوزر الحراني ولم تطل الايام حتى
مات الهادي * انقضت أيام الهادي ووزرائه

﴿ ثم ملك بعده اخوه هارون الرشيد ﴾

(خلافة هارون الرشيد * بويع بالخلافة في سنة سبعين ومائة)

كان الرشيد من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرملتهم كان
يحج سنة ويفزو سنة كذلك مدة خلافته الا سنين قليلة * قالوا وكان يصلي

في كل يوم مائة ركعة وحج ماشياً ولم يحج خليفة ماشياً غيره وكان اذا حج
 حج معه مائة من الفقهاء وأبناؤهم واذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة
 السابعة والكسوة الظاهرة وكان يشتبه في أفعاله بالمنصور إلا في بذل المال
 فإنه لم ير خليفة أسمح منه بالمال وكان لا يضيع عنده احسان محسن ولا
 يؤخر وكان يحب الشعر والشعراء ويميل الى اهل الادب والفقه ويكره المراء
 في الدين وكان يحب المديح لاسيما من شاعر فصيح ويجزل العطاء عليه
 قال الاصمعي صنع الرشيد طعاما وزخرف مجالسه وأحضر ابا العتاهية
 وقال له صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال ابو العتاهية
 (كامل)

عش ما بدا لك سالما في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد أحسنت ثم ماذا فقال

يسعى عليك بما اشتهيست لدى الرواح أو البكور

فقال حسن ثم ماذا فقال

فاذا النفوس تقعقت في ظل حشجة الصدور

فهنالك تعلم موقنا ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره
 خزنه فقال الرشيد دعه فإنه رأى أنا في عمى فكره أن يزيدنا منه وكان الرشيد
 تواضع للعلماء * قال ابو معاوية الضرير وكان من علماء الناس اكملت مع الرشيد
 يوما فصب على يدي الماء رجل فقال لي يا أبا معاوية أتدرى من صب الماء
 على يدك فقلت لا يا أمير المؤمنين قال انا فقلت يا أمير المؤمنين انت تفعل هذا
 اجلالا للعلم قال نعم * في أيامه خرج يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن

شرح كيفية الحال في خروج يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن

ابن علي بن أبي طالب عليه السلام

كان يحيى بن عبد الله قد خاف مما جرى على أخويه النفس الزكية
وابراهيم قتيل باخرى فمضى الى الديلم فاعتقدوا فيه استحقاق الامامة وبايعوه
واجتمع اليه الناس من الامصار وقويت شوكته فاغتم الرشيد لذلك وندب
اليه الفضل بن يحيى في خمسين الفا وولاه جرجان وطبرستان والرى وغير
ذلك فتوجه يحيى بالجنود فلفط يحيى بن عبد الله وحذره وخوفه ورغبه
فمال يحيى الى الصلح وطلب أمانا بخط الرشيد وأن يشهد عليه فيه القضاة
والفقهاء وجلة بني هاشم فأجابه الرشيد الى ذلك وسر به وكتب له أمانا بليغا
بخطه وشهد عليه فيه القضاة والفقهاء ومشايخ بني هاشم وسير الأمان مع
هدايا وتحف فقدم يحيى مع الفضل فلقيه الرشيد في أول الامر بكل ما أحب
ثم حبسه عنده واستفتى الفقهاء في نقض الأمان فمنهم من أفتى بصحته فحاجه
ومنهم من أفتى بطلانه فأبطله ثم قتله بعد ظهور آية له عظيمة

شرح الآية التي ظهرت في قضية يحيى بن عبد الله

حضر رجل من آل الزبير بن العوام عند الرشيد وسعى يحيى وقال إنه
بعد الأمان فعل وصنع ودعا الناس الى نفسه فأحضره الرشيد من محبسه
وجمع بينه وبين الزبير وسأله عن ذلك فانكر فوافقه الزبير فقال له يحيى
ان كنت صادقا فاحلف فقال الزبير والله الطاب الغالب وأراد أن يتم اليمين
فقال له يحيى دع هذه اليمين فان الله تعالى اذا مجده العبد لم يعجل عقوبته
ولكن احلف له بيمين البراءة وهى يمين عظمى صورتها أن يقول عن نفسه
برىء من حول الله وقوته ودخل في حول نفسه وقوتها ان كان كذا وكذا

فلما سمع الزبيرى هذه اليمين ارتاع لها وقال ما هذه اليمين الغريبة وامتنع من
الحلف بها فقال له الرشيد ما معنى امتناعك ان كنت صادقا فيما تقول فما
خوفك من هذه اليمين خلف بها فما خرج من المجلس حتى ضرب
برجله ومات

وقيل ما انقضى النهار حتى مات فحملوه الى القبر وحطوه فيه وأرادوا
أن يطموا القبر بالتراب فكانوا كلما جعلوا التراب فيه ذهب التراب ولا ينظم
القبر فعلموا أنها آية سماوية فسقفوا القبر وراحوا ولى ذلك أشار أبو فراس
ابن حمدان في ميميته بقوله (بسيط)

ياجاهدا في مساوهم يكتما غدر الرشيد يحيى كيف ينكتم
ذاق الزبيرى غب الحنث وانكشفت عن بن فاطمة الأقول والتهم

ومع ظهور مثل هذه الآية العظيمة قتل يحيى في الحبس شر قتلة
وكانت دولة الرشيد من احسن لدول وأكثرها وقاراً ورونقاً وخيراً
وأوسعها رقعة مملكة جبي الرشيد معظم الدنيا وكان أحد عاله صاحب مصر
ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة
والكتاب والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد وكان يصل كل واحد
منهم اجزل صلة ويرفعه الى أعلى درجة وكان فاضلاً شاعراً راوية الاخبار
ولآثار والاشعار صحيح الذوق والتميز مريباً عند الخاصة والعامة

قبض على موسى بن جعفر عليها السلام واحضره في قبة الى بغداد
خبسه بدار السندی بن شاهك ثم قتل واظهر أنه مات حتف أنفه

شرح كيفية الحال في ذلك

كان بعض حساد موسى بن جعفر من اقاربه قد وشى به الى الرشيد

وقال له ان الناس يحملون الى موسى خمس أموالهم ويعتقدون إمامته وانه على عزم خروج عليك وكثر في القول فوقع ذلك عند الرشيد بموقع أهمه وأقلقه ثم أعطى الواشي مالا أحاله به على البلاد فلم يستمتع به وما وصل المال من البلاد الا وقد مرض مرضة شديدة ومات فيها

وأما الرشيد فانه حج في تلك السنة فلما ورد المدينة قبض على موسى ابن جعفر عليهما السلام وحمله في قبة الى بغداد فحبسه عند السندی بن شاهك وكان الرشيد بالرقعة فأمر بقتله فقتل قتلا خفياً ثم ادخلوا عليه جماعة من العدول بالكركخ ليشاهدوه اظهرا أنه مات حتف أنفه صلوات الله عليه وسلامه ومات الرشيد بطوس وكان خرج الى خراسان لمحاربة رافع بن الليث ابن نصر بن سيار وكان هذا رافع قد خرج وخلع الطاعة وتغلب على سمرقند وقتل عاملها وملكها وقويت شوكته فخرج الرشيد بنفسه اليه فمات بطوس في سنة ثلاث وتسعين ومائة

﴿ شرح حال الوزارة في أيامه ﴾

لما بويع بالخلافة استوزر كاتبه قبل خلافة يحيى بن خالد بن برمك وظهرت دولة بني برمك مذ حينئذ

﴿ شرح أحوال الدولة البرمكية وذكر مبدإها ومآلها ﴾

كانوا قديماً على دين المجوس ثم أسلم من أسلم منهم وحسن إسلامهم وقد ذكرنا وزارة جدهم خالد بن برمك في أيام المنصور ونذكر هاهنا وزارة الباقيين وقبل الخوض في ذلك فبهذه الكلمات أعرف منها نبذة من أحوال هذه الدولة

اعلم أن هذه الدولة كانت غرة في جبهة الدهر . وتاجاً على مفرق

العصر . ضربت بمكارمها الامثال . وشدت اليها الرحال . ونيطت بها الآمال .
وبذات لها الدنيا أفلاذا أكبادها . ومنحتها أوفر اسعادها . فكان يحيى
وبنوه كالنجوم زاهرة . والبحور زاحرة . والسيول دافعة والغيوث ماطرة .
أسواق الآداب عنده نافقة . ومراتب ذوى الحرمات عنده عالية . والدنيا
في أيامهم عامرة . وأبهة المملكة ظاهره . وهم ملجأ الخلف ومعتصم الطريد
ولهم يقول ابو نواس

(طويل)

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم بنى برمك من رائحين وغاد

ذكر وزارة يحيى بن خالد الرشيد

لما جلس الرشيد على سرير المملكة استوزر يحيى بن خالد بن برمك
وكان كاتبه ونائبه ووزيره قبل الخلافة فنهض يحيى بن خالد بأعباء لدولة أتم
نهوض وسد الثغور وتدارك الخلل وجبى الاموال وعمر الاطراف وأدار
رونق الخلافة وتصدى لمهمات المملكة وكان كاتباً بليغاً أديباً سيداً صائب
الاراء حسن التدبير ضابطاً لما تحت يده قوياً على الامور جواداً يبارى
لريح كرمه وجوداً ممدحاً بكل اسان حليماً غنياً وقوراً مهيباً وله يقول القائل

لا ترانى مصافحاً كف يحيى انى ان فعلت ضيعت مالى

لويمس البخيل راحة يحيى لسخت نفسه ببذل النوال

ومن آراء يحيى السديدة ما قاله للهدى وقد عزم على أن يخلع أخاه
هارون من الخلافة ويبايع لابنه جعفر بن الهادى وكان يحيى كاتب الرشيد
وهو يترجى أن يتولى هارون الخلافة فيصير هو وزير للدولة فخلفا الهادى
يحيى ووهب له عشرين الف دينار وحادثه فى خلع هارون اخيه والمبايعة
لجعفر ابنه فقال له يحيى يا امير المؤمنين ان فعلت حملت الناس على نكث

الأيمن ونقض العهود وتجراً الناس على مثل ذلك ولو تركت أخاك هارون على ولاية العهد ثم بايعت لجعفر بعده كان ذلك أوكد في بيعته فترك الهادي مدة ثم غلب عليه حب الولد فأحضر يحيى مرة ثانية وفأوضه في ذلك فقال له يحيى يا أمير المؤمنين لو حدث بك حادث الموت وقد خلعت أخاك وبايعت لابنك جعفر وهو صغير دون البلوغ أقترس كانت خلافته تصح وكان مشايخ بني هاشم يرضون ذلك ويسلمون الخلافة اليه قال لا قال يحيى فدفع هذا الامر حتى أتاه عفواً ولو لم يكن المهدي بايع لهارون لوجب أن تباع أنت له لئلا تخرج الخلافة من بني أبيك فصوب الهادي رايه وكان الرشيد بعد ذلك يري هذه من أعظم أيادي يحيى بن خالد عنده

ومن مكارمه * قيل إن الرشيد لما نكب البرامكة واستأصل شأقهم حرم على الشعراء أن يرثوه وأمر بالمؤاخذه على ذلك فاجتاز بعض الحرس ببعض الخربات فرأى نساءً واقفاً وفي يده رقعة فيها شعر يتضمن رثاء البرامكة وهو يشده ويبكي فأخذه الحرس فأتى به الى الرشيد وقص عليه الصورة فاستحضره الرشيد وسأله عن ذلك فاعترف به فقال له الرشيد اما سمعت تحريمي لراثهم لأفعلن بك ولأصنعن فقال يا أمير المؤمنين إن أذنت لي في حكاية حالي حكيتها ثم بعد ذلك أنت ورأيك قال قل قال لي كنت من أصغر كتاب يحيى بن خالد وارقهم حالا فقال لي يوماً أريد أن تضيفني في دارك يوماً فقلت يا مولانا انا دون ذلك وداري لا تصلح لهذا قال لا بد من ذلك قلت فإن كان لا بد فأملني مدة حتى أصلح شأني ومنزلي ثم بعد ذلك أنت ورأيك قال كم . هناك قلت سنة قال كثير قلت فشهوراً قال نعم فضيت وشرعت في اصلاح المنزل وتهيئة أسباب الدعوة فلما تهيأت

الاسباب أعلمت الوزير بذلك فقال نحن غداً عندك فمضيت وتهيأت في
الطعام والشراب وما يحتاج اليه فحضر الوزير في غد ومعه ابنه جعفر والفضل
وعدة يسيرة من خواص أتباعه فنزل عن دابته ونزل ولداه جعفر والفضل
وقال يا فلان أنا جائع فعجل لي بشيء فقال لي الفضل ابنه الوزير يحب
القراريح المشوية فعجل منها ما حضر فدخلت وأحضرت منها شيئاً فأكل
الوزير ومن معه . ثم قام يتمشى في الدار وقال يا فلان فرجنا في دارك فقلت
يا مولانا هذه هي داري ليس لي غيرها قال بلى لك غيرها قلت والله ما أملك
سواها فقال هاتوا بناء فلما حضر قال له افتح في هذا الخائط باباً فمضى ليفتح
فقلت يا مولانا كيف يجوز ان يفتح باب الى بيوت الجيران والله أوصى بحفظ
الجار قال لا بأس في ذلك ثم فتح الباب فقام الوزير وابناؤه فدخلوا فيه وأنا
معهم فخرجوا منه الى بستان حسن كثير الاشجار والماء يتدفق فيه وبه من
المفاصير والمساكن ما يروق كل ناظر وفيه من الآلات والقرش والخدم
والجوارى كل جميل بديع فقال هذا المنزل وجميع ما فيه لك فقبلت يده
ودعوت له وتحققت القصة فاذا هو من يوم حادثي في معنى الدعوة قد أرسل
واشترى الاملاك المجاورة لي وعمرها داراً حسنة ونقل اليها من كل شيء وأنا
لا أعلم . وكنت أرى العمارة فأحسبها لبعض الجيران . فقال لابنه جعفر يا بني
هذا منزل وعيال فالعادة من أين تكون له قال جعفر قد أعطيته الضيعة
الفلانية بما فيها وسأكتب له بذلك كتاباً . فالتفت الى ابنه الفضل وقال له
يا بني فمن الآن الى أن يدخل دخل هذه الضيعة ما الذي ينقص فقال الفضل
على عشرة آلاف دينار أحملها اليه فقال فعجلاً له ما قلتما فكتب لي جعفر
بالضيعة وحمل الفضل الى المال فأثریت وارتفعت حالي وكسبت بعد ذلك

معه مالا طائلا أنا أنقلب فيه الى اليوم فوالله يا أمير المؤمنين ما أجد فرصة
أتمكن فيها من الثناء عليهم والدعاء لهم الا انتهزتها مكافأة لهم على إحسانهم
ولن أقدر على مكافأته فان كنت قانلي على ذلك فافعل ما بدا لك فرق الرشيد
لذلك وأطلقه وأذن لجميع الناس في رثائهم

قيل ان هرون الرشيد حج ومعه يحيى بن خالد بن برمك ومعه ولداه
الفضل وجعفر فلما وصلوا الى مدينة الرسول صلوات الله عليه جلس الرشيد
ومعه يحيى فأعطيا الناس وجلس الامين ومعه الفضل بن يحيى فأعطيا الناس
وجلس المأمون ومعه جعفر فأعطيا الناس فأعطوا في تلك السنة ثلاث
أعطيات ضربت بكثرتها الامثال وكانوا يسمونه عام الأعطيات الثلاث
وأثرى الناس بسبب ذلك وفي ذلك يقول الشاعر (طويل)

أنا بنو الآمال من آل برمك	فياطيب أخبار ويا حسن منظر
لهم رحلة في كل عام الى العدا	وأخرى الى البيت العتيق المستر
اذا نزلوا بطحاء مكة اشرفت	يحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد وتجملو لنا الدجى	بمكة ما تمحو ثلاثة أقر
فما خلقت الا لجود أكفهم	وأقدامهم الا لأعواد منبر
اذا راض يحيى الامر ذلت صعا به	وناهيك من راع له ومدبر

كان يحيى يقول ما خاطبني أحد الا هبته حتى يتكلم فاذا تكلم كان بين
اثنين إما ان تزيد هيئته أو تضحل * وكان يقول المواعيد شباك الكرام
يصيدون بها محامد الاحرار * كان يحيى اذا ركب يعد صررا في كل صرة مائتا
درهم يدفعها الى المتعرضين له

سيرة ولد الفضل بن يحيى *

كان الفضل من كرام الدنيا وأجواد اهل عصره وكان قد أرضعته أم
هرون الرشيد وأرضعت أمه الرشيد وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة
(طويل)

كفى لك نفراً أن أكرم حرة غدتك بشدى والخليفة واحد
لقد زنت يحيى في المشاهد كلها كما زان يحيى خالداً في المشاهد
ولاه الرشيد خراسان فخرج اليه أبو الهول الشاعر مادحاً معتزلاً من
شعر كان هجاء به فأنشده
(طويل)

سرى نحوه من غصبة الفضل عارض له لجة فيها البوارق والرعد
وكيف ينام الليل ملق فراشه على مدرج يعتاده الأسد الورد
ومالى الى الفضل بن يحيى بن خالد من الجرم ما يخشى على مثله الحقيد
جد بالرضى لا أبتغى منك غيره ورأيتك فيما كنت عودتى بعد
فقال له الفضل لا أحتمل تفريقك بين رضى واحسانى وهما مقرونان
فان أردتهما معاً والا فدعهما معاً ثم وصله ورضى عنه

حدث اسحق بن ابراهيم الموصلى قال كنت قد ربيت جارية حسنة
الوجه وثقتها وعلمتها حتى برعت ثم أهديتها الى الفضل بن يحيى فقال لى
يا اسحق ان رسول صاحب مصر قد ورد الى يسألنى حاجة أقترحها عليه
فدع هذه الجارية عندك فانتى سأطلبها وأعلمه انى أريدها فانه سوف يحضر
اليك ويساومك فيها فلا تأخذ فيها أقل من خمسين الف دينار قال اسحق
فضيت بالجارية الى منزلى فجاء الى رسول صاحب مصر وسألنى عن الجارية
فأخرجتها اليه فبذل فيها عشرة آلاف دينار فامتنعت فصعد الى عشرين الف
دينار فامتنعت فصعد الى ثلاثين ألفاً فملكته نفسى حتى قلت له بعتك

وسلمت الجارية اليه وقبضت منه المال ثم انى أتيت من الغد الى الفضل بن يحيى فقال لى يا اسحق بكم بعثت الجارية قلت بثلاثين الف دينار قال ألم أقل لك لا تأخذ منه أقل من خمسين ألفاً قلت فذاك أبى وأمى والله ما ملكت نفسى منذ سمعت لفظة ثلاثين ألفاً فتبسم . ثم قال ان رسول صاحب الروم قد سألنى أيضاً حاجة وسأقترح عليه هذه الجارية وأدله عليك نخذ جاريته وانصرف الى منزلك فاذا ساومك فيها فلا تأخذ منه أقل من خمسين الف دينار فاخذت الجارية وانصرفت الى منزلى فاتانى رسول صاحب الروم وساومنى فى الجارية فطلبت خمسين ألفاً فقال هذا كثير ولكن تأخذ منى ثلاثين ألفاً فوالله ما ملكت نفسى منذ سمعت لفظة ثلاثين ألفاً حتى قلت له قد بعثتك ثم قبضت المال منه وسلمت الجارية اليه . ومضيت من الغد الى الفضل بن يحيى . فقال ما صنعت وبكم بعثت الجارية يا إسحاق قلت بثلاثين ألفاً قال سبحان الله ما أوصيتك أن لا تأخذ فيها أقل من خمسين ألفاً قلت جعلت فداك والله إني لما سمعت قوله ثلاثين ألفاً استرخت جميع أعضائى فضحك وقال خذ جاريته واذهب الى منزلك . فنى غد يحىء اليك رسول صاحب خراسان فقوم نفسك ولا تأخذ منه أقل من خمسين ألفاً . قال إسحاق فأخذت الجارية ومضيت الى منزلى فجاءنى رسول صاحب خراسان وساومنى فيها . فطلبت خمسين ألفاً فقال لى هذا كثير ولكن تأخذ ثلاثين ألفاً فقويت نفسى وامتنعت فصعد معى الى أربعين الف دينار فكاد عقلى يذهب من الفرح وه أتمالك أن قلت له بعثتك فاحضر المال وأقبضنيه وسلمت الجارية اليه ومضيت من الغد الى الفضل فقال لى يا إسحاق بكم بعثت الجارية قلت بأربعين ألفاً والله لما سمعتها منه كاد عقلى يذهب وقد حصل عندي جعلت فداك مائة الف دينار ولم يبق لى أمل . فاحسن الله

جزائك . فأمر بالجارية فأخرجت الى . وقال يا اسحاق خذ جاريك
وانصرف قال اسحاق فقلت هذه الجارية والله أعظم الناس بركة فأعتقها
وتزوجها فولدت لي أولادى

قيل إن محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن
العباس حضر يوما عند الفضل بن يحيى ومعه سبط فيه جوهر وقال له
ان حاصلى قد قصر عما احتاج اليه وقد علانى دين مبلغه الف الف
درهم وانى أستحى أن أعلم أحداً بذلك وآتف أن أسئل أحداً من التجار
أن يقرضنى ذلك وان كان معى رهن يفى بالقيمة وانت أبقاك الله لك تجار
يعاملونك وانا أسئلك أن تقترض لى من أحدهم هذا المبلغ وتعطيه هذا
الرهن فقال له الفضل السمع والطاعة ولكن نجح هذه الحاجة أن تقيم
عندى هذا اليوم فأقام عنده . ثم ان الفضل أخذ السبط منه وهو مختوم
بختمه وأرسل معه الف الف درهم ونفذ الدراهم والسبط لى منزله وأخذ
خط وكيله بقبضه . وأقام محمد فى دار الفضل الى آخر النهار ثم انصرف الى داره
فوجد السبط ومعه الف الف درهم فسر بذلك سروراً عظيماً فلما كان من
الغد بكر الى الفضل ليشكره على ذلك فوجده قد بكر الى دار الرشيد فمضى
محمد الى دار الرشيد فلما علم الفضل به خرج من باب آخر ومضى الى دار ابيه
فمضى محمد اليه خين علم به خرج بباب آخر ومضى الى منزله فمضى محمد اليه
واجتمع به وشكره على فعله وقال له انى بكرت اليك لاشكرك على احسانك
فقال له الفضل انى فكرت فى امرك فرأيت أن هذه الالف الف التى حملتها
أسس اليك تقضى بها دينك ثم تحتاج فتقترض فبعد قليل يعطوك مثلها
فبكرت اليوم الى امير المؤمنين وعرضت عليه حالك وأخذت لك مائة الف

الف درهم أخرى . ولم حضرت الى امير المؤمنين خرجت انا بباب آخر
وكذلك فعلت لما حضرت الى باب ابى لاني ما كنت أؤثر أن القاك حتى
يحمل المال الى منزلك وقد حمل . فقال له محمد بأي شيء أجازيك على هذا
لاحسان ما عندي شيء أجازيك به الا اني التزم بالايمان الموكدة وبالطلاق
والعتاق والحج اني ما أقف على باب غيرك ولا أسأل سواك . قالوا وحلف
محمد أيماناً مؤكداً وكتب بها خطه وأشهد بها عليه أنه لا يقف بباب غير
الفضل بن يحيى . فلما ذهبت دولة البرامكة وتولى الفضل بن الربيع الوزارة
بعدهم محتاج محمد فقالوا له لو ركبت الى الفضل بن الربيع فلم يفعل والتزم باليمين
فلم يركب الى احد ولم يقف على باب احد حتى مات

سيرة جعفر بن يحيى البرمكي

كان جعفر بن يحيى فصيحاً لبيباً ذكياً فطنا كريماً حليماً وكان الرشيد يأنس
به أكثر من أنسه بأخيه الفضل بسهولة أخلاق جعفر وشراسة أخلاق
الفضل قال الرشيد يوماً ليحيى يا أبى ما بال الناس يسمون الفضل الوزير
الصغير ولا يسمون جعفر بذلك فقال يحيى لان الفضل يخلفني قال فضم الى
جعفر أملاً لا كأعمال الفضل فقال يحيى ان خدمتك ومناذمتك يشغلانه عن
ذلك فجعل اليه أمر در الرشيد فسمى بالوزير الصغير ايضاً

قال الرشيد يوماً ليحيى قد أحببت أن نقل ديون الخاتم من الفضل الى
جعفر وقد استحييت من مكاتبته في هذا المعنى فاكتب أنت اليه فكتب يحيى
الى الفضل قد أمر امير المؤمنين أعلى الله أمره أن تحول الخاتم من يمينك
الى شمالك فأجابه الفضل قد سمعت لما أمر به أمير المؤمنين في أخي و
انقلت عنى نعمة صارت اليه ولا غربت عنى رتبة طلعت عليه . فقال جعفر لله

در آخی ما اکیس نفسه وأظهر دلائل الفضل علیه وأقوى منة العقل عنده
وأوسع في البلاغة ذرعه

قيل ان جعفر بن يحيى البرمكى جلس يوماً للشرب وأحب الخلوة
فأحضر ندماءه الذين يأنس بهم وجلس معهم وقد همياً المجلس ولبسوا ثياب
المصبغة وكانوا اذا جلسوا في مجلس الشراب والنحو لبسوا الثياب الأحمر والصفير
والخضر . ثم ان جعفر بن يحيى تقدم الى الحاجب أن لا يأذن لاحد من خلق
لله تعالى سوى رجل من الندماء كان قد تأخر عنهم اسمه عبد الملك بن صالح
ثم جلسوا يشربون ودارت الكأسات وخفت العيدان . وكان رجل من
أقارب الخليفة يقال له عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس
وكان شديد الوقار والدين وحشمة وكان الرشيد قد لطمس منه أن ينادمه
ويشرب معه وبذل له على ذلك أموالاً جلية فلم يفعل . فاتفق أن هذا عبد
الملك بن صالح حضر الى باب جعفر بن يحيى ليخاطبه في حوائج له فظن الحاجب
أنه هو عبد الملك بن صالح الذي تقدم جعفر بن يحيى بالأذن له وأن لا يدخل
غيره فأذن الحاجب له فدخل عبد الملك بن صالح العباسي على جعفر بن يحيى
فلمّا رآه جعفر كاد عقله يذهب من الحياء وفطن أن القضية قد شتبت على
الحاجب بطريق اشتباه الاسم وفطن عبد الملك بن صالح أيضاً للقصة وظهر له
الحجل في وجه جعفر بن يحيى . فانبط عبد الملك وقال لا بأس عليك أحضرنا
لنا من هذه الثياب المصبغة شيئاً فأحضر له قميص . فلبسوه وجلس
يبسط جعفر بن يحيى ويمارحه . وقال أسقونا من شرابكم فسقوه رطلا وقال
رفقوا بنا فليس لنا عادة بهذا ثم باسطهم ومارحهم وما زال حتى انبط جعفر
بن يحيى وزال انقباضه وحيأوه . ففرح جعفر بذلك فرحاً شديداً وقال له ما

حاجتك . قال جئت أسلحك الله في ثلاث حوائج أريد أن تخاطب الخليفة فيها . أولها أن على ديناً مبلغه ألف ألف درهم أريد قضاءه . وثانيها أريد ولاية لابني يشرف بها قدره . وثالثها أريد أن تزوج ولدي بابنة الخليفة فانها بنت عمه وهو كفؤ لها . فقال له جعفر بن يحيى قد قضى الله هذه الحوائج الثلاث . أما المال ففي هذه الساعة يحمل الى منزلك . وأما الولاية فقد وليت ابنك مصر . وأما الزواج فقد زوجته فلانة ابنة مولانا امير المؤمنين على صداق مبلغه كذا وكذا فانصرف في أمان الله . فرح عبد الملك الى منزله فرأى المال قد سبقه ولما كان من الغد حضر جعفر عند الرشيد وعرفه ماجرى وأنه قد ولاد مصر وزوجه ابنته فعجب الرشيد من ذلك وأمضى العقد والولاية فما خرج جعفر من دار الرشيد حتى كتب له التقليد بمصر وأحضر القضاة والشهود وعقد العقد

وقيل ان جعفر بن يحيى كان بينه وبين صاحب مصر عداوة ووحشة وكان كل منهما مجانباً للآخر . فزور بعض الناس كتاباً عن لسان جعفر بن يحيى الى صاحب مصر مضمونه ان حامل هذا الكتاب من أخص أصحابنا وقد آثر التفرج في الديار المصرية فأريد أن تحسن الالتفات اليه وبالغ في الوصية . ثم أخذ الكتاب ومضى الى مصر وعرضه على صاحبها . فلما وقف عليه تعجب منه وفرح به إلا أنه حصل عنده رتياب وشك في الكتاب فأكرم الرجل وانزله في دار حسنة وأقام له ما يحتاج اليه وأخذ الكتاب منه وأرسله الى وكيله ببغداد وقال له قد وصل شخص من أصحاب الوزير بهذا الكتاب وقد ارتبت به فأريد أن تتفحص لي عن حقيقة حال في ذلك وهل هذا خط الوزير أم لا وأرسل كتاب الوزير صحة مكتوبه الى وكيله . فجاء

الوكيل الى وكيل الوزير وحدثه بالقصة وأراه الكتاب فأخذه وكيل
 الوزير ودخل الى الوزير وعرفه الحال . فلما وقف جعفر بن يحيى على الكتاب
 علم أنه مزور عليه وكان عنده جماعة من ندمائه ونوابه فرمى الكتاب عليهم
 وقال لهم أهذا خطي فتأملوه وانكروه كلهم وقالوا هذا مزور على الوزير
 فعرفهم صورة الحال وان الذي زور هذا الكتاب موجود بمصر عند صاحبها
 وانه ينتظر عود الجواب بتحقيق حاله وقال لهم ما ترون وكيف ينبغي أن نعمل
 في هذا . فقال بعضهم ينبغي أن يقتل هذا الرجل حتى نختم هذه المادة ولا
 يرجع احد يتجرى على مثل هذا الفعل . وقال آخر ينبغي أن تقطع يمينه التي زور
 بها هذا الخط . وقال آخر ينبغي أن يوجع ضربا ويطلق حال سبيله . وكان أحسنهم
 محضرا من قال ينبغي أن تكون عقوبته على هذا الفعل حرمانه وان يعرف
 صاحب مصر بحاله ليحرمه فيكفيه من العقوبة انه قد قطع هذه المسافة البعيدة
 من بغداد الى مصر ثم يرجع خائبا . فلما فرغوا من حديثهم قال جعفر سبحان الله
 أليس فيكم رجل رشيد قد علمتم ما كان بيني وبين صاحب مصر من العداوة
 والمجانبة وأن كل واحد منا كانت تمنعه عزة النفس أن يفتح باب الصلح فقد
 قيس الله لنا رجلا فتح بيننا باب المصالحة والمكاتبة وأزال بيننا تلك العداوة
 فكيف يكون جزاؤه ما ذكرتم من الاساءة ثم أخذ القلم وكتب على ظاهر
 الكتاب الى صاحب مصر سبحان الله كيف حصل لك الشك في خطي
 هذا خط يدي والرجل من أعز أصحابي وأريد أن تحسن اليه وتعيده الى
 سريرا فاني مشتاق اليه محتاج الى حضوره فلما وصل الكتاب وفي ظاهره
 خط الوزير الى صاحب مصر كاد يطير من النرح وأحسن الى الرجل غاية
 الاحسان وواصله بمال كبير وتحف جميلة ثم ان الرجل رجع الى بغداد وهو

أحسن الناس حالا فخر الى مجلس جعفر بن يحيى . فلما دخل سلم عليه ووقع
 يقبل الارض ويكي فقال له جعفر من أنت يا أخى قال يا مولانا انا عبدك
 وصنيعتك المزور الكذاب المتجرى فعرفه جعفر وبش به وأجلسه بين يديه
 وسأله عن حاله وقال له كم وصل اليك منه فقال مائة الف دينار فاستقبلها
 جعفر وقال لازمنا حتى نضاعفها لك فلازموه مدة فكسب معه مثلها .
 وما زالت دولة البرامكة فى علو وارتفاع وتزايد حتى انحرفت عنهم الدنيا
 • أمارة تدل على انحراف دولتهم •

حدث بختيشوع الطبيب قال دخلت يوماً على الرشيد وهو جالس فى
 قصر الخلد من مدينة السلام وكانت البرامكة يسكنون بخدائه من الجانب
 الآخر وبينهم وبينه عرض دجلة قال فنظر الرشيد فرأى اعتراك الخيول
 وازدحام الناس على باب يحيى بن خالد فقال جزى الله يحيى خيراً تصدى
 للامور وأراحنى من الكد ووفر أوقاى على اللذة ثم دخلت اليه بعد أوقات
 وقد شرع يتغير عليهم فنظر فرأى الخيول كما رآها تلك المرة فقال استبد يحيى
 بالامور دونى فالخلافة على الحقيقة له وليس لى منها الا اسمها قال فعلمت انه
 سينكبهم ثم نكبهم عقيب ذلك

• شرح السبب فى نكبة البرامكة وكيفية الحال فى ذلك •

اختلف أصحاب السير والتواريخ فى السبب فى ذلك • ف قيل ان الرشيد
 ما كان يصبر عن أخته عباسة ولا عن جعفر بن يحيى فقال له أزوجكها حتى
 يحل لك النظر اليها ثم لا تقر بها فكانا يجتمعان وهما شابان ثم يقوم الرشيد
 عنهما ويخاوان بأنفسهما فجامعا جعفر فحبلت منه وولدت ولدين وكنمت
 الامر فى ذلك حتى علم الرشيد فكان ذلك سبب نكبة البرامكة

وقيل كان سبب ذلك ان الرشيد كلف جعفر بن يحيى قتل رجل من آل أبي طالب فتخرج جعفر من ذلك وأطلق الطالبيّ وسعى الى الرشيد بجعفر فقال له ما فعل الطالبيّ قال هو في الحبس قال الرشيد بجيأتني فقطن جعفر فقال لا وحياتك ولكن أطلقته لاني علمت أنه ليس عنده مكروه فقال له الرشيد نعم ما فعلت فلما قام جعفر قال الرشيد قتلتني الله ان لم أقتلك ثم نكبهم

وقيل ان أعداء البرامكة مثل الفضل بن الربيع ما زالوا يسعون بهم الى الرشيد ويدكرون له استبدادهم بالملك واحتجائهم للاموال حتى أوغروا صدره فأوقع بهم

وقيل ان جعفرًا والفضل ابني يحيى بن خالد ظهرا مناهما من الادلال ما لا تحتمله نفوس الملوك فنكبهم لذلك

وقيل ان يحيى بن خالد رأى وهو بمكة يطوف حول البيت ويقول اللهم ان كان رضاك في أن تسلبني نعمتك عندي وتسلبني أهلي ومالي وولدي فاسلبني الا الفضل ولدي ثم ولي فلما مشى قليلا عاد وقال يا رب انه سمع بتلى ان يستتني عليك اللهم والفضل فنكبهم الرشيد بعد قليل

شرح مقتل جعفر بن يحيى والقبض على أهله ❖

كان الرشيد قد حج فلما عاد من الحج سار من الحيرة الى الأنبار في السفن وجعل يشرب تارة ويلهو أخرى وتحف الرشيد وهداياها تأتيه وعنده نختيشوع الطيب وأبو زكار الأعشى يغنيه فلما أضل المساء دعا الرشيد مسرورا الخادم وكان مبغضا لجعفر وقال اذهب فجئني برأس جعفر ولا تراجعني فوافاه مسرورا بغير اذن وهجم عليه وأبو زكار يغنيه

(وافر)

فلا تبعه فكل فتى سيأتى عليه الموت يطرق أو يفادى

فلما دخل مسرور قال له جعفر بن يحيى لقد سررتى بمجيئك وسؤتى بدخولك على بغير إذن فقال الذى جئت له أعظم أجب أمير المؤمنين الى ما يريد بك فوقع على رجله فقبلهما وقال له عاود أمير المؤمنين فان الشراب قد حمله على ذلك وقال دعنى أدخل دارى فأوصى فقال الدخول لا سييل اليه وأما الوصية فأوصى بما بدا لك فأوصى ثم حمله الى منزل الرشيد وعدل به الى قبة وضرب عنقه وأتى برأسه على ترس الى الرشيد وببذنه فى نطع ووجه الرشيد فقبض على أبيه واخوته وأهله وأصحابه وحبيهم بالرقعة واستأصل شافقهم ومن طريف ما وقع فى ذلك ما رواه العمرانى المؤرخ * قال حدث فلان قال دخلت الديوان فنظرت فى بعض تذاكر النواب فرأيت فيها أربع مائة ألف دينار ثمن خلمة لجعفر بن يحيى الوزير ثم دخلت بعد أيام فرأيت تحت ذلك عشرة قراريط ثمن نפט وبوارى لأحراق جثة جعفر بن يحيى فعجبت من ذلك

ثم استوزر الرشيد بعد البرامكة الفضل بن الربيع وكان حاجبه

* وزارة أبى العباس الفضل بن الربيع *

قد مضى ذكر أبيه وأما الفضل فكان حاجباً للمنصور والمهدى والهادى

والرشيد فلما نكب الرشيد البرامكة استوزره بعدهم

كان الفضل بن الربيع شهماً خيراً بأحوال الملوك وآدابهم ولما ولي

الوزارة تهوَس بالادب وجمع اليه أهل العلم فحصل منه ما أراد فى مدة يسيرة

وكان أبو نواس من شعرائه المنقطعين اليه فمن شعره فى آل الربيع

(كامل)

عباس عباس اذا اضطرم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع
وما زال الفضل بن الربيع على وزارته الى ان مات الرشيد بطوس . فجمع
الفضل العسكر وما فيه ورجع الى بغداد . وسيرد باقى سيرته فى أيام الامين *
انقضت أيام الرشيد

ثم ملك بعده ابنه الامين محمد بن زبيدة *

أمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور وليس فى خلفاء بنى العباس
من أمه وأبوه هاشميان سواه . كان الأمين كثير الهوى واللعب منقطاً الى ذاك
مشتغلاً به عن تدبير مملكته . قال بن الاثير المؤرخ الجزرى لم نجد للامين
شيئاً من سيرته نستحسنه فنذكره . وقال غيره كان الامين فصيحاً بليغاً كريماً
وفيه يقول بعض الشعراء يمدحه ويعرض بهجو المأمون أخيه (رمل)

لم نلده أمة تعرف فى السوق اتجارا

لا ولا حد ولا خا ن ولا فى الحزى جارا

يعرض بالمأمون لان الرشيد كان قد حده فى جارية وجد معها اللحم
أو فى خمر

كان الرشيد قد بايع للامين بولاية العهد والمأمون بعده وكتب الكتب
بذلك وأشهد فيها الشهود وأرسل نسخها الى الامصار فعلقت نسخة من تلك
النسخ على الكعبة وأكد ذلك بكل ما اليه السيل . فلما مات بطوس كان
المأمون فى خراسان ومعه جماعة من أكابر القواد ووزيره الفضل بن سهل
وكان الامين ببغداد . وكان الفضل بن الربيع وزير الرشيد مع الرشيد بطوس
فلما مات الرشيد جمع الفضل جميع ما فى العسكر . وكان الرشيد قد أوصى به

للمأمون . وتوجه الفضل الى بغداد فاستوزره الامين ثم اشتغل باللهو واللعب
ومعاشرة الحبان . فأشار الفضل بن سهل وزير المأمون على المأمون باظهار الورع
والدين وحسن السيرة فأظهر المأمون حسن السيرة واستمال القواد واهل
خراسان . وكان كلما اعتمد الامين حركة ناقصة اعتمد المأمون حركة شديدة ثم
نشأت العداوة بينهما وحسن الفضل بن الربيع وغيره له أن يخلع أخاه المأمون
من ولاية العهد ويبيع لابنه موسى نخله ويبيع لابنه موسى وسماه الناطق
بالحق وبسبب ذلك كانت الفتنة ببغداد بين الامين والمأمون وكان في آخرها
قتل الأمين

شرح الفتنة بين الأمين والمأمون

كان الفضل بن الربيع وزير الأمين قد خاف المأمون لما فعله عند موت
الرشيد بطوس من احضار جميع ما كان في عسكره الى الأمين بعد أن كان
الرشيد قد أشهد به للمأمون تخاف الفضل بن الربيع من المأمون أنه ان ولى
الخلافة كافاه على فعله . فحسن للأمين خلع المأمون والبيعة لابنه موسى واتفق
مع الفضل جماعة على ذلك . فقال الامين الى أقوالهم . ثم انه استشار عقلاء أصحابه
فنهوه عن ذلك وحذروه عاقبة البغي ونكث اليهود والمواثق وقالوا له لا
تجرى القواد على النكث الايمان وعلى الخلع فيخلعوك فلم يلتفت اليهم ومال
الى رأى الفضل بن الربيع وشرع في خدع المأمون باستدعائه الى بغداد فلم يخذع
وكتب يعتذر . وترددت المراسلات والمكاتبات بينهما حتى رق المأمون وعزم
على الاجابة الى خلع نفسه ومبايعة موسى بن الامين . فخلا به وزيره الفضل بن
سهل وشجعه على الامتناع وضمن له الخلافة وقال هي في عهدي . فامتنع المأمون
ونهب الفضل بن سهل بأمر المأمون واستمال له الناس وضبط له الثغور والامور

واشتدت العداوة بين الاخوين الامين والمأمون وقطعت الدروب بينهما من
 بغداد الى خراسان وقتشت الكتب وصعب الامر. وقطع الامين خطبة
 المأمون ببغداد وقبض على وكلائه. وكذلك فعل المأمون بخراسان ونهى الشر
 بينهما. وكان بقدر ما عند المأمون من التيقظ والضبط عند الامين من الاهمال
 والتفريط والنفول. فمما يحكى من تفريط الامين وجهله أنه كان قد أرسل الى
 حرب أخيه رجلاً من أصحاب ابيه يقال له علي بن عيسى بن ماهان وأرسل
 معه خمسين ألفاً فيقال انه ما رأى قبل ذلك ببغداد عسكر أ كشف منه وحمل
 معه السلاح الكثير والاموال الوفرة وخرج معه مشيعاً مودعاً. وكان أول
 بعث بعثه الى أخيه. فمضى علي بن عيسى بن ماهان في ذلك العسكر الكثيف
 . وكان شيخاً من شيوخ الدولة جليلاً مهيباً فالتقى بطاهر بن الحسين ظاهر الرى
 وعسكر طاهر حدود أربعة الف فارس فاقتنلوا قتالاً شديداً كانت الغلبة
 فيه لطاهر وقتل علي بن عيسى وجيء برأسه الى طاهر فكتب طاهر الى
 المأمون كتاباً نسخته. أما بعد فهذا كتابي الى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه
 ورأس علي بن عيسى بين يدي وخاتمه في يدي وجنده تحت أمرى والسلام
 وأرسل الكتاب على البريد فوصل الى المأمون في ثلاثة أيام وبينهما
 مسيرة مائتين وخمسين فرسخاً. ثم انعى علي بن عيسى ورد الى الامين وهو
 يصطاد السمك فقال للذى أخبره بذلك دعنى فان كوثر أقدر اصطاد سمكتين
 وانا الى الآن ما اصطدت شيئاً. وكان كوثر خادماً خصياً له وكان يحبه. ولقد
 كانت أمه زبيدة أسد رأيا منه فان علي بن عيسى لما أرسله الامين الى خراسان
 بالجيش حضر الى باب زبيدة ايودعها. فقالت له يا علي ان أمير المؤمنين وان
 كان ولدى واليه انتهت شفقتى فاني على عبد الله تعنى المأمون منعطفة مشفقة

لما يحدث عليه من مكروه وأذى. وانما ولدى ملك نafs أخاه في سلطانه
 فاعرف لعبد الله حق ولادته واخوته ولا تجبهه بالكلام فانك لست نظيراً
 له. ولا تقتصره اقتسار العبيد. ولا توهنه بقيد اوغل. ولا تمنع عنه جارية أو
 خادماً. ولا تعنف عليه في السير. ولا تساوه في المسير. ولا تتركب قبله. وخذ
 بركابه اذا ركب. وان شتمك فاحتمل منه ثم دفعت اليه قيداً من فضة وقالت
 اذا صار اليك فقيده بهذا القيد. فقال لها سأفعل ما أمرت به. وكان الناس
 يحزمون بنصرة علي بن عيسى استعظاماً له ولعسكره واستصغاراً لمن يلتقيه
 من جند المأمون. فقد ر الله خلاف ما جزموا به. وكان من الامر ما كان

وكانت تلك الايام أيام قتن وحروب فما جرى من ذلك ان الحسين بن
 علي بن عيسى بن ماهان كان أحد الامراء شغب على الامين وخلعه وحبسه
 وباع للمأمون وتبعه ناس من العسكر فاجتمع ناس آخرون من العسكر وقالوا
 ان كان الحسين بن علي بن عيسى يريد ان يأخذ وجهاً عند المأمون بما فعل
 فلنأخذ نحن وجهاً عند خليفتنا الامين بفكه وتخليصه واجلاسه على السرير
 فاقتتل الفريقان فغلب أصحاب الامين فدخلوا عليه محبسه وأخرجوه
 وأجلسوه على سرير الخلافة وقاتلوا حسيناً وغلبوا عليه وأحضره أسيراً الى
 الامين. فعاتبه فاعتذر اليه وعفاه عنه. ثم خلع عليه وولاد العسكر وأمره بمحاربة
 المأمون. فخرج وهرب. فأرسل الامين الجند خلفه فلحقوه وقتلوه وحملوا
 رأسه الى الامين. فزال الشر يحي والاختلاف يزيد حتى أرسل المأمون
 هرثمة وطاهر بن الحسين وهما من أعيان أمراءه بعسكر كثيف لمحاصرة
 بغداد ومحاربة الامين. فحاصروا بغداد مدة وقاتلوا بعساكرها قتالاً شديداً
 وجرت بين القبيلتين وقائع كثيرة كان في آخرها الغلبة لعسكر المأمون وقتل

لامين وحمل رأسه الى أخيه المأمون بخراسان وذلك في سنة ثمان وتسعين ومائة
وأما حال الوزارة في أيامه فانه لم يستوزر غير الفضل بن الربيع وزير
بنيه وقد سبق شرح طرف من سيرته عند ذكر وزارته لارشيد انقضت
أيام الامين

ثم ملك بعده اخوه عبدالله المأمون

ببيع له البيعة العامة ببغداد في سنة ثمان وتسعين ومائة* كان المأمون
من أفاضل خلفائهم وعلماهم وحكامهم وحلمائهم وكان فطناً شديداً كريماً
حدث عنه أنه لما كان بدمشق أضاق إضافة شديدة وقل المال عنده
فشكى ذلك الى أخيه المعتصم. وكان له يده أعمال فقال المعتصم يا أمير المؤمنين
كأنك بالمال وقد وافاك بعد اسبوع فوصل في تلك الايام من الاعمال التي
كان المعتصم يتولاها ثلاثون الف الف درهم الالف مكررة ثلاث
مرات. فقال ليحيى بن أكرم اخرج بنا لننظر الى هذا المال فخرج
الناس. وكان قد زين الحمل وزخرف فنظر المأمون منه الى شيء حسن كثير
فاستعظم الناس ذلك واستبشروا به. فقال المأمون ان نصرافنا الى منازلنا بهذا
المال وانصراف الناس خائين اؤم فأمر كاتبه أن يوقع لهذا بالالف الف ولذلك
بمثليها ولا آخر بأكثر منها حتى فرق أربعة وعشرين الف الف درهم
والالف مكررة ثلاث مرات ورجله في الركاب. ثم حول الباقي على عارض
الجيش برسم مصالح الجند* واعلم أن المأمون كان من عظماء الخلفاء ومن عتلاء
الرجال وله اختراعات كثيرة في مملكته

منها أنه هو أول من فحص منهم عن علوم الحكمة وحصل كتبها وأمر
بنقلها الى العربية وشهرها وحل إقليدس ونظر في علوم الاوائل وتكلم في

الطب وقرّب اهل الحكمة

ومن اختراعاته مقاسمة أهل السواد بالحمسين . وكانت المقاسمة المعهودة

النصف

ومن اختراعاته إلزام الناس أن يقولوا بخلق القرآن . وفي أيامه نشأت هذه المقالة ونوثر فيها أحمد بن حنبل وغيره . ولما مات المأمون أوصى أخاه المعتصم بها . فلما ولي المعتصم تكلم فيها وضرب أحمد بن حنبل وسيرد خبر ذلك في موضعه

ومن اختراعاته نقل الدولة من بني العباس الى بني عليّ عليه السلام وتغيير الناس السواد بلباس الحضرة وقالوا هو لباس أهل الجنة

﴿ شرح الحال في ذلك ﴾

كان المأمون قد فكر في حال الخلافة بعده وأراد أن يجعلها في رجل يصلح لها لتبرأ ذمته كذا زعم . فذكر أنه اعتبر أحوال أعيان البيتين البيت العباسي والبيت العلويّ فلم ير فيهما أصلح ولا أفضل ولا أروع ولا أدين من عليّ بن موسى لرضي عليهما السلام فهد إليه وكتب بذلك كتاباً بخطه وألزم الرضى عليه السلام بذلك فامتنع ثم أجاب ووضع خطه في ظاهر كتاب المأمون بما معناه . اني قد أجبت امتثالاً للأمر وان كان الجفر والجامعة يدلان على ضد ذلك وشهد عليهما بذلك الشهود

وكان الفضل بن سهل وزير المأمون هو القائم بهذا الامر والمحسن له فبايع الناس لعل بن موسى من بعد المأمون وسمى الرضى من آل محمد صلوات الله عليه

وأمر المأمون الناس بخلع لباس السواد ولبس الحضرة وكان هذا في

خراسان فلما سمع العباسيون ببغداد ما فعل المأمون من نقل الخلافة عن البيت العباسي الى البيت العلوي وتغيير لباس آباءه وأجداده بلباس الحضرة انكروا ذلك وخلعوا المأمون من الخلافة غضباً من فعله وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي . وكان فاضلاً شاعراً فصيحاً أديباً مغنياً حاذقاً واليه أشار ابو فراس بن حمدان .

(بسيط)

في ميميته بقوله

منكم عليّة أم منهم وكان لكم شيخ المغنين ابراهيم أم لهم
وكانت تلك الايام ايام فتن ووقائع وحروب فلما بلغ المأمون ذلك قام
وقعد فقتل الفضل بن سهل ومات بعده عليّ بن موسى من أكل عنب
ف قيل ان المأمون رأى انكار الناس ببغداد لما فعله من نقل الخلافة الى بني عليّ
وانهم نسبوا ذلك الى الفضل بن سهل ورأى الفتنة قائمة دسّ جماعة على الفضل
بن سهل فقتلوه في الحمام ثم اخذوه وقدمهم ليضرب اعناقهم فقالوا له انت امرتنا
بذلك ثم تقتلنا فقال لهم انا اقتلكم باقراركم . واماما ادعيتموه عليّ من أنى امرتكم
بذلك فدعوى ليس لها بينة . ثم ضرب أعناقهم وحمل رؤسهم الى الحسن بن
سهل وكتب يعزّيه ويوليه مكانه وانضمّ الى ذلك أمور أخرى سنذكرها عند
ذكر وزارة الفضل ثم دسّ الى عليّ بن موسى الرضى عليه السلام سماً في
عنب وكان يحب العنب فأكل منه واستكثر فمات من ساعته . ثم كتب الى
بني العباس ببغداد يقول لهم ان الذي أنكرتموه من أمر عليّ بن موسى قد
زال وان الرجل مات فأجابوه أغلظ جواب . وكان الفضل بن سهل قد استولى
على المأمون ومث أمثانا كثيرة بقيامه في أمره واجتهاده في أخذ الخلافة له
فكان قد قطع الاخبار عنه ومتى علم ان أحداً قد دخل عليه أو أعلمه بخبر
سعى في مكروهه وعاقبه . فامتنع الناس من كلام المأمون فانطوت الاخبار

عنه . فلما ثارت الفتنة ببغداد وخلع المأمون وبويع ابراهيم بن المهدي وأنكر
العباسيون على المأمون فعله كتم الفضل بن سهل ذلك عن المأمون مدة . فدخل
عليه عليّ بن موسى الرضى عليهما السلام وقال له يا أمير المؤمنين ان الناس
ببغداد قد أنكروا عليك مبايعتي بولاية العهد وتغيير لباس السواد وقد
خلعوك وبايعوا عمك ابراهيم بن المهدي وأحضر اليه جماعة من القواد
ليخبروه بذلك . فلما سألهم المأمون أمسكوا وقالوا نخاف من الفضل فان كنت
تؤمننا من شره أخبرناك فآمنهم وكتب لهم خطه فأخبروه بصورة الحال
وعرفوه خيانة الفضل وتعمية الأمور عليه وسترد الاخبار عنه وقالوا له
الرأى أن تسير بنفسك الى بغداد وتستدرك أمرك والا خرجت الخلافة من
يدك . فكان بعد هذا بقليل قتل الفضل وموت الرضى على ما تقدم شرحه

ثم جد المأمون في السير الى بغداد فوصلها وقد هرب ابراهيم بن
المهدي والفضل بن الربيع . فلما دخل البلد تلقاه العباسيون وكلوه في ترك
لباس الحضرة والعود الى السواد واجتمعت به زينب بنت سليمان بن عليّ
ابن عبد الله بن العباس . وكانت في طبقة المنصور . وكان بنو العباس يعظمونها
. واليها ينسب الزينبيون فقالت له يا أمير المؤمنين ما الذي دعاك الى نقل
الخلافة من بيتك الى بيت عليّ . قال يا عمه انى رأيت علياً حين ولى الخلافة
أحسن الى بنى العباس . فولى عبد الله البصرة . وعبيد الله اليمن . وقثم سمرقند
. ومارأيت أحداً من أهل بيتي حين أفضى الامر اليهم كافوه على فعله في ولده
فأحببت أن أكافيه على إحسانه . فقالت له يا أمير المؤمنين انك على بر بنى
عليّ والامر فيك أقدر منك على برهم والامر فيهم ثم سأله تغيير لباس
الحضرة فاجابها الى ذلك وأمر الناس بتغييره والعود الى لباس السواد . ثم ان

المأمون عفا عن عمه إبراهيم بن المهدي ولم يؤخذ وأحسن إليه وصار من
ندمائه وكذلك فعل مع الفضل بن الربيع وكان حليماً كان يقول لو عرف
الناس حبي للعفو لتقربوا إليّ بالذنوب

في أيامه خرج محمد بن جعفر الصادق عليهما السلام بمكة وبوبيع بالخلافة
وسموه أمير المؤمنين . وكان بعض أهله قد حسن له ذلك حين رأى كثرة
الاختلاف ببغداد وما بها من الفتن وخروج الخوارج . وكان محمد بن جعفر
شيخاً من شيوخ آل أبي طالب يقرأ عليه العلم . وكان روى عن أبيه عليه السلام
تألياً جافاً فكثرت بمكة مدة . وكان الغالب على أمره ابنه وبعض بني عمه فله
محمد سيرتهما وأرسل المأمون إليهم عسكراً فكانت الغلبة له وخزى به المأمون
وعفا عنه

وفي أيامه خرج أبو السرايا وقويت شوكته ودعا إلى بعض أهل البيت
فقاتله الحسن بن سهل فكانت الغلبة للجيش المأموني وقتل أبو السرايا
منها الملك بعد ذلك المأمون وسكنت الفتن وقام المأمون بأعباء الخلافة وتدير
المملكة قيام حزماء الملوك وفضلاتهم وفي آخرها خرج إلى الثغر بطرسوس
مات به . وذلك في سنة ثمانى عشرة ومائتين وفيه يقول بعض الشعراء

(خفيف)

ما رأينا النجوم أغنت عن الماء موم في ظل ملكة الحروس

مادروا بعرضي طرسوس مثلاً نادروا أبداً بطوس

شرح حال الوزارة في أيامه .

أول وزرائه بنو سهل وكانت دولتهم في جبهة الدهر عره . وفي مفرق
العصر دره . وكانت مختصرة الدولة البرمكية وهم صنائع البرمكة فالوزير

الاول للمأمون منهم الفضل بن سهل

وزارة ذى الرئاستين الفضل بن سهل للمأمون

سمى ذا الرئاستين لجمعه بين السيف والقلم . قالوا كان الفضل بن سهل
من أولاد ملوك الفرس المجوس وكان قهراً ماناً ليحيى بن خالد وكان أبوه سهل
مجوسياً فأسلم في أيام الرشيد . قالوا لما رأى الفضل بن سهل نجابة المأمون في
صباه ونظر في طالعاه وكان خبيراً بعلم النجوم فدلته النجوم على أن يصير خليفة
فلزم ناحيته وخدمه ودبر أموره حتى أفضت الخلافة إليه فاستوزره
كان الفضل سخياً كريماً يجارى البرامكة في جوده شديد العقوبة سهل
الانعطاف حلماً بليغاً عالماً بآداب الملوك بصيراً بالحيل جيد الحدس محصلاً
للاموال وكان يقال له الوزير الأمير

كان مسلم بن الوليد الشاعر نديماً لفضل بن سهل قبل وزارته . وكان

قد أنشده قوله (سريع)

وقائل ليست له همة كلا ولكن ليس لي مال

لا جدة ينهض عزمي به والناس سؤال وبخال

فاصبر على الدهر الى دولة يرفع فيها حالك الحال

فلما علت حال الفضل وتولى الوزارة قصده مسلم بن الوليد . فلما رآه سر

به وقال له هذه الدولة التي يرفع فيها حالك الحال وأمر له بثلاثين ألف درهم

وولاه يريد جرجان فاستفاد من ثم مالا طائلاً * قالوا كانت همة ذى الرئاستين

عالية جداً من قبل أن يعظم أمره قال له مؤدب المأمون يوماً في أيام الرشيد

ان المأمون لجميل الرأي فيك وانى لا استبعد أن يحصل لك من جهته ألف

ألف درهم فاعتاظ الفضل من ذلك وقال له ألك على حق قد ألى إليك إساءة

فقال له المؤدّب لا والله ما قلت هذا الا محبة لك فقال اقول لى إنك تحصل معه
الف الف درهم والله ما صحبته لا كتسب منه ما لا قل أو جل ولكن صحبته
ليمضى حكم خاتمي هذا في الشرق والغرب . قال فوالله ما طالت المدة حتى بلغ
ما أمل . وقتل الفضل بن سهل على الصورة التي تقدم شرحها . وذلك في سنة
اثنين ومائتين وفيه يقول الشاعر

(متقارب)

فضل بن سهل يد يقصر عنها المثل
فباطنها للندي وظاهرها للقبل
وبسطها للغني وسطوتها للاجل

وزارة أخيه الحسن بن سهل للمأمون

استوزره المأمون بعد أخيه الفضل ومال اليه وثلافاه جبراً لمصابه بقتل
أخيه وتزوج ابنته بوران وانحدر في أهله وأصحابه وعساكره وأمرائه الى قم
الصلح بواسطة . فقام الحسن بن سهل في انزالهم قياما عظيما وبذل من الاموال
ونثر من الدرر ما يفوت حد الكثرة حتى انه عمل بطاطيخ من عنبر وجل
في وسط كل واحدة منها رقعة بضيفة من ضياعه ونثرها فمن وقعت في يده
بطيخة منها فتحها وتسلم الضيفة التي فيها . وكانت دعوة عظيمة تتجاوز حد
الذبح والسكر حتى إن المأمون نسبه في ذلك الى السرف . وقالوا جملة
ما أخرج على دعوة في الصلح خمسون الف الف درهم

كان الحسن بن سهل قد فرش للمأمون حصيراً منسوجاً من الذهب ونثر
عليه الف اوازة من كبار الاوازة فلما رآه المأمون قال قاتل الله أباً نواس كأنه
شاهد مجلسنا هذا حيث يقول

(بسيط)

كان صغري وكبرى من فواقها حصباء در على أرض من الذهب

قالوا قدم رجل الى باب الحسن بن سهل يلتمس صلته وعارفته
فاشتغل عنه مديدة فكتب اليه (بسيط)

المال والعقل مما يستعان به على المقام بأبواب السلاطين
وأنت تعلم اني منهما عطل إذا نأملتني يا بن الدهاقين
أما تلك أثوابي على عدي والوجه في رئيس في المجانين
والله يعلم مالملك من رجل سواك يصلح للدنيا وللدن
فأمر له بعشرة آلاف درهم ووقع في رفقته (كامل)

أعجلتنا فأنتك عاجل برنا قلا ولو أنظرتنا لم يقلل
نخذ القليل وكن كأنك لم تسأل ونكون نحن كأننا لم نسأل

وكان الحسن بن سهل أعظم الناس منزلة عند المأمون . وكان المأمون
شديد الحجة لمناوضته فكان إذا حضر عنده طاوله في الحديث . وكلما أراد
الانصراف منه فانقطع زمان الحسن بذلك وثقلت عليه الملازمة فصار
يتراخى عن الحضور بمجلس المأمون ويستخلف أحد كتابه كأحمد بن أبي خالد
وأحمد بن يوسف وغيرهم ثم عرضت له سوداء كان أصلا جزءه على أخيه
فانقطع بدارده ليطيب واحتجب عن الناس الا أنه على الخلق مكانة واستوزر
المأمون أحمد بن أبي خالد فكان أحمد في كل وقت يقصد خدمة الحسن بن
سهل وإذا حضر الحسن دار المأمون كان أعلى الناس مكانة ولما انقطع الحسن
ابن سهل بمنزله هجاء بعض الشعراء بقوله (وافر)

توات دولة الحسن بن سهل ولم أبلل لحاتي من نداها
فلا تجزع على ما فات منها وأبكي لله عيني من بكائها

ومات الحسن بن سهل في سنة ست وثلاثين ومائتين في أيام المتوكل

وزارة أحمد بن أبي خالد الاحول للمأمون

هو من الموالي . كان أحمد جليل القدر من عقلاء الرجال . وكان كاتباً
شديداً فصيحاً ليماً بصيراً بالأمور . قال له المأمون ان الحسن بن سهل قد لزم
منزله وانني أريد أن استوزرك فتنصل أحمد من الوزارة وقال يا امير المؤمنين
أعطني من التسمي بالوزارة وطالبي بالواجب فيها واجعل بيني وبين العامة منزلة
برجوني لها صديقي ويخافني لها عدوي فما بعد الغايات الا الآفات فاستحسن
المأمون جوابه وقال لا بد من ذلك واستوزره

كان المأمون لما ولي طاهر بن الحسين خراسان استشار فيه أحمد بن
أبي خالد . فصوّب أحمد الرأي في تولية طاهر . فقال المأمون لأحمد نى أخاف
أن يغدر ويخلع ويفارق الطاعة . فقال أحمد الدرك في ذلك على فولاه المأمون
فما كان بعد مدة أنكر المأمون عليه أموراً . وكتب اليه كتاباً يهدده فيه
فكتب طاهر جواباً أغلظ فيه للمأمون . ثم قطع اسمه من خطبة ثلاث جمع
فبلغ ذلك المأمون . فقال لأحمد بن أبي خالد انت الذي أشار بتولية طاهر
وضمنت ما يصدر منه وقد ترى ما صدر منه من قطع الخطبة ومنازقة
اطاعة فوالله ان لم تتلطف لهذا الامر ولصلحه كما أفسدته والاضربت
عنقك . فقال أحمد يا امير المؤمنين حب نفسك فبعد أيام يأتيك البريد بهلاكه . ثم
ان أحمد بن خالد أهدى لطاهر هدايا فيها كواميخ مسمومة . وكان طاهر
يحب الكاخ فاكل منها فمات من ساعته . وفيل ان أحمد بن خالد لما تولى
طاهر خراسان حسب هذا الحساب فوهبه خادماً وناولوه سما . وقال له متى
فطع خطبة المأمون فاجعل له هذا السم في بعض يخب من الماء كل . فلما فطع
طاهر خطبة المأمون جعل الخادم له السم في كاخ فاكل منه فمات في ساعته .

• ووصل الخبر على البريد بموته الى المأمون بعد أيام فكان ذلك مما عظم به
امر احمد بن ابى خالد. ومات احمد حثيف انه سنة عشرة ومائتين

﴿ وزارة احمد بن يوسف بن القسم للمأمون ﴾

كان من الموالى • وكان كاتباً فاضلاً ادبياً شاعراً فطناً بصيراً بأدوات الملك
وآداب السلاطين • قالوا لما مات احمد بن ابى خالد استشار المأمون الحسن
ابن سهل فيمن يوليه الوزارة • فاشار عليه بأحمد بن يوسف وأبى عباد بن يحيى
وقال هما أعرف الناس بطبع أمير المؤمنين • فقال له اختر لى احدهما فاختر له
احمد بن يوسف فقوض المأمون اليه وزارته • استشار المأمون احمد بن
يوسف فى رجل فوصفه احمد بن يوسف وذكر محاسنه فقال له المأمون
يا احمد لقد مدحته على سوء رأيك فيه ومعاداته لك فقال احمد لاني لك كما

(وافر)

قال الشاعر

كفى ثمناً بما أسديت أنى صدقتك فى الصديق وفى عدائى

وانى حين تنسبني لامر يكون هواك أغلب من هوائى

(كامل)

وله أشعار حسنة فمنها

قلبي يحبك يامنى قلبي ويبغض من يحبك

لا يكون فرداً فى هوا لك فليت شعرى كيف قلبك

وأهدى يوم نوروز الى المأمون هدية قيمتها الف الف درهم وكتب

(طويل)

معها

على المبد حق فهو لا بد فاعله وان عظم المولى وجلت فواضله

ألم ترنا نهدي الى الله ماله وان كان عنه ذا غنى فهو قابله

فقال المأمون عاقل أهدى حسناً • وكان سبب موته أنه دخل يوماً الى

المأمون والمأمون يتبخر فأخرج المأمون الحجرة من تحتها وقال جعلوها تحت
أحمد تكرمة له فنقل أعداؤه الى المأمون أنه قال ما هذا البخل بالبخور . هلاً
أمر لي ببخور مستأنف . فاعتاظ المأمون لذلك . وقال ينسبني الى البخل وقد علم
أن نفقتي في كل يوم ستة ألف دينار . وإنما أردت إكرامه بما كان تحت ثيابي
ثم دخل عليه وهو يتبخر مرة أخرى فقال المأمون اجعلوا تحتها في حجرة قطع
عنبر وضموها عليه شيئاً يمنع البخار أن يخرج . ففعلوا ذلك به فصبر عليه حتى
غلبه الامر فصاح الموت الموت فكشفوا عنه وقد نسي عليه فانصرف الى
منزله فكث فيه شهوراً عيلاً من ضيق النفس حتى مات بهذه العلة . وقيل
بل مات كدّاً لبادرة بدرت منه فاطرحه المأمون لاجلها

وزارة أبي عباد ثابت بن يحيى بن يسار الرازي للمأمون .
كان أبو عباد كاتباً حاذقاً بالحساب سريع الحركات أهوج محملاً . قالوا كان
المأمون ينشد اذا رآه مقبلاً قول دعبل فيه (كامل)

وكأنه من دير هزقل مفلت حرب يحرق سلاسل الاقياد
قيل للمأمون ان دعبل الشاعر هجاك . فقال من أقدم على هجاء أبي
عباد كيف لا يهجونى . ومعنى هذا الكلام من أقدم على هجاء أبي عباد مع
هوجه وجنونه وحدته كيف لا يقدم على هجائى مع حلمى ومحبتى للصريح
وكان أبو عباد شديد الحدة سريع الغضب ربما اغتاظ من بعض من
يكون بين يديه فرماد بدواته أو شتمه فأخش . فدخل اليه الغالبى الشاعر
وأنشده (كامل)

لما اتخنا بالوزير ركبنا مستعصمين بجوده أعطانا
ثبتت رحامك الامام ثابت وأفاض فينا العدل والاحسانا

يقرى الوفود طلاقة وسماحة والناكثين مهنداً وسنانا
 من لم يزل للناس غيثاً ممرعاً متخرفاً في جوده معوانا
 فلما وصل الى قوله في جوده وقف وأرتج عليه وصار يكرر في جوده
 في جوده مراراً حتى ضجر أبو عباد وغلبت عليه السوداء فقال يا شيخ فقد
 قرأنا أو صفعنا وخلصنا فضحك جميع من كان بالجلس وذهب غيظه هو
 أيضاً فضحك مع الناس وأتم الغالبى قافيته بقوله معوانا ثم صله
 وزارة أبي عبد الله محمد بن يزداد بن سويد المأمون وهو آخر وزرائه
 هم من خراسان . كانوا مجوساً ثم أسلموا واتصلوا بالحنفاء وسويد أول من
 أسلم منهم . وكان قدماء أبوه وهو صغير فأسلمته أمه الى بعض كتاب العجم
 فنقذ نفاذاً محموداً وتعلم آداباً كثيرة من آداب الفرس . ثم واطب على ملازمة
 الديون بمره . فحضر صاحب الديون في يوم مطير وتخلف جميع الكتاب
 والنواب عن الحضور . وكان سويد جدي محمد حاضراً . فاحتاج صاحب الديون
 الى عمل حسبة فلم يكن عنده بالديون كاتب فتولى هو عملها بنفسه وشرع
 فيها فكتب بعضها . ثم غلبه نعاس وحانت منه التفاتة فرأى سويداً فسلم الحسبة
 اليه وقال له احتفظ بها حتى أتتبه . ثم نام صاحب الديون فتصفح سويد الحسبة
 وتمها وبينها في نسخة حسنة بخط مليح وضبط صحيح وأتتبه صاحب الديون
 وطلب منه الحسبة فدفعها اليه فوجدها مفروغا منها على أتم قاعدة وأحسن
 وجه . فقال يا صبي من عمل هذه الحسبة قال أنا قال أفتحسن الكتابة قال نعم
 . فأمره بلزوم سلتة التي كان فيها حسابه وأصول أعماله وما يجب أن يحتفظ
 به وقرله معيشة . وتنقل في الخدمات حتى حصل أموالاً جليلة وارتفع قدره
 . ثم نادى محمد وبرع في كل شئ فاستوزره المأمون وفوض اليه جميع الأمور

وكان محمد شاعراً فصيحاً فمن شعره
 لقد فنت بمقلتها فتون
 وتزعم أنني أهوى سواها
 أيا من جها في القلب منى
 ويا من تدعي أنى خوّن
 خذى عهدى على عيني وطرفي
 ومات المأمون وهو وزيره * انقضت أيام المأمون ووزرائه

﴿ ثم ملك بعده أخوه المعتصم أبو اسحاق محمد ﴾

بويص يوم وفاة المأمون وقد تقدم ذكر السنة * كان المعتصم سيدي
 رأى شديد المنة يحمل الفرطل ويمشي بها خطوات. وكان موصوفاً بالشجاعة
 وسمى المثنى من أحد عشر وجهاً. هو الثامن من ولد العباس. والثامن من
 خلفاء. وتولى الخلافة وعمره ثمانى عشرة سنة. وكانت خلافته ثمانى سنين
 وثمانية أشهر. وتوفى وله ثمان واربعون سنة. وولد فى شعبان وهو الشهر
 لثامن. وخلف ثمانية ذكور. وثمانى بنات. وغز ثمانى غزوات. وخلف
 ثمانية الف الف درهم * كانت أباه المعتصم أباه فتوح وحروب هو الذى
 فتح عمورية

شرح الحال فى ذلك

كان السبب فى غزو المعتصم عمورية أن ملك الروم خرج الى بلاد
 المسلمين فهب حصناً من حصونهم يقال له زبطرة وقتل من به من الرجال
 وسبى الذرية والنساء. فيقال إنه كان فى جملة السبى امرأة هاشمية فسمعت
 وهى تقول وامعتصماه. فبلغ المعتصم ما فعله ملك الروم بالمسلمين فاستعظمه

وكبر عليه وبلغه ما قالت الهاشمية فقال وهو في مجلسه ليبيك ليبيك ونهض من
 ساعته وصاح في قصره الرحيل الرحيل ثم ركب دابته وسمط خلفه شكالا
 وسكة حديد وحقية فيها زاده ثم برز وأمر العساكر بالتبريز وتجهز تجهزاً لم
 يتجهز بمثله خليفة . فلما اجتمعت عساكره وفرغ من تجهيزه وعزم على المسير
 أحضر القضاة والشهود فأشهدهم انه قد وقف املاكه وأمواله على ثلاثة
 أثلاث . ثلث لله تعالى . وثلث لولده وأقاربه . وثلث لمواليه . ثم سار فظفر ببعض
 اهل الروم فسأله عن أحسن مدنها وأعظمها وأعزها عندهم فقال له الرومي
 إن عمورية هي عين بلادهم فتوجه المعتصم اليها وجمع عساكره عليها وحاصرها
 ثم فتحها ودخل اليها وقتل فيها وفي بلادهم وسبي وأسروا وبالع في ذلك حتى
 هدم عمورية وعنى آثارها وأخذ باباً من أبوابها وهو باب حديد عظيم الحجم
 فاحضره الى بغداد وهو الآن على أحد أبواب دار الخلافة يسمى باب
 العامة * وكان قد صحبه ابو تمام الطائي فمدحه بقصيدته البائية التي أولها

(بسيط)

السيف اصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وفيه يقول للمعتصم

خليفة الله جازى الله سمعك عن جرثومة الدين والاسلام والحسب
 بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال الا على جسر من التعب
 ومن جملتها ما يشير به الى مبالغة المعتصم في قتالهم واستئصاله إياهم
 لم تطلع الشمس منهم يوم ذاك على بان بأهل ولم تغرب على عزب
 ومن جملتها ما يدل على شدة ما كان عنده من الحق عليهم وهو قوله
 ما ربع مية معموراً يطيف به غيلان أبهى ربي من ربك الحرب

ولا الحدود وإن آدمين من خجل أشهى إلى ناظري من خدك الترب
وكانت وقعة عمورية في سنة ثلاث وعشرين ومائتين * والمعتمصم هو
الذي بنى سر من رأى

﴿ شرح السبب في بناء سامرا وكيفية الحال في ذلك ﴾
كانت بغداد دار الملك وبها سرير الخلافة من بعد المنصور إلا أن هارون
الرشيد أحب الرقة بالشام فأقام بها ومع ذلك فكانت الرقة له كالمنتزه وقصوره
وخزائنه ونساؤه وأولاده ببغداد بقصر الخلد ومن ولى بعده من الخلفاء كان
سرير ملكهم ببغداد

فلما كانت أيام المعتمصم خاف من بها من العسكر ولم يثق بهم فقال
اطلبوا إلى موضعاً أخرج إليه وأبنى فيه مدينة وأعسكر به فإن رابني من
عساكر بغداد حدث كنت بنجوة وكنت قادراً على أن آتيهم في البر وفي الماء
فوقع اختياره على سامرا فبناها وخرج إليها

وقيل إن المعتمصم استكثر من المماليك فضاقت بهم بغداد ونأذى بهم
الناس وزاحمهم في دورهم وتعرضوا بالنساء فكان في كل يوم ربما قتل منهم
جماعة. فركب المعتمصم يوماً فلقبه رجل شيخ فقال للمعتمصم يا أبا اسحاق فأراد
الجند ضربه فنعمهم المعتمصم وقال له مالك يا شيخ فقال لا جزاك الله خيراً عن
الجوار جاورتنا مدة فرأيناك شر جار جئتنا بهؤلاء العلوج من غلمانك الأتراك
فأسكنتهم بيننا فأيتمت بهم صبياننا وأرملت نساءنا والله لنفانلنك بسهام السحر
يعني الدعاء. والمعتمصم يسمع ذلك فدخل منزله ولم ير ركباً إلا في يوم مثل
ذلك اليوم فركب وصلى بالناس العيد وسار إلى موضع سامرا فبناها وكان
ذلك في سنة إحدى وعشرين ومائتين

ولما مرض المعتصم مرضنه التي مات فيها نزل في سفينة ومعه زمام
الزامر وكان أوحد وقته فجعل يجتاز على قصوره وبساتينه بشاطئ دجلة ويقول
لزمان ازمري

(سريع)

يا منزلا لم تبيل أطالاه حاشي لا طلاك أن تبلي
لم أبك أطالاك لكنتي بكيت عيشي فيك إذ ولي
والعيش أحلى ما بكاه الفتى لا بد للمحزون أن يسلي
ولما احتضر جعل يقول ذهبت الحيل ليست حيلة ثم مات وذلك في
سنة سبع وعشرين ومائتين

﴿ شرح حال الوزارة في أيامه ﴾

أول وزرائه كاتبه قبل الخلافة الفضل بن مروان. كان من البردان وكان
عامياً لا علم عنده ولا معرفة وكان رديء السيرة جهولاً بالأمور وفيه يقول
بعض شعراء عصره

(طويل)

تفرغت يا فضل بن مروان فاعتبر فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسيلهم أبادهم التقييد والاسر والقتل
الثلاثة هم الفضل بن يحيى بن خالد والفضل بن سهل والفضل بن الربيع
. وكان الفضل بن مروان قد تمكن من المعتصم وحسده الناس على منزلته
عنده ثم نكبه وأخذ جميع أمواله وعف عن نفسه فبقى مدة يتنقل في
الخدمات حتى مات في أيام المستعين

﴿ وزارة أحمد بن عمار بن شاذى للمعتصم ﴾

ثم وزرله أحمد بن عمار. كان رجلاً موسراً من أهل المذار فانتقل إلى
البصرة واشترى بها أملاكاً وكثر ماله. وكان طحاناً ثم أضعده إلى بغداد واتسع

بها حاله فقالوا كان يخرج في الصدقة كل يوم مائة دينار . وكان الفضل بن مروان قد وصفه بالأمانة عند المعتصم فلما نكب الفضل لم يقع نظر المعتصم على غير أحمد بن عمار فاستوزره . وكان جاهلاً بأداب الوزارة وفيه يقول بعض شعراء عصره

(سريع)

سبحان ربى الخالق البارئ صرت وزيراً يا ابن عمار
وكننت طحاناً على بغلة بغير دكان ولا دار
كفرت بالمقدار إن لم تكن قد جزت في ذا كل مقدار

فكث مدة في وزارة المعتصم حتى ورد كتاب من بعض العمال يذكر فيه خصب الناحية وكثرة الكلاء . فسأل المعتصم أحمد بن عمار عن الكلاء . فم يدري ما يقول فدعا محمد بن عبد الملك الزيات . وكان أحد خواصه وأتباعه فسأله عن الكلاء فقال أول النبات يسمى بقلا فإذا طال قليلاً فهو الكلاء فإذا يبس وجف فهو الحشيش فقال المعتصم لأحمد بن عمار انظر أنت في الدواوين وهذا يعرض على الكتب ثم استوزره وصرف بن عمار صرافجماً

وزارة محمد بن عبد الملك الزيات للمعتصم

كان أبوه تاجراً في أيام المأمون موسراً ونشأ محمد فتأدب وفراً وفهم وكان ذكياً فبرع في كل شيء حتى صار نادرة وقنه عقلاً وفهماً وذكاءً وكتابةً وسعراً وأدباً وخبرة بأداب الرئاسة وقواعد الملوك حتى كانت أيام المعتصم فاستوزره على ما تقدم شرحه . فنهض بأعباء الوزارة نهوضاً لم يكن لمن تقدمه من أضرابه . وكان جباراً متكبراً فظاً غليظ القلب خشن الجانب مبغضاً إلى الخلق . ومات المعتصم وهو وزيره . وكان المعتصم قد أمر لابنه لوائق بمال وحاله به على ابن الزيات فنهض وأشار على المعتصم أن لا يعطيه شيئاً فقبل

المعتصم قوله ورجع فيما كان أمر به للوائق من ذلك فكتب بخطه كتاباً وحلف فيه بالحج والعق والصدقة أنه إن ولي الخلافة ليقتلن ابن الزيات شر قتلة

فلما مات المعتصم وجلس الواثق على سرير الخلافة ذكر حديث ابن الزيات فأراد أن يعاجله بخاف أن لا يجد مثله . فقال للحاجب أدخل الى عشرة من الكتاب فلما دخلوا عليه اختبرهم فما كان فيهم من أرضاه . فقال للحاجب أدخل من الملك محتاج اليه محمد بن الزيات فأدخله فوقف بين يديه خائفاً فقال لخدام أحضر الى المكتوب القلاني فأحضر له الكتاب الذي كان كتبه وحلف فيه ليقتلن ابن الزيات فدفعه الى ابن الزيات وقال اقرأه . فلما قرأه قال يا أمير المؤمنين انا عبد ان عاقبته فأنت حاكم فيه وان كفرت عن يمينك واستبقيته كان أشبه بك فقال الواثق والله ما أبقيتك الا خوفاً من خلو الدولة من مثلك وسأ كفر عن يميني فاني أجده عن المال عوضاً ولا أجده عن مثلك عوضاً . ثم كفر عن يمينه واستوزره وقدمه وفوض الأمور اليه . وكان ابن الزيات شاعراً مجيداً فمن شعره يرثي المعتصم ويمدح الواثق (منسرح)

قد قلت اذ غيبوك واصطفقت عليك أيد بالماء والطين
اذهب فنعم المعين أنت على الدنيا ونعم المعين للدين
لا يجبر الله أمة فقدت مثلك الا بمثل هارون

ثم ان محمد بن عبد الملك الزيات مكث في وزارة الواثق مدة خلافته لم يستوزر غيره حتى مات الواثق وولى أخوه المتوكل فقبض عليه وقتله قيل ان ابن الزيات عمل تنوراً من حديد ومساميره الى داخل ليعذب

به من يريد عذابه فكان هو أول من جعل فيه * وقيل له ذق ما كنت تذيق
الناس * انقضت أيام المعتصم ووزرائه

﴿ ثم ملك بعده ابنه هارون الواثق ببيع سنة سبع وعشرين ومائتين ﴾
كان الواثق من أفاضل خلفائهم . وكان فاضلاً ليلاً فطناً فصيحاً شاعراً
وكان يتشبه بالمأمون في حركاته وسكناته . ولما ولي الخلافة أحسن إلى بني
عمه الطالبيين وبرهم . ولم يقع في أيامه من الفتوح الكبار والحوادث المشهورة
ما يؤثر . ومات الواثق في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

﴿ شرح حال الوزارة في أيامه ﴾

لم يستوزر الواثق سوى محمد بن عبد الملك الزيات وزيراً به . وقد سبق
طرف من حاله ومات الواثق وهو وزيره * انقضت أيام الواثق

﴿ ثم ملك بعده أخوه جعفر المتوكل ﴾

كان المتوكل شديد الانحراف عن آل علي عليه السلام . وفعل من
حرث قبر الحسين عليه السلام ما فعل . وأبى الله إلا أن يتم نوره . وقال من
يمتدّر له إنه كان كأخيه وكالمأمون في الميل إلى بني علي عليه السلام وإنما كان
حوله جماعة منحرفون عن أهل البيت عليهم السلام فكانوا دائماً يحملونه
على الوقعة فيهم * والاول أصح ولا ريب أنه كان شديد الانحراف عن هذه
الطائفة ولذلك قتله ابنه غيرة وحمية

﴿ شرح مقتله على سبيل الاختصار ﴾

كانت بينه وبين ابنه المنتصر مباينة وكان كل منهما يكره الآخر ويؤذيه
فاتفق المنتصر مع جماعة من الأمراء على قتله وقتل الفتح بن خاقان . وكان
أكبر أمرائه وأفضلهم فهجموا عليه وهو يشرب نخبطوه بالسيوف فقتلوه

وقتلوا الفتح معه . وأشاعوا أن الفتح قتله فقتلناه به . وجلس ابنه على السرير بعده . وذلك في سنة سبع وأربعين ومائتين

شرح حال الوزارة في أيامه

لما بويع بالخلافة استوزر محمد بن عبد الملك الزيات أياماً ثم نكبه وقبض عليه وقتله كما تقدم شرحه . ثم استكتب رجلاً من كتابه يقال له أبو الوزير من غير أن يسميه بالوزارة فكتب له مديدة يسيرة ثم نكبه وأخذ منه مائتي ألف دينار واستوزر الجرجري

وزارة أبي جعفر محمد بن الفضل الجرجري للمتوكل

كان شيخاً ظريفاً حسن الأدب عالماً بالغناء مشتهراً به خف على قلب المتوكل فاستوزره مديدة ثم كثرت السعيات به فعزله المتوكل وقال قد ضجرت من المشايخ أريد حدثاً استوزره فأشير عليه بعبيد الله بن يحيى بن خاقان

وزارة عبيد الله بن يحيى بن خاقان

كان عبيد الله حسن الخط وله معرفة بالحساب والاستيفاء إلا أنه كان مخلطاً . وكان مجدوداً فكانت سعادته تغطي عيوبه . وكان كريماً حسن الأخلاق وكان كرمه أيضاً يستر كثيراً من عيوبه . وكان فيه تعفف قيل إن صاحب مصر حمل إليه مائتي ألف دينار وثلاثين سقفاً من الثياب المصرية . فلم أحضرت بين يديه قال لو كيل صاحب مصر لا والله لا أقبلها ولا أثقل عليه بذلك . ثم فتح الاسفاط وأخذ منها منديلاً لطيفاً وضعه تحت خذه وأمر بالمال فحمل إلى خزنة الديون وصحح بها وأخذ به دوراً لصاحب مصر

وكانت سيرة عبيد الله هينة والجند يحبونه . فلما جرت الفتنة عند قتل المتوكل خاف عبيد الله فاجتمع الجند على بابه وقالوا له أنت أحسنات اليناف

حال وزارتك وأقل ما يجب لك علينا أن نحفظ بك ونحرسك في مثل هذه
التمتة ولا زمو أباه وحفظوه. ومات المتوكل وهو وزيره. فتمت أيام المتوكل
ووزرائه

ثم ملك بعده ابنه محمد المنتصر بوبع في صبيحة ليلة التي قتل أبوه بها .
كان المنتصر شهماً فاتكاً سفاكاً للدم. لما قتل أباه تحدث الناس بأنه
لا يطول له العمر بعده وشبهوه بشيروه بن كسرى حين قتل أباه ولم يستمتع
بالمك بعده * قالوا لما قتل المنتصر أباه وبوبع له بالخلافة جلس على بساط
لم ير الناس مثله وعليه كتابة عجبية بالتمارسية فنظر إليها المنتصر واستحسنها
وقال لمن حضر هل تعرفون معناها فأججموا وقالوا لا نعرف فاستحضر
رجلاً عجيباً غريباً وأمره بقراءتها فأججم الرجل فقال له المنتصر قل وما
علاك بأس فلبس ثياب ذنب فقال الرجل على هذا البساط مكتوب أنا شيروه
بن كسرى قتلته في فلان فتمتع بملك بعده الائمة أشهر فمطير المنتصر من
ذلك ونهض من مجلسه مغضباً فم تم ستة شهور حتى مات وذلك في سنة
ثمان وأربعين ومائتين

.. شرح حال الوزارة في أيامه ..

لما بوبع بالخلافة ستوزر كاتبه أحمد بن خُصيب

.. وزرة حمد بن خُصيب للمنتصر ..

كان حمد مقصراً في صناعته مطعوناً عليه في عقله . وكانت فيه مروءة
وحدة وطيش فمن حمله بلغ منه ما أورد فعرض له رجل من أرباب الحوائج
أن يبيع عليه حى ضايقه وضغط رجله بالركاب فاحتد احمد وأخرج رجله من
الركاب وركاه بها في صدره فقال فيه بعض الشعراء

(كامل)

قل للخليفة يا ابن عم محمد اشكل وزيرك انه ركال
 قد نال من أعراضنا بلسانه ولرجله عند الصدور مجال
 ومات المنتصر واحمد بن الحبيب وزيره * انقضت أيام المنتصر
 ثم ملك بعده المستعين هو احمد بن محمد بن المعتصم *

لم مات المنتصر اجتمع الامراء والكابر المالك وقالوا متى ولينا أحداً
 من ولد المتوكل طالبنا بدمه وأهلكنا فأجمعوا على مبايعة المستعين وقالوا هو
 ابن بن مولانا المعتصم فاذا بايعناه لم تخرج الخلافة من ولد المعتصم فبايعوه
 في سنة ثمان وأربعين ومائتين . وكانت تلك أيام فتن وحروب وخروج
 خوارج فمن خرج فيها قتيل شاهی ابو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن
 الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام
 شرح الحال في ذلك *

كان يحيى بن عمر قتيل شاهی قدم من خراسان في أيام المتوكل وهو في
 ضائقة وعليه دين فكلم بعض الكابر أصحاب المتوكل في ذلك فأغلظ له وجبهه
 بسامرا . ثم كفله أهله فأطلقوا ونحدر الى بغداد فأقام بها مدة على حال غير
 مرضية من الفقر . وكان رضى الله عنه ديناً خيراً عمالاً حسن السيرة فرجع
 الى سامرا مرة ثانية وكلم بعض أمراء المتوكل في حاله فأغلظ له وقال لاى
 حال يعطى مثلك فرجع الى بغداد ونحدر منها الى الكوفة ودعا الناس الى
 الرضى من آل محمد فتبعه ناس من أهل الكوفة من ذوى البصائر في التشيع
 وناس من الاعراب ووثب في الكوفة وأخذ ما في بيت المال فقرقه على
 أصحابه وأخرج من في السجون وطرد عن الكوفة عاملها وكثرت جموعه

فارس الى امير بغداد وهو محمد بن عبد الله بن طاهر عسكرياً فالتقوا بشاهي
وهي قرية قريبة من الكوفة فكانت الغلبة لمسكر بن طاهر وانكشف
الغبار ويحيى بن عمر قتيل فحمل رأسه الى محمد بن عبد الله بن طاهر ببغداد
فجلس محمد بن عبد الله بن طاهر للهناء بذلك فدخل عليه الناس أفواجا يهنئونه
وفي جملتهم رجل من ولد جعفر بن أبي طالب عليهم السلام فقال له أيها
الامير انك لتهنأ بقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حياً
لعزى به فأطرق محمد بن عبد الله ساعة ثم نهض وصرف الناس * ورثاه
الشعراء فمن رثاه بن الرومي بحميمته التي أولها (طويل)

أمامك فانظر أي نهجيك نهج طريقان شتى مستقيم واعوج

منها

سلام وريحان وروح ورحمة عليك وممدود من الظل سحسج
ولا برح القاع الذي أنت جارد يرف عليه الاخوان المفلج
وهي قصيدة ساعرة تناول فيها بنى العباس بأشياء تركناها تخرجا وكانت
وقعة شاهي في سنة خمسين ومائتين * وخرج عليه غيره من الطالبين فكانت
الغلبة في جميع تلك الحروب له

واعلم ان المستعين كان مستضعفاً في رأيه وعقله وتديره وكانت أيامه
كثيرة الفتن ودولته شديدة الاضطراب ولم يكن فيه من الخصال المحدودة
لا أنه كان كريماً وهوباً وخلع في سنة اثنين وخمسين ومائتين ثم قتل
بعد ذلك

شرح حال الوزارة في أيامه .

لما ولي المستعين أقر أحمد بن الحبيب على وزارته شهرين ثم استوزر

بعده أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد

وزارة بي صالح محمد بن يزداد

كان عنده أدب وفضل. وكانت توقعاته وأجوبته من أحسن التوقيعات
والاجوبة

ومن توقعاته لي رجل ليس عليك بأس ما لم يكن منك بأس
قالوا ولما تولى أبو صالح بن يزداد الوزارة للمستعين ضبط الاموال
فصعب ذلك على أمرء الدولة وكان قد ضيق عليهم قهدهود بالقتل فهرب
ثم اختلفت الاحوال وستكتب المستعين تارة محمد بن الفضل الجرجاني
وتشجاع بن القيس لكن لم يتسم أحد منهما بالوزارة ولم تطل تلك الايام وكانت
ذات فتن وحروب وختلاف كثير. نقضت أيام المستعين ووزرائه
ثم ملك بعده المعتز بالله هو أبو عبد الله محمد بن المتوكل

بويح بالخلافة سنة اثنتين وخمسين ومائتين عقيب خلع المستعين. وكان
المعتز جميل الشخص حسن الصورة ولم يكن بسيرته ورأيه وعقله بأس الا
أن الاترك كانوا قد ستولوا منذ قتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء
فكان خائفة في يدهم كالاسير ن شؤا أبغود وان شؤا خلعود وان
شؤا قتلود

لم جلس المعتز على سرير الخلافة فمدخوسه وحضره المنجمين وقالوا
لهم انظروا كم يعيش وكم يبقى في خلافة. وكان بالجلس بعض الظرفاء فقال
أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته فقالوا له فكم تقول انه يعيش وكم
يبقى قال مهما أراد الاترك فلم يبق في المجلس الا من ضحك

وفي أيام المعتز ظهر يعقوب بن الليث الصنار و ستول على فارس وجمع

جموعا كثيرة ولم يقدر المعتز على مقاومتها ثم نال تركه تاروا بالمعتز وطلبوا منه مالا فاعتذر اليهم وقال ليس في خزائن شيء فاتفقوا على خلعهم وفتلته فحضروا الى بابه وأرسلوا اليه وقالوا له اخرج اليك فاعتذر بأنه شرب دواء فجموا عليه وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس فكان رفع رجلا ويضع أخرى بشدة الحر وكان بعضهم يلطمه وهو يتنهد يده ثم جعلوه في بيت وسدوا بابه حتى مات بعد ان أشهدوا عليه انه خلع نفسه وذلك في سنة خمس وخمسين ومائتين

• شرح حال الوزرة في أيامه •

أول وزرته أبو الفضل جعفر بن محمود الأسكافي

• وزرة الأسكافي للمعتز •

لم يكن له علم ولا أدب ولكنه كان يسمي القلوب بمؤهب والعطايا وكان المعتز يكرهه وكانوا ينسبونه إلى التشيع ومال إليه بعض الأتراك وكرهه البعض الآخر وثار بسببه فتنة معزله المعتز

• وزرة أبي موسى عيسى بن فرخان شاد للمعتز •

كان كريما . فبينما كان قبل الوزرة يتولى بعض الدواوين فعزل عنه وله به ستحقاق مبلغة ألف دينار فمطاف بالذي نزل بعدد حتى كتب له وحانه بذلك على بعض النوب فلما حصل المال كتب ذلك الكتاب إلى عيسى بن فرخان شاد حمله أن المال قد حصل واستأذنه في حمله اليه وكان دينا له فكتب اليه ان فلانا الشاعر لازمى مده ومما حصل له من جيلين فدفن هذا المال اليه فدفن المال إلى الشاعر فأخذوه وصرف . وجرت بسببه أيضا فتنة بين الأتراك فعزله المعتز

﴿ وزارة ابي جعفر احمد بن اسرائيل الانباري للمعتز ﴾

كان أحد الكتاب الخذاق الاذكياء. قالوا كان يحفظ وجوه المال جميعها دخلا وخرجا على ذهنه وقالوا انه ضاعت مرة حسبة من الديون فأوردها من خاطره فلما وجدت الحسبة كانت كما قال من غير زيادة ولا نقص. ثم ان الاتراك وشبوا على احمد بن اسرائيل فأخذوه وضربوه واستصفوا أمواله وشفع فيه المعتز وأمه الى متقدم الاتراك وهو صالح بن وصيف فلم يلتفت اليهما وحبسه وضربه بعد ذلك في أيام المهتدي حتى مات

ولما فعل صالح بن وصيف بأحمد بن اسرائيل ما فعل استحضر جعفر ابن محمود الاسكافي واستورزه للمعتز ثانية وقد سبق ذكره ولما تولى الوزارة في المرة الثانية قال بعض الشعراء

(منسرح)

يانفس لا تولي بتقيد وعلى القلب بالمواعيد

وانتظري قدرأيت ماساقه الله الى جعفر بن محمود

انقضت أيام المعتز ووزرائه

ثم ملك بعده المهتدي بالله هو أبو عبد الله محمد بن الواثق

كان المهتدي من أحسن الخلفاء مذهباً وأجملهم طريقة وسيرة وأظهرهم ورعاً وأكثرهم عبادة. كان يتشبه بعمر بن عبد العزيز ويقول اني أستحي أن يكون في بني أمية مثله ولا يكون مثله في بني العباس. وكان يجلس للمظالم فيحكم حكماً يرتضيه الناس. وكان يتقلل في مأكوله وملبوسه

حدث بعض الهاشمين قال كنت عند المهتدي في بعض ليالى رمضان فقامت لأنصرف فأمرني بالجلوس فجلست حتى صلى المهتدي بنا المغرب. ثم أمر باحضار الطعام فأحضر طبق خلاف وعليه رغفان وفي إناء ملح وفي إناء

خل فأكل وأكلت أكلا مقصراً ظناً مني أنه يحضر طعام أجود من ذلك
فما رأي أكل كذا قال أما كنت صائماً قلت بلى قال أفلم تر يد الصوم
غداً قلت وكيف لا وهو شهر رمضان فقال كل واستوف عشاءك فليس
هاهنا غير ما ترى فعجبت وقلت لم ذلك يا أمير المؤمنين وقد أسبغ الله عليك
نعمه ووسع رزقه فقال إن الأمر كما تقول والحمد لله ولكني كرهت أن يكون
في بني أمية مثل عمر بن العزيز وأن لا يكون في بني العباس مثله

وكان المهتدي قد اطرح الملاحى وحرم الفناء والشراب ومنع أصحابه
من الظلم والتعدى

في أيام المهتدي خرج صاحب الزنج وسيرد خبره في أيام المعتمد
إن شاء الله تعالى

كان المهتدي قتل بعض الموالى فشغب عليه الاتراك وهاجوا وأخذوه
أسيراً وعذبوه ليخلع نفسه فلم يفعل فخلعوه ثم ومات. وذلك في سنة ست
 وخمسين ومائتين

شرح حال الوزارة في أيامه

لما بويع بالخلافة أقر جعفر بن محمود الاسكافى على وزارته. ثم عزله
واستوزر سليمان بن وهب

وزارة سليمان بن وهب بن سعيد للمهتدي

من قرية من أعمال واسط. وكانت لهم تناية وكانوا انصارى ثم أسلموا
وخدموا في الدواوين حتى آلت بهم الحال الى ما آلت
كان أبو أيوب سليمان بن وهب أحد كتاب الدنيا ورؤسائها فضلاً وأدبا
وكتابة في الدرج والدستور وأحد عقلاء العالم وذوى رأى منهم

حدث ابنه عبيد لله قال حدثني أبي قال كان مبدأ سعادتي أني كنت
وأنا صبي بين يدي محمد بن يزيد د وزير المأمون وكنا جماعة من الصبيان بن
يديه اذا راح في الليل لي دره بات وحيد منا في در المأمون بالثوبة له
عساة يعرض في الليل . قال فكانت ايلة نوبتي فخرج خادم وقال هاهنا أحد من
نواب محمد بن يزيد فقال احجاب له نعم ها هو ذا فأدخلني الى المأمون . فقال
لي عمل نسخة في المعنى القلاني ووسع بين سطورها وأحضرها لأصلح منها
. . أريد إصلاحه . قال فخرجت سريعا وكتبت الكتاب بغير نسخة وببضته
وأحضرتها اليه . فلما رآني قال كتبت النسخة . فلت بل كتبت الكتاب .
فقال ببضته . فلت نعم فزد لي نظرد لي كالمعجب مني . فلما قرأه تبينت
لاستحسان على وجهه ورفع رأسه لي . وقال ما حسن ما كتبت يا صبي
ولكن أريد أن تقدم هذا السطر وتؤخر هذا السطر وخط عليهما بقائه
فأخذت الكتاب وخرجت وجلست ناحية ثم محوت السطرين وعملت
ما أرد وجهه بالكتب وكان قد من لي أبظه وأكتب غير . فلما قرأه
يعرف موضع نحو فاستحسنه وقال يا صبي لا أدري من أي شيء أعجب
من جودة محوكك أم من سرعة فهمك أم من حسن خطك أم من سرعتك
بذلك لله فيك . فقبلت بده وخرجت . وكان ذلك أول علو منزاتي وصار
المأمون لا يجري مهم إلا قال ها هو سليمان بن وهب . ولم جرت له هذه
القضية كتب اليه بعض الشعراء

(بسط)

بوك كلفك الشاؤ البعبد كما بدما نكته وهب أبو حسن

فلمست تحمد ن أدركت عته واست تعذر مسبوفا فلا تهن

قالو كان سليمان بن وهب يتعشق برهم بن ميمون . وكان برهم بن

ميمون يتعشق مغنية اسمها خلاص فاجتمعوا كلهم على شراب فسكر
 ابراهيم فأكب سليمان بن وهب يلثمه وبنشفه وخلّاص تنظر اليه فلما صحا
 ابراهيم عرفته خلاص ما فعل به سلمان وقالت له كيف يصفو فلي لك وانت
 يصنع بك مثل هذا فانقطع ابراهيم عن سليمان وغضب عليه فكتب سليمان
 بن وهب اليه

(مجنث)

قل للذي ليس يرجي	اعاشيقه خلاص
أب لثمتك سرا	فأبصرني خلاص
هجر رثي وأتني	شيمه وانقص
وسر ذاك ناس	لهم علف اختراص
وساعدتهم وشاة	على أذنا حصرص
فباك فافتص مني	ن جروح قصاص

حدث أحمد بن المدبر قال كنت في حبس لوثق أنا وسلمان بن وهب
 وأحمد بن سريال مطالبين بالاموال . فقال لنا سليمان بن وهب يوماً فدرت
 المنام كأن قائلاً يقول لي يموت الوثن بعد شهر فاستغاث أحمد بن سريال
 وقال له والله لا تزال حتى تسفك دمي وأنا وخاف أشد خوف ان يشيع هذا
 حديث عنا . قال ابن المدبر فعددت من ذلك اليوم ثلاثين يوماً فلما كان يوم
 الاثنين قال لي أحمد بن سريال أين مصدق القول وصحة المنام . وكان قد
 حضر التاريخ وحسب ونحن لا نعلم فقال له سليمان بن وهب الرؤيا تصدق
 ونكذب . فلما كانت العشاء الآخرة طرق الباب علينا طرقاتاً شديداً وصائح
 اصيح البشارة بالبشارة مات الوثن فخرجوا أين شئتم فضمك أحمد بن
 سريال وقال قوموا فقد تحققت الرؤيا وجاء الفرج فقال سليمان بن وهب

كيف تقدر أن تمشي مشاة ومنازلنا بعيدة ولكن نبعث فنحضر دواب
نركبها فإتينا أحمد بن سريث وقويت السود عليه . وكان شكس الاخلاق
وقال له ونحك يا سليمان تنتظر مجيء فرسك حتى يتولى خليفة آخر فيقال له
في الحبس جماعة من الكتاب فيقول يتركون على حالهم حتى ننظر في أمورهم
فنلبث في الحبوس زيادة على هذا ويكون سبب ذلك توجيهك راكباً الى
منزلك يا فاعل يا صانع فضحكنا وخرجنا مشاة في الليل وأجمع رأينا على ان
نستتر عند بعض أصحابنا حتى يتحقق لاخبار فو لله لقد رأينا في طريقنا رجلين
يقول أحدهما للآخر ان هذا الخليفة الجديد قد عرف أحوال المحبسين من
الكتاب وأصحاب الجرم فقال لا يفرج عن احد حتى أنظر في حاله فتخفنا
ان من لله تعالى في أسرع وقت وله الحمد ومن شعره

(منسرح)

نواب لدهر أدبني واثم يوعظ الاديب
قد ذفت حلوا وذقت مرًا كذلك عيش الفنى ضروب
ما مرّ بؤس ولا نعيم الا ولى منهما نصيب

وكان بنو وهب من رؤساء الناس وحقاقهم وفضلائهم وكرمهم . وكانت
دولهم ناضرة ويهمهم مشرقة والادب في زمانهم فتم المواسم . والكرم واضح
المعالي . وخلع المهدي وهو وزيره . نقضت أيام المهدي بالله ووزرائه
ثم ملك بعده المعتمد على الله هو أبو العباس أحمد بن المتوكل .

(بولع سنة ست وخمسين ومائتين)

كان المعتمد مستضعفاً وكان خوه الموفق طاعة الناصر هو الغالب على
امورده . وكانت دولة المعتمد دولة عجيبه لوضع . كان هو وأخوه الموفق طاعة

كاشريكين في الخلافة . للمعتد الخطبة والسكة والتسمى بامرة المؤمنين .
ولأخيه طلحة لأمر والنهي وقود العساكر ومحاربة الاعداء ومراعاة الثغور
ورتيب الوزراء والامراء . وكان المعتد مشغولاً عن ذلك بلذاته * وفي تلك
الايام كانت وقائع صاحب الزنج

* شرح حال صاحب الزنج ونسبه وما آل امره عليه *

ظاهر في تلك الايام رجل يقال له علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام . فأما نسبه فليس عند النساء
بصحيح وهم يعدونه من الادياء . وأما حاله فإنه كان رجلاً فاضلاً فصيحاً بايعاً
ابياً . استمال قلوب العبيد من الزنج بالبصرة ونواحيها فاجتمع اليه منهم خلق
كثيرون وناس آخرون من غيرهم وعظم شأنه وقويت شوكرته . وكان في مبدأ
حاله فقيراً لا يملك سوى ثلاثة اسياف حتى نه أهدي له فرس فلم يكن له
جلام ولا سرج يركبه بهما فركبه بجمل فاتفقت له حروب وغزوات نصر فيها
فأثرى بسببها وعظم حاله ونهبه ونبت عسكره السودان في البلاد العراقية
والبحرين وهجر ونهد اليه الموفق طلحة بعساكر كثيرة فالتقي بين البصرة
وواسط ودامت الحرب بينهما سنين كثيرة وبنوا مدين هناك وأقام كل من
الزنجين يربط الفريق الآخر . وفي آخر الامر كانت الغلبة لجيش العباسي
فبادروا قتل وأسراً وغنل صاحب الزنج وانتهت مدينته . وكان قد بناها
وجامعاً الخنار و جعل رأسه الى بغداد . وكان يوماً مشهوداً وقيل ان عدد
الذين في تلك الوقائع كان الى الف وخمس مائة الف انسان . ودامت المعتد سنة
اسع وسبعين ومائتين

* شرح حال لوزرة في أيامه *

قد تقدم أن أخاه الموفق كان هو المستولى على الخلافة فكان يعزل
الوزراء ويوليهم

وزارة أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان للمعتمد

لما ولي الخلافة المعتمد اتفقت الآراء على عبيد الله بن يحيى بن خاقان
فأحضر واستوزر على كره شديد منه وتقص وتصل. وكان عبيد الله خبيراً
بأحوال الرعايا والأعمال ضابطاً للأموال وقد تقدم ذكره في خلافة المتوكل
وزارة الحسن بن مخلد للمعتمد

وزر له لما مات عبيد الله بن يحيى استوزر المعتمد الحسن بن مخلد. وكان
كاتباً لآخيه الموفق فاجتمعت له وزارة المعتمد وكتابة الموفق. كان الحسن
ابن مخلد من دير قنى ويقال أن أباه كان معبراً نياً فخرج من به ما خرج. وكان
الحسن أحد كتّاب الدنيا. قالوا كان له دفتر صغير يعمل به يده فيه أصول أموال
المالک ومحمولاتها بتواريخها فلا ينام كل ليلة حتى يقرأه ويتحقق ما فيه بحيث
لو سئل في الغد على أى شيء كان منه أجاب من خاطره بغير توقف ولا
مراجعة دستور. قال الحسن بن مخلد. كنت مرة واقفاً بين يدي الموفق
ابن المتوكل فرأيت يده يلمس ثوبه بيده وقال لى يا حسن قد أعجبني هذا الثوب
عندنا في الخزائن منه فأخرجت في الحال من خفي دستوراً فيه جمل ما في
الخزائن من الامتعة والثياب منفصلة فوجدت فيها من جنس ذاك الثوب سنة
الف ثوب فقال لى يا حسن نحن نحتاج عرابة كتب الى البلاد في استعمال ثلاثين
الف ثوب من جنسه وحملها في اسرع مدة

ثم عزل المعتمد واستوزر سليمان بن وهب وقد سبق وصف طرف
من حاله. وشرعت من تلك الايام دولة بنى وهب تتبع

✽ وزارة أبي الصقر اسماعيل بن بابل ✽

استوزره الموفق لآخيه المعتمد . وكان أبو الصقر كريماً مطعماً متجعلاً .
بلغ من الوزارة مبلغاً عظيماً . وجمع له السيف والقمم فنظر في أمر العساكر
أيضاً وسمى الوزير الشكور كان في حبابه على طريقة غير مرضية فبلغ ما بلغ
ومدحه الشعراء كالبحترى وابن الرومي وغيرهما وهجوه . وكان أبو الصقر
يتنسب إلى بني شيان ورأيت نسبه مرفوعة إلى شيان بخط بعض النساب
وقوم غمزوه وقالوا هو دعي . وكان بن الرومي قد مدحه بقصيدة نونية
طويلة أولها

(بسيط)

اجنت لك الوصل أغصان وكشبان فيمن نواعان تفاح ورمز
غصون بان عليها الدهر فأكبة وما أنوا كه مما يحمل البان
فسمى الناس هذه القصيدة در البطيخ اكثر من ذكرا نوا كه
وكان الموضع الذي تباع فيه النوا كه يسمى در البطيخ . ومن جهة هذه
القصيدة

قالوا أبو الصقر من شيان قلت لهم كلا امرئ ولكن منه شيان
كم من أب قد علا بان له شرف كما علا برسول الله عدنان
فلما سمع أبو الصقر قوله قالوا أبو الصقر من شيان قلت لهم كلا .
ظن أن بن الرومي مدحاه بهد بطناً وأنه عرض بأنه دعي وشبهه على بن
الصقر الأمر فاستحكم ضمه وأعرض عنه . وتوصل بن الرومي إلى إفهامه صورة
حال فم يشبه في ذات قول قائل وقبل له بسبحان لله فانظر إلى البيت الثاني
وحسن معناه فانه معني مخترع . مدح احد بمثابة قبلات فلم يصغ وحزم بن
بن الرومي هجاء وحرمه هجاء بن الرومي وأخفش في هجائه فما هجاء به

قوله

(خفيف)

عجب الناس من أبي الصقر اذو لي بعد الاجارة الديوانا
ان للحظ كيمياء اذا ما مس كلبا أصاره انساناً

وقوله

(سريع)

مهلاً أبا الصقر فكم طائر خر صريعاً بعد تحليق
زوجت نعمي لم تكن كفؤها فصانها الله بتطليق
لا قدست نعمي تسربلتها كم حجة فيها لزديق

ومن غريب قوله فيه

(بسيط)

ما بال فرخ أبوه بلبل ربح يكنى أبا الصقر يا أهل الدواوين
عروه من كنية ليست نليق به يدعي أبا الصقر من كان ابن شاهين
وقبض عليه المعتمد وحبسه وعاقبه ثم قتله في محبسه واستصفي أمواله
واعلم ان هؤلاء وزراء المعتمد كالسن بن مخلد . وسليمان بن وهب . وأبي العسر
ابن بلبل تولوا الوزارة وعزلوا مراراً مرتين وثلاثة

﴿ وزارة أحمد بن صالح بن شیرزاد القطربلي للمعتمد ﴾

استوزره الموفق لأخيه المعتمد . وكان أحمد كاتباً بايعاً فاضلاً عارفاً بما
يلزم . مثله . معرفته مجيداً في النظم والنثر . وصف أحمد امرأة كاتبة . فقال كان
خطها حسن صورتها وكان مدادها سواد شعرها وكان قرطاسها أديم وجهها
وكان قلبها بعض أناملها . وكان يانها سحر مقلتها . وكان سكينها غنج لحظها
وكان مقطها قلب عاشقها . ومكث أحمد بن شیرزاد في وزارته نحواً من
شهر ثم مرض ومات . وذلك في سنة ست وستين ومائتين

﴿ وزارة عبيد الله بن سليمان بن وهب للمعتمد ﴾

كان عبيد الله بن سليمان من كبار الوزراء ومشايخ الكتاب . وكان بارعا في صناعته حاذفا ماهرا ابيًا جليلا . مات له معتضد جارية كان يحبها فجزع عليها فقال له عبيد الله بن سليمان مثلك يا أمير المؤمنين تهون المصائب عليه لانك تجد من كل مفقود عوضا ولا يجد أحد منك عوضا . وكان الشاعر عنك

بقوله

(بسيط)

يبكي علينا ولا نبكي على أحد لنحن أغلظ الباءاً من الابل

(بسيط)

وف عبيد الله بن سليمان بقول الشاعر

إذا أبو قاسم جادت يدها لنا لم يحمد الاجوادن البحر والمطر
وان مضى رأيه أو حد غزمته تأخر الماضيان السيف والقدر
وإن أضاعت لنا أضواء غرته تضائل النيران الشمس والقمر
من لم يبت حذراً من حد صولته لم يدرك ما المزعجان الخوف والحذر
بئال باظن ما يعي العيان له والشاهدن عليه العين والاثر
ومات عبيد الله في سنة ثمان وثمانين ومائتين . انتقضت أيام

المعتمد ووزرائه

ثم ملك بعده المعتضد بن خيه .

هو أبو العباس أحمد بن الموفق طاحه بن المتوكل . بويع سنة تسع

وسبعين ومائتين

كان المعتضد شهيداً عافلاً فاضلاً حمدت سيرته . وولى الدنيا خرب والثغور . دولة فقام قياماً مرضياً حتى عمرت مملكته وكثرت الاموال وضبطت الثغور . وكان قوى السياسة شديداً على أهل الفساد حاسماً المواد أطاع عساكره من أذى الرعية محسناً الى بني عمه من آل أبي طالب . وكانت أيامه أيام فتوق

وخوارج كثيرين منهم عمرو بن لبيث الصنار . كان قد عظم شأنه ونغم أمره
واستولى على أكثر بلاد العجم . وكان يقول لو شئت أن أعقد على نهر
باص جسرًا من ذهب لفعلت . وكانه طبعه يحمل على ستمائة جمل قالت عاقبته
إلى القيد ولا سرو لذل . فقام المعتضد في إصلاح المتشعب من مملكته والعدل
في رعيته حتى مات وفي الخزن بضعة عشر الف الف دينار الالف مكررة
مئتين . ومات سنة تسع وثمانين ومائتين

شرح الوزارة في أيامه .

أقر عبيد الله بن سليمان على وزارته . وقد مضى نبذة من أخباره . فإ
مات عبيد الله عزله المعتضد على أن يستأصل شأنة أولاده ويستنصف أموالهم
فخسر القسم بن عبيد الله واستعان ببدر المعتضدي وكتب خطأ بألف الف
دينار فاستوزره المعتضد

وزارة القسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب .

كان القسم بن عبيد الله من دهاء العالم ومن أفاضل الوزراء . وكان شهيداً
فاضلاً إيماناً محصلاً كريماً . وكان يطعن في دينه وهو الذي قتل
بن الرومي باسمه . وكان ابن الرومي منقطعاً إليهم بمدحهم وكانوا يقصرون في
حقه في بعض الأوقات فجهل وكان هجاء . وفي بني وهب يقول ابن المعتز

(طويل)

لأن سليمان بن وهب صنائع لدى ومعروف إلى تقدمه
ثم ذلوا إلى الدهر بعد شماسه وهم غسلا من ثوب والدي الدما

(بسيط)

وفي هجاءهم يقول بعض الشعراء إذ رأيت بني وهب بمنزلة
ما ندرأيهم لا شيء من الذكر

قص أئام ينقد من قبل وقص ذكر منهم تقدم من دبر
ومات المعتضد وهو وزيره : انقضت أيام المعتضد ووزرائه
ثم ملك بعده ابنه المكتفي بالله .

هو أبو محمد علي بن المعتضد . بويع في سنة تسع وثمانين ومائتين
كان المكتفي من أفاضل الخفاء هو الذي بنى المسجد الجامع بالرحبة
بغداد . وفي أيام المكتفي ظهر القرامطة وهم قوم من الخوارج خرجوا
وقطعوا الدرب على الحاج واستأصلوا شأقهم وقتلوا فيهم مقتلة عظيمة وسرح
المكتفي إليهم جيوشاً كثيرة فأوقع بهم وقتل بعض زعمائهم
والمكتفي هو الذي بنى التاج بالدار الشاطئية ببغداد . وكانت وفاة المكتفي
سنة خمس وتسعين ومائتين .

شرح حال لوزرة في أيامه .

لما مات المعتضد كان المكتفي بالرقعة فقام الوزير القسم بن عبيد الله
أخذ البيعة للمكتفي القيام المرضي . وكتب إليه يعلمه ذلك . ووجه إليه بالبردة
والقضيبي . فجاء المكتفي إلى بغداد وأقره على لوزرة ولقبه ألقاباً وجل أمر
القسم في أيام المكتفي وعظم شأنه . فلما أدركته الوفاة أشار على المكتفي بالعباس
بن الحسن فاستوزره .

وزرة العباس بن الحسن .

قال الصولي من أعجب ما شهدت من تقلب الدنيا وتصارييف الامور
تتى رأيت العباس بن الحسن في أول لاربعاء قبل أن يموت الوزير القسم
بن عبيد الله وقد حضر لي دره وقبل بد ولده . ثم في آخر اليوم المذكور
مات القسم وخلع المكتفي على العباس بن الحسن واستوزره . فجاء ولد الوزير

القسم بن عبيد لله فقبل يده

كان العباس بن الحسن ذا ذهاء ومكر وأدب وافر . وكان ضعيفاً في الحساب ولم تكن سيرته محمودة . وكان عاكفاً على لذاته والامور هائلة . وكان يقول انوبه بالأعمال أنا أوقع اليكم وتم افعلوا ما فيه المصلحة . ولم تزل الامور تضطرب في أيامه حتى وثب عليه حسين بن حمدان وجماعة من الجند فقتلوه وذلك في أيام المقتدر . نقضت أيام المكتفي ووزرائه ثم ملك بعده المقتدر بالله

هو ابو الفضل جعفر بن المنصور بويعل بالخلافة في سنة خمس وتسعين ومائتين وعمره ثلاث عشرة سنة

وكان المقتدر سمحاً كريماً كثير الانفاق . رد رسوم الخلافة من التجميل وسعة الادارات . والمعاش وكثرة الخلع والصلوات . كان في داره احد عشر الف خادم خصى من الروم والسودان وكانت خزانة الجوهر في أيامه مترعة بالجواهر النفيسة . فمن جملتها النص الياقوت الذي اشتراه الرشيد بثلاثمائة الف دينار والدرة اليتيمة التي كان وزنها ثلاثة مثاقيل الى غير ذلك من الجواهر النفيسة فترقه جميعه وأثمنه في أسير مدة في أيامه قتل الحلاج (شرح حال في ذلك)

كان الحلاج واسمه الحسين بن منصور ويكنى أبا الفيث . أصله مجوسى من أهل فارس ونشأ بواسط وقيل بتستر وخالط الصوفية وتلمذ لسبل التستري . ثم قدم بغداد ولقى أبا القسم الجنيدى . وكان الحلاج خاطباً بلبس الصوف والمسوح تارة . والثياب المصبغة تارة . والعامة الكبيرة ولدراعة تارة . والقباء وزى الجند تارة . وطاف بالبلاد ثم قدم في آخر الامر بغداد وبني بها داراً

و اختلفت آراء الناس واعتقاداتهم فيه وظهر منه تخطيط وتقل من مذهب
 الى مذهب واستنوى العامة بمخاريق كان يعتمدوها منها انه كان يحفر في بعض
 فوارع الطرقات موضعا ويضع فيه زفا فيه ماء ثم يحفر في موضع آخر ويضع
 فيه طعاما ثم يمر بذلك الموضع ومعه أصحابه فيحناجون هناك الى ماء يشربونه
 ويتوضؤون به فيأتي هو الى ذلك الموضع الذي قد خزره وينش فيه بعكاز
 فيخرج الماء فيشربون ويتوضؤون ثم يفعل كذلك في الموضع الآخر عند
 جوعهم فيخرج الطعام من بطن الارض . يوههم ان ذلك من كرامات الاولياء
 وكذلك كان يصنع بالنواكه يدخرها ويحفظها ويخرجها في غير وقتها فشعف
 الناس به . وتكلم بكلام الصوفية . وكان يخلطه بما لا يجوز ذكره من الحلول المحض
 وله اشعار فيها (هزج)

حياتي غير منسوب	الى شيء من حيف
سقاني مثما يشرب	ب فعل اضعيف بالضعيف
فلما دارت الكأس	دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الروح	مع التنين في الصيف

وكثر شعف الناس به وميلهم اليه حتى كانت العامة تستشف ببوله . وكان
 يقول لاصحابه ائتني موسى وعيسى ومحمد وادم لتقات ارواحهم اليكم فلما نفي
 هذا الزناد منه تقدم المقتدر الى وزيره حامد بن العباس باحضاره ومناخرته
 فأحضره الوزير وجمع له القضاة والأئمة ونوذر فاعترف بأشياء أوجبت قتله
 فضرب الف سوط على أن يموت فمات فقطعت يده ورجلاه وحز رأسه
 وأحرقت جثته وقال لاصحابه عند قتله لا يهوانكم هذا فاني أعود اليكم بعد
 شهر * قالوا وأنشد قبل قتله (وافر)

طلبت المستقر بكل أرض فلم أرلى بأرض مستقرًا
أطمت مطامعي فاستعبدتني ولو أنى فقتلت لكنت حرًا

وذلك في سنة تسع وثلاثمائة وقبره ببغداد بالجانب الغربي قريب من
مشهد معروف بالكرخي رضى الله عنه وفي تلك الأيام اقتلع القرامطة
الحجر الأسود ومكث في أيديهم أكثر من عشرين سنة حتى رد على يد
الشريف يحيى بن الحسين بن أحمد بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام . واعلم ان دولة المقتدر
كانت دولة ذات تخطيط كثير لصغر سنه ولاستيلاء أمه ونسائه وخده عليه
فكانت دولته تدور أمورها على تدبير النساء ولخدمه وهو مشغول بلذته
فخرت لذيها في أيامه وخلت بيوت لأموال وخلفت الكامة فخلع ثم أعيد
ثم قتل وفي تلك الأيام نبعت الدولة الفاطمية بالمغرب

شرح حال الدولة العلوية وابتدائها ونهايتها على سبيل الاختصار
هذه دولة اتسعت أكناف مملكتها وطالت مدتها فكان ابتداءها حين
ظهر المهدي بالمغرب في سنة ست وتسعين ومائتين وانتهائها في سنة سبع
وستين وخمس مائة . وكادت هذه الدولة أن تملك ملكاً عاملاً وان تدين الأمم
لها . وإليها أشار لرضي الموسوي قدس الله روحه بقوله (خفيف)

ما مقامى على لمون وعندي مقول قاطع وأنف حمى
وإباء محلق بى عن الضيم كما زرع طائر وحشى
أحمل الضيم في بلاد لا عادي وبمصر خليفة العلوى
من أبودأبى ومولاد مولاى ذى ضامنى البعيد القصى
ألف عرق بعرقه سيد الناس جميعاً محمد وعلى

ان ذلّ بذلك الجو عزّ وأوامي بذلك الربع رى

شرح ابتداء هذه الدولة

أول خلفائهم المهدي بالله وهو أبو محمد عبيد لله بن أحمد بن اسمعيل الثالث ابن أحمد بن اسمعيل الثاني ابن محمد بن اسمعيل الأعرج بن جعفر الصادق عليهم السلام. وقد روى نسبهم على صورة أخرى وفيه اختلاف كثير. والصحيح أنهم علويون اسماعيليون صحيحوا الاتصال. وهذه الصورة التي أوردتها هاهنا هي المعول عليها وبها خطوط مشايخ النساين

وكان المهدي من رجال بني هاشم في عصره * قيل انه ولد ببغداد سنة ستين ومائتين. وقيل ولد بسلمية. ثم وصل الى مصر في زى التجار وأظهر مره بالمغرب ودعا الناس الى نفسه فمالو اليه وتبعه خلق كثيرون وسلمو عليه بالخلافة وقويت شوكته وعظم حاله. ثم انفصل الى رض القيرون وبني مدينة سماها المهديّة واستقر بها وملك فريقية وبلاد المغرب وثلث النوحى جميعها. ثم ملك الاسكندرية وجي خراجها وخراج بعض الصعيد. وتوفى سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة ثم تسلم الخلافة منه واحد بعد واحد حتى انتهت النوبة الى العاضد آخر خلفائهم. وهو أبو محمد عبد لله بن لامير يوسف بن حافظ لدين لله

(شرح نهباها)

بويج العاضد في سنة خمس وخمسين وخمس مائة وهو طفل. فقام بأمر دولته لامراء ولوزراء حتى توجه أسد لدين شيركود عم صلاح لدين يوسف بن أيوب الى مصر لما ظهر من اختلال احوال لدولة لصغر الخليفة وختلاف آراء وزرائه ومرائه. وسار صلاح لدين مع عمه اسد الدين شيركود

كارها فلم تطل مدة سد الدين شيركوه فمات فاستولى صلاح الدين على المملكة واستوزره العاضد وخلع عليه خلع الوزارة في سنة أربع وستين وخمس مائة. وتمكن صلاح الدين من الدولة وقدم عليه اهله فأقطعهم الاقطاعات السنية وأزال يدي أصحاب العاضد وتفرّد بالحكم ومرض العاضد وتطاوت امراضه. ثم مات في سنة سبع وستين وخمس مائة واحجم الناس فيمن يدعى له بالخلافة على المنابر

فلما كان يوم الجمعة صعد رجل اعجمي الى المنبر وخطب وذكر خليفة المستضيء فلم ينكر أحد عليه وستر الحال في مصر بالخطبة للعباسيين وانقرضت دولة الفاطميين منها واستقل صلاح الدين يوسف بن أيوب بملك مصر من غير منازع وحبس من كان تخلف من أقرب العاضد وقبض على الخزان والاموال. ومن جملتها جبل الباقوت وزنه ستة عشر مثقالا. قال بن الأثير المؤرخ أنا رأيته ووزنته ومن جملتها نصاب زمرّد ضوله أربع أصابع في عرض عقد. ووجدوا طبلا بالقرب من موضع العاضد فظنوه عمل للعب فسخروا من العاضد فضربه إنسان فضرط ثم ضرب به آخر فجرى له كما جرى لصاحبه فصار كل من ضربه ضرط فأفاد أحدهم من يده فكسره وإذا الطبل قد عمل لاجل القوانج فندمو على كسره. وكان ذلك في أيام الخليفة المستضيء من بني العباس فوردت البشائر اليه بفتح مصر وباقامة الخطبة له بها فأظهر السرور ببغداد وهناك الشعراء وأرسل المستضيء نقييد الساطنة الى صلاح الدين بالتفويض والتحكيم فسبحان من يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء

رجعنا الى تمة خلافة المقتدر

وخلع المقتدر وبويع عبد الله بن المعتز فكث يوما واحدا في الخلافة

ثم استظهر المقتدر عليه فأخذه وقتله ولم يعد عبد الله بن المعتز في الخلفاء
 انصر الزمان الذي تولى فيه : وجرت بين المقتدر وبين مؤنس المظفر أمير
 لجيوش منافرة أدت الى حرب قتل فيها المقتدر وقطع رأسه وحمل الى بين
 يدي مؤنس المظفر ومكثت جثته مرمية على قارعة الطريق فيقال انه اجناز
 به رجل شوكة فأرى سوءه بادية فألقى عليها حزمة شوك فغطاها بها . وذلك
 في سنة عشرين وثلاثمائة

شرح حال الوزارة في أيامه

لما جلس المقتدر على سرير الخلافة أقر العباس بن الحسن وزير أخيه
 لمكتفى على وزرته فلما قتل العباس بن الحسن وجرت الفتنة بين المقتدر
 وبين عبد الله بن المعتز واستظهر المقتدر أحضر بن القرات واستوزره
 . وزرته ابن القرات .

قال الصولي هـ من حريفيين من أعمال دجيل قال وبنو القرات من
 أجل الناس فضلا وكرما ونبلا ووفاء ومروءة . وكان هذا أبو الحسن علي بن
 القرات من أجل الناس وأعظمهم كرمًا وجودًا . وكانت أيامه موسما للناس
 وكان المقتدر لما جرت له الفتنة وخلع وبويع ابن المعتز ثم استظهر المقتدر
 عليه واستقرت الخلافة للمقتدر راسل الى أبي الحسن علي بن القرات فأحضره
 واستوزره وخلع عليه فنهض بتسكين الفتنة أحسن نهوض ودبر الدولة في
 يوم واحد وقرر القواعد وسأل الناس ولم يبت تلك ليلة لا والأموار
 مستقيمة للمقتدر وأحوال دولته قد تمتدت وفي ذلك يقول بعض شعراء
 لدولة المقتدرية

(متقارب)

ودبرت في ساعة دولة تميل بغيرك في أشهر

وتولى ابن الفرت الوزارة ثلاث دفعات للمقتدر قالوا كان اذا ولى بن
الفرات الوزارة يغلو الشمع والثلج والكاغد لكثرة استعماله لذلك لانه ما كان
يشرب أحد كائناً من كان في داره في الفصول الثلاثة لا الماء المثلوج ولا
كان أحد يخرج من عنده بعد المغرب الا وبين يديه شمعة كبيرة نقية صغيراً
كان أو كبيراً وكان في داره حجرة معروفة بحجرة الكاغد كل من دخل
واحاج الى شيء من الكاغد أخذ حاجته منها

حدث عنه أنه قال ما رأيت أحداً يباني من أرباب الخوانج الا كان
اهتمامي بالاحسان اليه أشد من اهتمامه قال . وكان قبل الوزارة يجعل جلساته
وندمائه مخاد يتكثرون عليها فلما ولى الوزارة لم يحضر الفراسون للندماء والجلساء
لكل المخاد فأنكر ذلك عليهم وأمر باحضار المخاد وقال لا يراني الله يرتفع
شأني بخط منزلة أصحابي . ولما جرت فتنه ابن المعتز وستظهر المقتدر واستوزر
أبا حسن بن الفرت أحضرت الى بن الفرت رقع من جماعة أرباب الدولة
تنطق بميلهم الى ابن المعتز ونحو فيه عن المقتدر فأشار عليه بعض الحاضرين
بان يفتحها ويطلعها ليعرف بها العدو من الصديق فأمر ابن الفرات باحضار
الكانون وفيه نار فلما أحضر جعل تلك الرقع فيه بمحضر من الناس ولم يقف
على شيء منها وقال للحاضرين هذه رقع أرباب الدولة فلو وقفنا عليها تغيرت
نياتنا لهم ونياتهم لنا فان عافيناهم أهلكنا رجال الدولة . وكان في ذلك أتم الوهن
على المملكة ونزول تركناهم كنا قد تركناهم ونياتهم متغيرة . وكذلك نياتنا فلا
نمنع بهم وما زال بن الفرت ينقل في الوزارة الى المرة الثالثة فقبض عليه
وقتل وذلك في سنة ثلثي عشره وثلاثمائة

هو أبو علي محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان . لما قبض المقتدر على ابن
الفرات في المرة الاولى أحضره . وكان خائفاً من ابن الفرات فطيب قلبه
واستوزره وخلع عليه خلع الوزارة

كان الخاقاني سبي السيرة والتدبير كثير التولية والعزل . قيل انه ولى في
يوم واحد تسعة عشر ناظراً للكوفة وأخذ من كل واحد رشوة فأنحدر واحد
واحد حتى اجتمعوا جميعهم في بعض الطريق فقالوا كيف نصنع فقال احدهم
إن أردتم النصفة فينبغي أن ينحدر الى الكوفة آخرنا عهداً بالوزير فهو الذي
ولايته صحيحة لأنه لم يأت بعده أحد فاتفقوا على ذلك فتوجه الرجل الذي
جاء في الاخير نحو الكوفة وعاد الباقيون الى الوزير فقرقهم في عدة أعمال
* وهجاه الشعراء . فما قيل فيه

(خفيف)

للدواوين مذوليت عويل	ولمال الجراح سقم طويل
يتلقى الخطوب حين ألت	منك رأى غث وعقل ضئيل
ان سمتم من الحبابة والجو	رفلاً ارتقاع جسم نحيل
ومما قيل فيه	(وافر)

وزير لا يمل من الرقاعه	يولى ثم يعزل بعد ساعه
ويدنى من تعجل منه مال	ويبعد من توسل بالشفاعه
إذا أهل الرشا صاروا اليه	فأحظى القوم أوفرهم بضاعه

وقبض المقتدر عليه وحبسه واستوزر على بن عيسى بن الجراح

* وزارة على بن عيسى للمقتدر *

كان على بن عيسى شيخاً من شيوخ الكتاب فاضلاً ديناً ورعاً متهرباً
متورعاً . قال الصولي وما أعلم انه وزر لبني العباس وزير يشبه على بن عيسى

في زهده وعفته وحفظه للقرآن وعلمه بمعايه وكتابته وحسابه وصدقاته ومبراته * قالوا كان دخل علي بن عيسى من ضياعه في كل سنة نيفا وثمانين ألف دينار ينفق نصفها على الفقراء والضعفاء ونصفها على نفسه وعلى عياله وأصحابه ونهض بأمور الوزارة وضبط لدواوين والأعمال وقرر القواعد وكانت أيامه أحسن أيام وزير * قالوا ما كان يعاب علي بن عيسى بشيء أكثر من قولهم إنه كان ينظر كثيراً في جزئيات الأمور فربما شغلته عن الكليات ولما ولي الوزارة فشت صدقاته ومبراته ووقف وقوفا كثيرة من ضياع السلطان وأفرد لها ديواناً سماه ديوان البر . جعل حاصله لأصلاح الثغور وللحرمين الشريفين . وكان يجلس لرد المظالم من الفجر إلى العصر واقتصر على أقل الطعام وأحسن الملبوس . وولي الوزارة للمقتدر مراراً كان هو وأبو الحسن علي بن الفرات يتناوبان الوزارة مرة هذا ومرة ذاك

✽ وزارة حامد بن العباس ✽

كان حامد يتولى دائماً أعمال السواد ولم يكن له خبرة بأعمال الحضرة وكان كريماً مفضلاً متجعلاً جميل الحاشية رئيساً في نفسه غزير المروءة قاسي القلب في استخراج المال قليل الثبوت سريع الطيش والحدة إلا أن كرمه كان يعطى على ذلك

حدث عنه أنه دخل مرة إلى دار المقتدر فطلب منه بعض خواص الخليفة شعيراً لدوبه فأخذ لدوبه ووقع له بمائة كر . فقال له آخر من الخواص أنا أيضاً محتاج إلى عقيق لدوبى فوقع له بمائة كر وما زال يطلب منه واحد واحد من خواص الخليفة وهو يوقع حتى فرق ألف كر في ساعة واحدة . ولما عرف المقتدر قلة فهم حامد وقلة خبرته بأمور الوزارة أخرج إليه علي بن

عيسى بن الجراح من الحبس وضمه اليه وجعله كالنائب له فكان علي بن عيسى
 خبرته هو الاصل . فكل ما يعقد يعقد وكل ما يحل يحل . وكان اسم الوزارة
 لحامد وحقيقتها علي بن عيسى حتى قل بعض الشعراء (كامل)

قل لابن عيسى قولة يرضى به ابن مجاهد
 أنت الوزير وانت سخرت بلحية حامد
 جعلوه عندك سترة اصلاح أمر فاسد
 مهما شككت فقل له لكم واحداً في واحد

وكان حامد يلبس السواد ويجلس في دست الوزارة وعلي بن عيسى
 يجلس بين يديه كالنائب وليس عليه سواد ولا شيء من زي الوزراء لا أنه
 هو الوزير على الحقيقة فقال بعض الشعراء (منسرح)

أعجب من كل ما رأينا أن وزيرين في بلاد
 هذا سود بلا وزير وذا وزير بلا سود

ثم عزل حامد واستوزر المقتدر بعدد علي بن النضر وسلمه اليه
 فقتله سراً

وزارة أبي القسم عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خافان
 ماتطل أيامه . ولم تكن له سيرة توثق وتسطر . واختلت لامور عليه
 فصور وعزل . ثم توفى سنة اثني عشرة وثلاث مئة

وزارة أبي العباس أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن حُصيب المقتدر
 كان صالح الأدب جيد العقل مليح الخط بليغاً يذاكر بجميل الاخبار
 والاشعار . كان السبب في ولايته أمراً عجيباً وهو أن أبا العباس المذكور كان
 يلاطف أصحاب المقتدر ويتودد اليهم ويهاديهم وكانوا يحبونه ويتعصبون له

دائماً ويصفونه عند المقتدر فاتفق أن حصل فتق من القتوف ببعض الجهات
 فجهز المقتدر جيشاً وأرسله صحبة بعض أمرئه إلى تلك الجهة . ثم كان المقتدر
 شديد التطلع إلى أخبار هذا الجيش فأرسل ابن الحصيب طيوراً صحبة بعض
 ثقائه مع الجيش . وقال لصاحبه سرّ كل يوم طيوراً وعليها الأخبار ساعة
 فساعة . فكانت ترد الأخبار على الطيور إلى أحمد بن عبيد الله بن الحصيب
 فيعرضها على المقتدر ساعة بعد ساعة حتى أن المقتدر لم يفته من أمر الجيش
 شيء فتعجب المقتدر من ذلك . وقال من أين يعلم أحمد بن الحصيب أخبار
 هذا الجيش فعرف الصورة . وقيل له من تسموهمته إلى مثل هذا وليس له
 تعلق بهذه القضية فكيف يكون جده واجتهاده إذا صار وزيراً فاستوزره
 قالوا وكان أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن الحصيب عفيفاً متورعاً عن
 مال السلطان والرعية مجانباً للخيانة محافظاً على الأمانة ثم ضعف أمره وانحرفت
 عنه السيدة أم المقتدر . وكان كاتبها قبل الوزارة فعزل وقبضت أمواله . وذلك في
 سنة أربع عشرة وثلاثمائة

وزرة أبي علي محمد بن علي بن مقلة للمقتدر

هو صاحب الخط حسن المشهور الذي تضرب بحسنه الامثال . وهو
 أول من استخرج هذا الخط ونقله من الوضع الكوفي إلى هذا الوضع وتبعه
 بعده ابن البواب . كان في ابتداء أمره يخدم في بعض الدواوين في كل شهر
 بستة دنائير . ثم انه تعلق بأبي الحسن بن القرت وزير وختن به . وكان
 ابن القرت كالبحر سماحاً وجوداً فرفع من قدره وأعلى من شأنه فكش بين
 يديه يعرض عليه رقاعاً في مهات الناس وينفع بسبب ذلك . وكان ابن القرات
 يأمره بالتحصيل من هذه الجهة إشاراً لنفعه فما زال على ذلك حتى علت حاله

وكثر ماله . ولما ولي ابن القرات الوزارة الثانية تمكن ابن مقلة في دولته
ونبت حاله وعرض جاهه . ثم ان الشيطان نزع بينه وبين أبي الحسن على
بن القرات فاستوحش كل منهما من صاحبه فكفر ابن مقلة إحسان ابن
القرات ودخل في جملة أعدائه والسعاة عليه حتى جرت النكبة على ابن القرات
فلما رجع ابن القرات الى الوزارة قبض عليه وصادره على مائة الف دينار
دتها عنه زوجته . وكانت ذات مال طائل وكانت لابن مقلة يد طولى في
الكتابة والانشاء وكانت توقعاته غير مضمومة في فنها وله شعر منه

(سريع)

جربني الدهر على صرفه فيه آخر عند التصاريف

ألفت يوميه وياربما يؤلف شيء غير مألوف

حدث ابو عبد الله أحمد بن اسماعيل المعروف بزنجي كاتب ابن القرات
قال لما نكب ابن مقلة وحبس لم أدخل اليه في محبسه ولا كاتبته ولا توجهت
له على ما بيني وبينه من المودة والصدقة خوفا من ابن القرات . فلما طالت
به المحنة كتب الى رقة فيها

(طويل)

تري حرمت كتب لا خلاء بينهم أبني أم القرطاس أصبح غاليا

فما كان لو سألنا كيف حالنا وقد دهمتنا نكبة هي ما هيا

صديقك من راعاك في كل شدة وكلا ترد في لرشاء مرعيا

فميك عدوى لا صديق فاني رأيت لاعادي يرحمون لاعاديا

ومن شعره ما كتب به الى ولده وقد مرض

أفك ربك صحة وسلامة ووقاك بي من طارق الاهواء

ذكرت شكاكك لي وكأسي في يدي فزجتها دمعى مكان الماء

(اكامل)

ومن شعره (خفيف)

لست ذا ذلة ذا غضى لدهسر ولا شاح إذا واتانى
أنا نار في مرتقى نفس حـ سد ماء جار مع لاخوان
ستوزره المقدر وخلع عليه خلع الوزارة في سنة ست عشرة و
واستقل بأعباء الوزارة أمراً ونهياً وبذل فيها ما مبلغه خمس مائة ألف
ثم عزل وقبض عليه ثم أعيد . وما زال تتقلب به الأحوال حتى ستوزره
الراضى . ثم جرت خطوب أوجبت أن الراضى حبسه بداره وضيق عليه
وسعى به أعداؤه إلى الرضى وخوفوه من غائلته ففقطع يده اليمنى ومكث في
الحبس مدة مقطوع اليد . وكان ينوح على يده ويقول يد كتبت بها كذا وكذا
مصحفاً وكذا وكذا حديثاً من أحاديث لرسول صلى الله عليه وآله وسب
ووقعت إلى شرق لارض وغربها تقطع كما تقطع أيدي الصوص

ومن شعره يشير إلى قطع يده (خفيف)

ما مللت الحياة لكن توثقت بأيمانهم فبانت يمينى
ثم أحسنت ما استطعت بجهدى حفظ أروحهم فما حفظونى
ليس بعد اليمين لذة عيش يا حياى بانت يمينى فبينى
وفى ذلك يقول بعض الشعراء (طويل)

لئن فطموا حدى يديه مخافة لا قلامه لا لاسيوف الصواره
فما قطعوا رأياً ذا ما أجاه رأيت الردى بين لها والغلاصه
ولما قطع الرضى يد بن مقلة كتب باليسار مثلما كان يكتب باليمين .
ثم شد على يده المقطوعة قلماً وكتب بها فلم يفرق بين خطه قبل قطعها وبعده
ومن الاتفاقات العجيبة نه تولى لوزرة ثلاث دفعات وسافر ثلاث

دفعات ودفن ثلاث دفعات دفن بدار الخليفة لما قتل بها . وذلك بعد قطع
يده بمديدة . ثم سأل أهله تسليمه اليهم فنبش وسلم اليهم فدفنوه . ثم طلبته
زوجته فنبشته ودفنته بدارها

✽ وزارة أبي القسم سليمان بن الحسن بن محمد للمقتدر ✽
لم يكن له سيرة تؤثر وتروى ولم يكن من ذوى اللب . وانما نال ما نال
بجد والبخت

قيل انه دخل مرة على القسم بن عبيد الله وزير المعتضد والمكتفي
فرحب به الوزير وأقبل عليه بوجهه وأكرمه أكراماً خارجاً عن العادة
لأمثاله فسئل الوزير عن سبب ذلك . فقال رأيت في منامى كأن على رأسي
قلنسوة . وقد أخذها هذا وجعلها على رأسه ولا بد أن هذا القتي بلى الوزارة
فكان كما قال ولم تحمد سيرته في وزارته

وكان المقتدر لما عزل ابن مقلة استشار على بن عيسى بن الجراح فيمن
ستوزره فأشار عليه بهذا فاستوزره في سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة ثم قبض
عليه واستوزر الكلوذاني

✽ وزارة أبي القسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني للمقتدر ✽
لم تطل أيامه ولم يتمكن مما أراد وكثرت المصادرات في أيامه وشغب
جند عليه وشتمود ورجمود وهو في السفينة . خلفه لا يدخل بعد ذلك في
لوزارة وانقطع بداره وأغلق بابها فكانت وزارته مدة شهرين

✽ وزارة الحسين بن القسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب للمقتدر ✽
كان يقال له أبو الجمل قيل نه أعرق الناس في لوزرة . هو وزير
المقتدر . وأبوه القاسم وزير المعتضد والمكتفي . وجدده عبيد الله وزير المعتضد

وأبو جده سليمان بن وهب وزير المهدي وفي ذلك يقول الشاعر له

(رمل)

يا وزير بن وزير بسن وزير بن وزير

نسقا كالدر اذ نظم في عقد النحور

لم يكن الحسين بن القاسم بارعا في صناعته ولا شكرت سيرته في وزارته
ولم تطل له المدة حتى عجز واختلت الاحوال عليه مدحه عبيد الله بن عبد الله
ابن طاهر بقوله

(خفيف)

ان اكن مهديالك الشعر اني لابن بيت تهدي له الاشعار

غير اني اراك من اهل بيت ماعلى المرء ان يسودوه عار

وهجاه جحظة بقوله (وافر)

اذا كان الوزير ابا الجمال ومحتسب البلاد الدانيالى

فعد عن البلاد فغن قليل ترى الايام فى صور الليالى

نقضت بهجة الدنيا وولت واذن كل شىء بارتحال

ولما ظهر للمقتدر نقصه وعجزه قبض عليه وصادره . ثم بقى الى ايام
الراضى وأبعد عن العراق . فلما تولى ابن مقله الوزارة تقدم بقله وأرسل اليه
من قطع رأسه وحمل رأسه الى دار خلافة فى سفسط فجعل السفسط فى الخزانة
وكانت لهم عادة بمثل ذلك .

حدث أنه لما وقعت الفتنة ببغداد فى أيام المنقأ أخرج من الخزانة سفسط
فيه يد مقطوعة ورأس مقطوع وعلى اليد رقعة ملصقة عليها مكتوب هذه
اليدي ابى على بن مقله وهذا الرأس رأس الحسين بن القاسم وهبذه اليد
هى التى وقعت بقطع هذا الرأس فعجب الناس من ذلك

« وزارة أبي الفضل جعفر بن القزويني »

لم تطل أيامه ولم تكن له سيرة مأثورة وقتل المقتدر وهو وزيره فاستتر
نقضت أيام المقتدر ووزرته

« ثم ملك بعده أخوه القاهر »

هو أبو منصور محمد بن المعتضد * بويغ سنة عشرين وثلاثمائة
وكان مهيئاً مقدماً على سفك الدماء هوجحاً جمع لأمول رديء
السياسة صادر جماعة من أمهات أولاد المقتدر وصادر أم المقتدر فعلقها برجل
واحدة منكسة الرأس وعذبها بصنوف عظيمة من الضرب ولاهانة
وستخرج منها مائة وثلاثين ألف دينار وبقيت بعد ذلك أياماً قليلة ومات حزناً
على ولدها ومما جرى عليها من العذاب

وفي سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة خلع القاهر

وكان سبب ذلك أن وزيره ابن مقله كان قد استتر خوفاً منه فكان
يفسد عليه قلوب الجند ويحذرهم منه وحسن لهم أن يهجموا عليه وخلعوه
وسملوه حتى سالت عيناه على خديه ثم حبس في دار السلطنة ومكث في
حبس مدة ثم أخرج منه عند قلب الإخوان وكان مرة يحبس ومرة يفرج
عنه يخرج يوماً ووقف بجامع المنصور يطلب الصدقة من الناس وقصد
ذات التشيع على المسكن في فرد بعض الحاشمين فنعسه من ذات وأعطاه
نفس مئة درهم ولم يجر في أيامه من الحوادث المشهورة ما يؤثر

« شرح حال الوزارة في أيامه »

ستوزر بن مقله وزير خيه وهي الوزارة الثانية وقد تقدم شرح طرف
من سيرته فلا حاجة إلى عادته ثم استوزر محمد بن القاسم بن عبد الله بن

سليمان بن وهب ولم يتمكن من لوزارة ولا طالت أيامه . ثم قبض عليه ونكبه
واتفق أن عرض له قولنج فمات بعقب ذات * انقضت أيام القاهرة ووزرائه
في تلك الأيام نبعت الدولة البويهية

* (شرح حال دولة آل بويه وبتدئها وتهيئها) .

أما نسبهم فيرتفع من بويه إلى وحد و حد من ملوك الفرس حتى يتصل
بـيهودا بن يعقوب بن سحاق بن برهيم خليل عليه السلام وكذلك إلى آدم
أبي البشر وإيسا من الديم وتم سمو بالديم لأنهم سكنوا بلاد الديم
أما بتدأوها فأنها دولة نبعت بم لا يكن في حساب الناس ولم يخطر
بعضه ببال أحد فدوخت الأمم وأذلت العالم واستولت على الخلافة . فعزلت
الخلفاء وولاهم . واستوزرت لوزراء وصرقهم . وانقادت لأحكامها أمور بلاد
العجم وأمور العرق . وأطاعهم رجال لدولة بالاتفاق . هذا بعد الضيق والفقر
والذل والمسكنة ومعاناة الحاجة ولاضطهاد فأن جدء أباشجاع بويه وأباه
وجده كانوا كآحاد الرعية الفقراء ببلاد الديم . وكان بويه صياد السمك وقد كان
معز الدولة بعد تملكه البلاد يعترف بنعمة الله تعالى ويقول كنت أحتطب
لحطب على رأسي

فكان من مبدئ دولتهم ما حدث به شربار بن رستم الديلمي . قال كان
أبو شجاع بويه في مبدئ أمره صديقاً لي فدخلت عليه يوماً وقد ماتت زوجته
أم أولاده الثلاثة الذين تملكوا البلاد وهم عمدة الدولة أبو الحسن علي وركن
لدولة أبو علي الحسن ومعز للدولة أبو حسين أحمد . وقد شدد حزب أبي
شجاع بويه على زوجته فعزيتة وسكنت فلقه ونقلته إلى منزلي وحضرت له
طعاماً وجمعت إليه أولاده الثلاثة فيندم عندي ذم بالباب شخص يقول

المنجم المعزم . مفسر المنامات . كاتب الرقي والطلسمات . فاستدعاه أبو شجاع بويه وقال له قد رأيت البارحة رؤيا ففسرها لي . رأيت كأنني أبول ويخرج من ذكري نار عظيم ثم لها استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفرجت فصارت ثلاث شعب وتولد من تلك الشعب عدة شعب فأضاءت الدنيا بتلك النيران . فقال المنجم هذا منام عظيم ولا افسره إلا بخلعة وفرس فقال له بويه والله ما أملك إلا الثياب التي على جسدي وإن أعطيتك إياها بقيت عريانا قال المنجم فعشرة دنانير فقال له بويه والله ما أملك دينارين فكيف عشرة ثم انه أعطاه شيئا يسيرا . فقال المنجم اعلم انه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون لارض ومن عليها ويعلمو ذكرهم في الآفاق كما علت تلك النار ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب المتفرقة فقال له بويه أما تستحي تسخر بنا أنا رجل فقير مطر وأولادي هؤلاء فقراء مساكين فمن أين هم والملك فقال له المنجم فأخبرني عن وقت ولادة واحد واحد من أولادك فأخبره بويه بذلك فجعل ينظر في أصطرلابه وتقويمه . ثم نهض المنجم وقبل يد عماد الدولة أبي الحسن علي وقال هذا والله الذي يملك البلاد ثم يملك هذا من بعده وقبض علي يد أخيه أبي علي الحسن فاغتاض منه أبو شجاع بويه وقال لأولاده اصفعوه فقد أفرط في السخرية بنا فصفعوه ونحن نضحك منه فقال المنجم لا بأس بهذا إذا ذكرت لي هذا الحال عند ولايتكم فأعطاه أبو شجاع عشرة دراهم وانصرف

وأما ترقى أولاد أبي شجاع بويه فانهم دخلوا في زى لاجند وانضافوا إلى العساكر وما زلوا ينتقلون في خدمة ملوك العجم من واحد إلى واحد ومن حال إلى حال حتى ارتفع حال عماد الدولة وتولى الكرج ولاد إياها

مرداويج . ثم تقبل منها الى غيرها حتى تملك قطعة من أعمال فارس . ثم عرضت
ممالكها حتى كتب الى ارضي خليفة يسأله أن يقاطعه على أعمال فارس في
كل سنة بعد الثمقات ولاطلاقات بم يحمله الى در الخلافة وهو ثمان مائة
الف الف درهم على أن يبعث خليفة اليه بخمسة الساطنة والمنشور فبعث الراضي
اليه بذلك على يد رسول رسته اليه وصادق أن لا يسلم خلعته والمنشور اليه حتى
يقبض منه المال فلما وصل الرسول اليه غاضبه وأخذ الخلعته منه فلبسها والمنشور
فقرأه على رؤس الاشهاد وقويت نفسه بذلك ووعد الرسول بالمال ودافعه
مدة . فمات الرسول عنده وتقلب الاحوال بالخلافة فكسر المال واستبد
بالامر . وكان عماد لدولة اول ملوكهم ثم ملك منهم واحد بعد واحد حتى
انقضت دولتهم

وأما نهاؤها ففي آخر أمرها ضعف حكامها وقل يتزايد ضعفها حتى
انتهت نوبة الملك الى عز لدولة بن جلال لدولة بن طاهر فخرى بينه وبين
كاي جبار حروب أفضت الى نه هرب منه وقام بشير ز . ومات في سنة إحدى
وأربعين وأربع مائة وعليه تفرض ملكهم

ثم ملك بعد القاهر بن أخيه ارضي بالله

هو أبو العباس أحمد بن المنذر بن المعتضد . بويع في سنة ثنتين
وعشرين واثلاث مائة

كان شاعراً فصيحاً ليلاً ختم الخلفاء في شب . منب . أنه آخر خليفة دون له
شعر . وآخر خليفة نفرد بتدبير الملك . وآخر خليفة خطب على منبر يوم
جمعة . وآخر خليفة جالس الندم . ووصل اليه العلماء . وآخر خليفة كانت
مرتبه وجوازه وخدمه وحجابه تجري على قواعد الخلفاء المتقدمين

وفي أيامه سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة عظم أمر مردويج باصفهان وهو رجل خرج بثلث النوحى . وقيل نه يريد أن يأخذ بغداد وينقل لدولة
 من الفرس ويهبط دولة العرب فورد خبر في أيام الرضى أن غلمان مردويج
 نفقوا عليه فقتلوه

وفي أيام الرضى ارتفع أمر ابن حسن على بن بويه
 وفي أيام الرضى ضعف أمر خلافة العباسية . فكانت فارس في يد على
 بن بويه والرى و صفهان و جبل في يد أخيه حسن بن بويه . والموصل وديار
 بكر وديار ربيعة ومضر في أيدي بني حمدن . ومصر و الشام في يد محمد بن
 طنج . ثم في أيدي القاطمين . ولأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد لاموى
 وخراسان والبلاد الشرفية في يد نصر بن حمد الساماني . وكانت وفاه الرضى
 سنة تسع وعشرين وثلاثمائة

شرح حال لوزدة في أيامه .

أول وزرائه أبو على بن مقلة . وهى لوزدة الثالثة من وزرت بن مقلة
 بدل فيها خمس مائة ألف دينار حتى استورده الرضى ثم شغب جند وجرت
 فتنة أوجبت عزله فعزله الرضى واستوزر عبد الرحمن بن عيسى بن دود بن
 جرح وقد مضى من أخبار بن مقلة ما فيه كفاية

وزرة عبد الرحمن بن عيسى بن جرح .

لم يقبض الرضى على بن مقلة . حضر على بن عيسى بن جرح وأراده
 على لوزدة قاتل و منيع و خبر لعجزه فاستشاره فممن يوليه فأشار بأخيه عبد
 الرحمن بن عيسى فأحضره وهدده لوزدة وركب و لموكب بين يديه . ثم
 ضل أيامه و ختاف لأمواله فاستغنى من لوزدة فقبض عليه ولم يكن

له سيرة تؤثر

• وزارة بني جعفر محمد بن القسم الكرخي لاراضي بالله •

لم يقبض لارضي على عبد الرحمن بن عيسى استوزر أبا جعفر محمد بن القسم الكرخي • وكان فصيهاً جداً في غاية القصر فاحتاجوا انهم قطعوا من قوائم سير خلافة ربع أصابع حتى يتمكن الكرخي الوزير من مشاورة الخليفة • وتطير الناس من ذلك وقالوا هذا مؤذن بنقض لدولة • فكان الامر كما قالوا عليه • واختلفت الاحوال وضايرت لأموالهم • فاستتر • قالوا لما ارد الاستئثار فلع رأس مزمنة وجلس فيها وأخرجت امزمنة على أنها مزمنة وهو في وسطها وما زال مستترا حتى ظهر وصودر ثم خلس

• وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد لاراضي بالله •

لم يغز الكرخي عن النهوض باعباء لوزرة واستتر أحضر الرض بالله سليمان بن الحسن بن مخلد و سنوزره وخلع عليه خلع الوزارة • ثم انه عجز عن تدبير لأموال تغاب أصحاب السيوف على المملكة • فلما رأى الخليفة لاراضي عجز وزيره سليمان بن الحسن بن مخلد أرسل الى بن رائق وهو أكبر الامراء فاستماله وسلم الامور اليه ورتبه أمير الامراء وكلنه تدبير المملكة فانضم اليه امرء العسكر وصاروا حزباً وحيداً وحضروا بين يدي الخليفة فاجلسه فوق الوزير وسند بن رائق أمير الامراء بالامور وولى النظر والعمال ورفعت المطالعات اليه ورد لحكم في جميع الامور لي نظره ولم يجر لوزير سوى الاسم من غير حكم ولا تدبير • ومن تلك الايام اضطهدت الخلافة العباسية وخرجت لامور منها وستولى الاعاجم والامراء وأرباب السيوف على لدولة وجبو الاموال وكفوا يد الخليفة وقرروا له شيئاً يسيراً

وبلغة قاصرة ووهن من يومئذ أمر الخلافة

﴿ وزارة أبي الفتح الفضل بن جعفر بن القرات للرضى بالله ﴾

لما استولى أمير الأمراء بن رائق على الأمور أشار على الرضى بالله
بن يولى لوزارة الفضل بن جعفر بن القرات ضامنه أنه يجتذب له الأموال
فأخضره الرضى وقلده الوزارة

حدث أبو الحسن بن ثابت بن سنان عن أبي خنيس بن هشام .
قال لما تقلد الفضل بن جعفر بن القرات لوزارة أقيمت بن مقلة . وكان
معزولا مستترا فقلت له يقبح بك ياسيدنا أن تتأخر عن لقاء هذا الوزير
وتهنته بوزارته . فقال ما آمنه ولا لى حاجة الى الاجتماع به . فقلت ينبغي أن
يكتب اليه رقعة تعتذر فيها عن تأخرك وتهنته تهنته تقوم مقام حضورك
فقال أخاف أن يجيبني بما يستدعى حضوري وأنشدني نفسه

(متقارب)

وقائلة قد أضعت الصواب بتركك هذا الوزير الجديد

فقلت لها لا عداك السرور ولا كان قولك الاستبداد

أمثلي تطاوعه نفسه على أن يرى خاضعا مستزبدا

كان رجلا متهورا . وسيع الصدر . شريف النفس . على المهمة تنقل في
الخدمات وتقلب به الاحوال . بن عسر ويسر . ومصادرة وعزل حتى أدى
به سعة صدره وقوة نفسه وكبر همته الى جمع العساكر وركوب الاخطار . ثم
غلب على أعمال خورستان والبصرة فاستوزره لرضى عزله ومهد لوزارة
سليمان بن الحسن بن مخلد . وقد مر ذكره فلا . بسمة الى عادته وهو آخر
وزرائه * انقضت أيام الرضى بالله ابن المقتدر . ووزارته

ثم ملك بعده أخو المتقي لله أبو سحاق برهيم بن المقتدر بالله .
 بويغ له سنة تسع وعشرين وثلاثمائة . ولم يكن له من السيرة ما يؤثر
 و اضطربت عليه الامور . و ستولى عليه رجل من مراء لديهم يقال له توزون
 فهرب المتقي ومعه ابنه وأهله الى الموصل خوفاً على نفسه من حرب ببغداد
 و جرت في تلك الايام حروب و فتن . و نهبت دار الخلافة و أخذما كان بها
 ثم ن توزون كتب الى المتقي يستميه و حلف له ايماناً غليظة أنه لا ينال مكروه
 من جهته فاعتز المتقي بذلك و انحدر من الموصل الى بغداد و وصل الى السندبة
 من نهر عيسى فخرج توزون الى تلقيه و الناس كافة فلما رآه توزون قبل الارض
 و كان قد أوصى جمعة من أصحابه سرّاً أن يحتاطوا به فاحتاطوا به و أدخلوه
 الى خيمته ثم قبض عليه و سمل عينيه و خلعه و بايع المستكفي . و مات المتقي
 في سنة خمسين وثلاثمائة

شرح حال لوزرة في أيامه .

قر سلجان بن حسن بن محمد على و زرتيه ربيعة أشهر . ثم ستوزر
 خير حمد بن محمد بن ميمون . و لم يكن له سوى الاسم من لوزرة و لم يكن
 له سيرة تؤثر . ثم جرت أمور أدت الى ل قبض عليه و الى عزله

وزرة بن عبد الله البريدي للمتقي .

قد سبق حال تغية و فوة نفسه و جمعه للعساكر . ثم نه في أيام المتقي
 و صل الى بغداد و معه جموع كثيرة فأضرب المتقي ل سروره به ثم ستوزر و هو
 كاره لذلك . و جرت بينه و بين المتقي مراسلات أدت الى أنه رهبه و أقرعته
 فمات خمسمائة الف دينار . و وقعت حروب بين البريدي و مراء العسكر فتهبوا
 داه و انهزم الى وسط . فكان وقوع اسم لوزرة عليه دون شهر

في وزارة أبي اسحاق محمد بن برهيم لاسكافي المعروف بالقرريطي للمتنق .
 لم تطل أيامه فلبث في لوزرة حدود أربعين يوماً وكان سبب وزيرته
 أنه حضر يوماً مجلس أمير لامرء وهو يصادر قومه من الكتاب ويعسفه
 وهم يطلون عليه فخفا القرريطي بعض أصحاب أمير لامرء وقال له ان
 ستوزرنى الامير نهضت له بأضعاف هذا وجمعت له الاموال وما حوجه
 الى هذا الصداق فاستوزره توزون بعد يومين ثم بعد يوم قبض عليه و ستوزر
 الكرخي فلم تطل أيامه أيضاً ولبت فيها نحو خمسين يوماً

في وزارة البريدي مرة ثانية *

استوزره المتنق وكتبه بالاصعاد الى بغداد فأصعد من وسط فاستوزر
 ومكث في الوزارة دون شهر ولم يستتب له امر وجرت بينه وبين المتنق
 حروب وكانت تلك الايام أيام فتن * ولم تولى أبو عبد الله البريدي لوزرة
 هجاء أبو الفرج الاصفهاني مصنف كتاب الاغانى بقصيدة ضويلة أولها

(خفيف)

يا سماء سقطي وبا أرض ميدي فد تولى لوزرة بن البريدي
 (منها)

يا قومى خرّ صدرى وعوى وغابلى وفلبلى المعسود
 حين سار الخميس يوم خميس بالبريدى في ثياب سود
 قد جبه بها الامام صطفاء وعهد منه لغير عميد
 خلع تلخع العلى ولوى عقده حل عقدة المعقود

* وزارة أبي العباس محمد بن عبيد الله لاصفهانى للمتنق *

مكث في لوزرة حدود خمسين يوماً ولم يكن له علم ولا نظرف

لامور . ووضف أمر لوزرة والوزراء فى تلك الايام ضعفا كثيرا

✽ وزارة أبى الحسين على بن أبى على محمد بن مقله للمتنقى ✽

استوزره المتنقى ولم تطل أيامه وخلع المتنقى وهو وزيره ✽ انقضت أيام

المتنقى ووزرائه

✽ ثم ملك بعده أبو القسم عبد الله المستكنى بن المستكنى بن المعتض ✽

ببيع له سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ✽ ورد الخبر اليه بوصول معز
لدولة بن بويه فخاف خوفا شديدا و اضطرب الناس وأهدى المستكنى الى
معز الدولة الطافا وفاكة . ووصل معز الدولة الى حضرة المستكنى فرد اليه
إمارة الامراء وأعطاه الطوق والسوار وآلة السلطنة وعقد له لواء . وهو أول
ملوك بنى بويه فى الحضرة الخليفية . وهو الذى لقبه معز الدولة ولقب أخاه
الآخر عماد الدولة وأمر أن تضرب القابهم على الدينار والدرهم . ونزلت
الدلم دور الناس ببغداد ولم يكن يعرف ذلك من قبل . ثم ان معز الدولة ركب
يوما الى دار الخلافة وسم على المستكنى وقبل الارض بين يديه وأمر
المستكنى فطرح كرسى جلس عليه معز الدولة ثم تقدم الى المستكنى رجلان
من الدلم بمواطاة معز الدولة فدا أيديهما نحوه فظن المستكنى انهما يريدان
تقبيل يده فمد يده فحذاها ونكسها من السرير ووضعها عمامته فى عنقه وسجدا
ونهب معز الدولة وضربت البوقات والطبول واختلط الناس ودخل الدلم
الى حرم الخينة وحمل المستكنى الى دار معز الدولة فاعتقل بها وخلع من
الخلافة ونهبت داره وسملت عيناه ولم يزل فى دار السلطنة معتقلا حتى توفى
سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة

شرح حالى الوزارة فى أيامه

أول وزرائه السامريّ أبو الفرج محمد بن على . لم يكن له حكم ولا
ستبداد ولم تطل أيامه وقبض عليه وهجاه بعض الشعراء بقوله

(كامل)

الآن إن كفر المقتدر رزقه قالوا كفرت تخف عقاب النار
أأكون رجلى مركبى وجنيتى خفى على ذلّ بذاك وعار
والسرّ من رأى فى اصطبله ماأنا عنيق فاره مخنّدر
كلب حمار بالخيول وكاتب فطن يضيق به كراء حمار
أنا قد دهشت فعرفونى انهم هذا من الانصاف فى الاقدار
ثم اضطربت أحوال الخلافة ولم يبق لها رونق ولا وزارة ونمناك
البويهيون وصارت الوزارة من جهتهم ولاعمال اليهم وقرر للخلفاء شىء
لطيف برسم إخراجاتهم * انقضت أيام المستكفي ووزرته

ثم ملك بعده المطيع لله أبو القسم الفضل بن المقتدر .

ببيع سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وكان أمره ضعيفا . فى يامه رد الحجر
لاسود الى مكانه وكانت القرامطة خوارج قد أخذوه ثم ردوه وقالو فد
خذناه بأمر ورددناه بأمر . وقوى الفالج على المطيع وثقل لسانه فدخل عليه
سبكتكين حاجب معز لدولة فدعاه الى خلعه نفسه ومبايعة ولده الطائع فتعل
ذلك وعقد الامر لولده وخلع نفسه . ومات فى سنة ربيع وستين وثلاثمائة

ثم ملك بعده ابنه عبد الكريم أبو بكر الطائع لأمر الله .

ببيع له سنة ثلاث وستين وثلاثمائة

كان الطائع شديد المنة . كان قد استفحل عنده فى البستان كبش جبلى

وما جسر أحد أن يدنو منه فخرج الطائع اليه فحمل الكبر عليه فثبت له
حتى مكن يديه من فريه ثم استدعى نجاراً وأمره بقطع قرنيه بالمشر
فقطعهما النجار وهما في يد الطائع

وفي أيامه قويت شوكة آل بويه ووصل عضد الدولة الى بغداد وانتشر
حكم البويهيين . ثم قبض البويهيون على الطائع في سنة احدى وثمانين
وثلاثمائة وبويع بعده للقادر . نقضت أيام الطائع لله

ثم ملك بعده القادر ابو العباس حمد بن اسحاق بن المقتدر .

بويع له سنة احدى وثمانين وثلاثمائة

كان القادر من أفاضل خلفائهم حسن الطريقة والسمت كثير الخير
والدين والمعروف والعبادة . تزوج بنت بهاء لدولة بن عضد الدولة على صدق
مبلغه مائة الف دينار . وفي أيامه تراجع وقار الدولة العباسية ونفي روثها
وأخذت مورعها في القوة . ومكث القادر في خلافة مدة طويلة . ومات في
سنة ثنتين وعشرين واربعة مائة

ثم ملك بعده بنو جعفر عبد الله القائم بأمر الله .

بويع في سنة ثنتين وعشرين واربعة مائة

كان القائم من أفاضل خلفائهم وصالحائهم . وطالت مدته في خلافة وزد
به وقار الدولة ونمت قوتها . وفي أيامه تقرضت دولة بني بويه وظارب
دولة بني سلجوق

شرح حال لدولة السلجوقية وابتدائها ونهايتها .

منذ دولة قويت شوكتها . وهضمت مملكتها ونفذت تقدماتها في
حضرة الخليفة . واستولت على خلافة . وخطب لها على المنابر . وضربت اسماء

﴿ ذكر ابتداء حالهم ﴾

هم قوم أصلهم من الترك الحزر وكانوا يخدمون مع ملوك الترك . ونشأ جدهم سلجوق وكانت أمارات النجابة لأئمة عليه . ودلائل السعادة ظاهرة على حركاته . فقربه ملك الترك واختص به ولقبه شباشي . ومعناه في لغتهم قائد الجيش . فنبغ سلجوق بعلو همته واستمال قلوب الرجال بكرمه وعقله وانقادت الاكابر اليه * فيقال ان زوجة ملك الترك قالت لزوجها اني اتوسم في سلجوق تغلباً عليك والرأى عندي ان تقتله فقد كثر ميل الناس اليه فقال لها سوف أبصر ما أصنع في أمره ثم احس سلجوق بشيء من ذلك العزم وظهر له التغيير فجمع عشيرته ومن تبعه وحالفهم واستجلب من أطاعه وصار قائداً معظماً للغز ونفر بهم من بلاد الترك الى بلاد المسلمين . فلما دخلها أظهر الاسلام ليكون المسلمون عوناً له وليمكنوده من المراعى والمساكن فنزل بالجنود وشرع في غزو من قاربه من أصناف الترك وكان لملك الترك إتاوة على تلك البلاد المتاخمة له فقطعها سلجوق وطرد نوابه ومات سلجوق وعمره مائة سنة . ثم نشأ أولاده في القوة والنعمة والدولة فاستولوا على كل موضع استضعفوه من بلاد العجم . وما زال امرهم يمتد حتى حتى ملك طغرلبيك وهو أول سلاطينهم طائفة من بلاد العجم . وما زال امره يقوى حتى تغلب البساسيري على بغداد ونهبها وقتل من بها وأخرج الخليفة القائم خبيسه بقلعة حديثة . وكانت فتنة البساسيري فتنة عظيمة . فحينئذ كتب القائم الى طغرلبيك السلطان يستدعيه الى بغداد لينصره على البساسيري فسار طغرلبيك بمساكره الى بغداد . فلما سمع البساسيري بذلك انتفض عليه امره وفارق بغداد ودخل طغرلبيك الى بغداد وأعاد

رونق الدولة الخليفة وخطب له بالسلطنة على منابر بغداد . وكان ذلك أول سلطنتهم بالحضرة * وأما انتهاءها فإنها مازالت أمورها تضعف حتى انقرضت بالكلية في أيام الناصر . وذلك في سنة تسعين وخمس مائة فتعالى الله * ومات القائم في سنة سبع وستين وأربع مائة

﴿ شرح حال الوزارة في أيامه ﴾

وزر له نحر الدولة ابو نصر محمد بن محمد بن جبير

﴿ وزارة بن جبير ﴾

كان نحر الدولة من عقلاء الرجال ودهاتهم كان في ابتداء أمره فقيراً مدقماً وترامت به الاسباب . فمن مبادئها أنه كان جالساً بالكرخ يوماً فعبث عليه غسال ممن يغسل بالحريات ومعه فصوص عتق قد استحالت ألوانها فاشترها منه بثلاثة دنانير وجلا بعضها . فخرج أحدها ياقوتا أحمر . وخرج الآخر فيروزجا جيداً فصاغ لكل واحد منهما خاتماً من ذهب . ثم انه تقلبت به الامور حتى مضى في رسالة الى ملك الروم فمد له الخاتمين فأعطاه عشرين ألف دينار فكانت أصل غناه ونعمته ثم قتل في الخدمات حتى اتصل بابن مروان صاحب ديار بكر فقدمه مدة وأثرى عنده ثروة ضخمة فسمت همته الى وزارة الخليفة فأرسل سراً الى القائم وعرض عليه نفسه وبذل له ثلاثين ألف دينار فأرسل القائم بعض خواصه في رسالة الى ابن مروان . وكان غرضه من إرسال ذلك الرسول أن يجتمع بفخر الدولة سراً وقرّر معه ما أراد . ثم لما أراد الرسول الرجوع الى بغداد خرج نحر الدولة كأنه يودعه فانحدر معه الى بغداد . وكان قبل ذلك قد فرّق أمواله بالبلاد وأنفذ منها شيئاً الى بغداد

فلما وصل الرسول الى بغدادا وصحبته نخر الدولة أرسل القائم اليه أصحابه
يتلقونه . ثم خلع عليه خلع الوزارة ونهض نخر الدولة بأمور الوزارة أحسن
نهوض . وكانت الاطراف المتاخمة للعراق عاصية على الخليفة . وكان ملوكها
صدقاء نخر الدولة فكاتبهم وراسلهم واستألمهم فدخلوا في طاعة الخليفة . ثم
عزل نخر الدولة عن الوزارة بسبب كدر جرى بينه وبين نظام الملك وزير
السلطان . ثم أعيد نخر الدولة الى الوزارة ولما أعيد الى منصبه قال ابن الفضل
الشاعر يمدحه

(رجز)

قد رجع الحق الى نصابه وأنت من دون الوري أولى به
ما كنت الا السيف سلته يد ثم أعادته الى قرابه
ولما عاد الى الوزارة فرح الناس به فرحاً شديداً فيقال ان سقاء ذبح
ثوراً له لم يكن يملك غيره وتصدق بلحمه فأعطاه الوزير بغلاً بآلته وأعطاه
معه شيئاً من الذهب

ولما مات القائم قام الوزير نخر الدولة بأخذ البيعة للمقتدى أحسن قيام
وكانت مدة وزارته للخليفين القائم والمقتدى خمس عشرة سنة وشهراً ومات
بعد ذلك في سنة ثلاث وثمانين وأربع مائة

وزارة رئيس الرؤساء على بن الحسين بن احمد بن محمد بن عمر بن المسلمة
كان وزير القائم قبل ابن جبير . ومن أجله وقعت فتنة البساسيري . وكان
قبل الوزارة أحد المعدلين ببغداد وممن له معرفة باللقه وأنس بالعلم ورواية
لحديث وجل أمره . وعظمت منزلته . ووقع بينه شر وبين البساسيري
بن الحارث التركي . وكان أحد الأمر . فافتضى الحال أن البساسيري هرب
ثم جمع الجموع وورد الى بغداد واستولى عليها . ثم ظفر بابن المسلمة رئيس

الرؤساء فمثل به

فمن جملة ما فعل به أنه حبسه ثم أخرجه مقيداً وعليه جبة صوف
وطنطور من لبد أحمر وفي رقبته مخنقة فيها جلود مقطعة شبيهة بالتعاويد
واركب حماراً وطيف به في المحال ووراءه من يضربه بجلد وينادي عليه
ورئيس الرؤساء يقرأ (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك
ممن تشاء) وشهره في البلد

فلما اجتاز بالكرك نثر عليه أهل الكرك المداسات الخلع وبصقوا في
وجهه ووقف بازاء دار الخلافة من الجانب الغربي . ثم أعيد وقد نصبت له
خشبة في باب خراسان فأُنزل عن الحمار وخط عليه جلد ثور قد سلخ في
الحال وجعات قرونيه على رأسه وعلق بكلاب في حلقة واستبقى في الخشبة
حيّاً الى أن مات من يومه * انقضت أيام القائم بأمر الله ووزرائه
* ثم ملك بعده ابن ابنه المقتدى بأمر الله *

وهو أبو القسم عبد الله بن الذخيرة بن القائم * بويع في سنة سبع
وستين وأربع مائة

كان المقتدى على المهمة خيراً بالامور من أفاضل خلفائهم اتفق له مع
السلطان ملكشاه واقعة عجيبة . كان السلطان ملكشاه قد قصد بغداد فوصاه
في سنة خمس وثمانين وأربع مائة . وقد تغيرت نيته على المقتدى . فأرسل
ملكشاه الى المقتدى يقول له تخرج من بغداد وتسكن أي بلد شئت فانزعج
المقتدى من ذلك وطلب منه أن يمهله شهراً . فقال ملكشاه ولا ساعة
واحدة وترددت الرسل بينهما . ثم استقرت الحال بوساطة تاج الملك أبي الغنائم
وزير ملكشاه أن يؤخره عشرة أيام . فقال ملكشاه يجوز . ففي عيد الفطر

صلى السلطان وخرج الى الصيد . فخم وفتصدفتوفى فى نصف شوال وضبطت
 زوجته زبيدة خاتون العسكر بعد موته . واستقر مع المقتدى ترتيب ابنها
 محمود فى السلطنة . وعمره يومئذ ست سنين فخطب له وخلع المقتدى عليه
 وخرج العسكر وخاتون وابنها محمود بن ملكشاه الى اصفهان وكفى الله
 المقتدى شر ملكشاه . وتوفى المقتدى فجأة فى سنة سبع وثمانين وأربع مائة
 * شرح حال الوزارة فى أيامه *

لما بويع المقتدى بالخلافة أقرّ نحر لدولة بن جهير وزير أبيه على وزرته
 وقد مضى من سيرته ما يغنى عن ذكر شئ آخر

❖ وزارة ابنه عميد الدولة محمد بن محمد بن محمد بن جهير للمقتدى ❖

كان القائم والمقتدى يرسلانه فى رسائل الى السلاطين فتتجح على يده
 وكان فاضلا حسيفا . فاستحلاه نظام الملك وزير السلطان وكان يعجب منه
 ويقول وددت انى ولدت مثله . ثم تزوجه بنته واستوزره المقتدى وفوض
 لامور اليه . ثم عزله فشجع له نظام الملك فأعيد الى الوزارة . فقال ابن الهباربة
 الشاعر فى ذلك يهجو عميد الدولة

(بسيط)

لولا صفية ما استوزرت ثانية فاشكر حراً صرت مولانا الوزير به

صفية هى بنت نظام الملك لوزير التى تزوجها عميد الدولة . ثم وقع بين
 عميد الدولة وبين سلاطين العجم . فطلبوا من خليفة عزله وأشار أصحاب
 خليفة بذلك . فعزله وحبس بباطن دار الخلافة ثم أخرج ميتاً فدفن . وكان
 يقول الشعر فمن شعره

(بسيط)

الى متى أنت فى حل وترحال تبغى العلى والمعالى مهرها غال

باطالب المجد دون المجد ملحمة فى طيبها خطر بالنفس والمال

وليلالى صروف قلما انجذبت الى مراد امرئ يسعى بلا مال

وزارة أبى شجاع ظهير لدين محمد بن الحسين الهمداني للمقتدى

كان رجلاً ديناً خيراً كثيراً خيراً والبر والصدقة. وقف له على ثبت
خرج على وجود البر والصدقات خاصة بما قدره مائة وعشرون الف دينار
وكان الذى أورد هذا الثبوت كتاباً من جملة عشرة كتبه يكتبون صدقانه خاصة
ولما ولى ظهير الدين المذكور كتب اليه ابن الحريرى صاحب المقامات

(مقارب)

هنيئاً لك الفخر فانخر هنيئاً كما قد رزقت مكاناً علياً

وبت كآبائك الاكرمين لدست الوزارة كفئاً رضى

تحملت أعباءها يا فعماً كما أوتى الحكم يحيى صبياً

كان يصلى الظهر ويجلس لكشف المظالم الى وقت العصر وكان الحجاب

ينادون فى الناس من كانت له حاجة فليعرضها

ومن مناقبه أنه لما وقعت الفتن بين السنة والشيعة بالكرك وباب

البصرة من مدينة السلام تفاضى عن ارافة الدماء غاية التفاضى حتى قال له

المقتدى ان لا امور لا تمشى بهذا للين الذى تستعمله. وقد أطمعت الناس

بحلمك وتجاوزك ولا بد من نقض دور عشرة من كبار اهل المحال حتى

تقوم السياسة وتسكن هذه الفتن. فأرسل الوزير الى المحتسب وقال له قد

نقدم الخليفة بنقض دور عشرة من كبار اهل المحال ولا تمكنتى المراجعة فيهم

وما آمن ان يكون فيهم أحد غير مستحق للمؤاخذه وان يكون الملك ليس

له فأريد ان تبعث ثقاتك الى هذه المحال وتشتري املاك هؤلاء المتهمين فاذا

صارت الاملاك لى نقضتها وأسلم بذلك من لاشئ ومن سخط الخليفة ونقده

الثن في الحال . ففعل المحتسب ذلك . ثم بعد ذلك ارسل وتقضها * وحج بيت
الله تعالى ولم يؤرخ عن وزير أنه حج في أيام وزارته الا هذا فان الوزراء قبله
كانوا يحجون بعد خلوتهم من الوزارة الا البرامكة فانهم حجوا في حال
وزارتهم وطلب السلطان جلال الدولة ملكشاه من المقتدى عزل هذا الوزير
فخرج توقيع المقتدى بعزله على حالة جميلة لم يصرف بمثلها وزير ونصرف الى
داره وهو ينشد
(وافر)

تولاها وائس له عدو وفارقها وائس له صديق
ثم اعتزل وترهد ولبس ثياب القطن وتوجه الى الحج وأقام بمدينة
الرسول صلوات الله عليه وسلامه فكان يكنس المسجد النبوي ويفرش
الحصر ويشعل المصابيح وعليه ثوب من غليظ الخام وبدأ بحفظ القرآن
وختمه هناك وله شعر لا بأس به منه قوله
(خفيف)

ان من شئت الجميع من الشمل قدير بأن يجمع أهلا
لست مستيئساً وان طال هجر رب هجر يكون عقباة وصلا
واذا أعقب الوصال فراقاً كان ذلك الوصال في القلب أحلى
ومات رضى الله عنه في سنة ثلاث عشرة وخمس مائة . انقضت أيام
المقتدى بأمر الله ووزرائه

ثم ملك بعده ابنه المستظهر بالله أبو العباس أحمد
بويع له بالخلافة في سنة سبع وثمانين وأربع مائة
كان المستظهر كريماً وصولاً حسن الاخلاق كبير الهمة سهل العريكة
مذهب الحلال محباً للخير مبغضاً للظلم * في أيامه تفاقم حال الباطنية واستولوا
على المعاقل والحصون بخراسان وكان اصل دعوتهم بخراسان الحسن بن صباح

وهو رجل أصله من مرو . وسافر الى مصر وأخذ من دعاة آل أبي طالب
 بها المذاهب وكان رجلاً ذاهياً وصاحب حيل . ثم انه رجع من مصر الى
 خراسان وصار داعياً لآل أبي طالب وتوصل بأنوع التوصلات حتى ملك
 قلعة من بلاد الديلم تعرف بالروذبار فلما ملكها قوى أمره واستغوى طوائف
 من الناس وفشا مذهب الباطنية ونحى واعتقده خلق من الاكابر في باطن
 لامر وما زال يستغل أمره الى ان قصدت العساكر المغولية فلاعاهم
 وفعلت بها ما فعلت ومات المستظهر في سنة ثمان عشرة وخمس مائة

.. شرح حال الوزارة في أيامه ..

لم يكن للوزارة في أيامه كبير أهمية . فمن وزرائه زعيم الرؤساء ابو القاسم
 علي بن نخر الدولة بن جهير لم تطل أيامه ولم يكن له من السيرة ما يؤثر . وبعد
 سير من وزرته عزل وقبض عليه

.. وزارة أبي المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب للمستظهر ..

كان رجلاً كافياً من كفاة لدولة العباسية . ستوزره المستظهر بعد زعيم
 لرؤساء بن جهير وكان قبل لوزارة يتولى ديوان الزمام . فحدث عنه بعض
 أصحابه قال دخلت يوماً اليه قبل الوزارة وهو صاحب ديوان فرأيت مفكراً
 مضطرب الخاطر فسأته عن السبب فقال كنت قد أُنهيت الى المستظهر في
 السنة خالية اجتهدى في عمارة البلاد وضبطى الارتفاع وتتميرى للحصول
 وفلت قد حصل في هذه السنة ثمان عشرة الف كروى السنة المقبلة يحصل
 عشرون الف كروى فخرج جوبه يشكرنى ويثنى علىّ وشرفنى بشيء من ثيابه
 فسرت وفلت هذه ثمرة الاجتهاد ثم جردت همى للمارة ونبعثت بجهدى
 وطافى في عمارة المستقبل فانفق أن نفجر بئق فنال من الارتفاع شيء

كثير وجرت أحوال أخر اقتضت خفوق الارتفاع بحيث نقص عن ارتفاع
السنة الحالية جملة فكتبت مطالعة الى الخليفة أعرفه فيها بخفوق الارتفاع
وذكرت له كمية الحاصل ولم أشرح له السبب في تقيصة الارتفاع وقلت في
نفسى ان سألنى عن السبب شرحته له فخرج جوابه الى يشكرنى ويثنى على
وشرفنى بشىء من ثيابه كما فعل فى السنة الحالية فقلت فى نفسى واويلاه هذا
حالى معه فى حالة الاجتهاد والتقصير وقد شكرنى على الحالتين المتناقضتين
وهذا يدل على أنه لا يفكر فيما يقوله ويفعله . فما يؤمننى أن بعض من هو
قريب اليه من أعدائى يعرض عليه فى أمرى ما يكون سبباً لهلاكى فلا يتأمل
القضية بل يتقدم بما يوافق غرض العدو . قال الحاكى فقلت له يعيذك الله
ويقيك مما تحذر . وما برحت حتى سليته وأزات غمه . وكان هذا أبو المعالى
بن المطلب من علماء الوزراء وافاضلهم وأخيارهم . انقضت أيام المستظهر بالله
وووزرائه

ثم ملك بعده ابنه المسترشد ابو منصور الفضل بن المستظهر بالله .
بويغ فى سنة اثنتى عشرة وخمس مائة

كان المسترشد رجلاً فاضلاً . ولما بويغ بالخلافة هرب أخوه الامير أبو
حسن وأخفى نفسه وهضى الى الحلة مستجيراً بدريس بن صدقة صاحب
حالة وكان دريس بن صدقة أحد اجواد الدنيا . كان صاحب الدار والجار .
والحمى والذمار . وكانت ايامه أعياداً وكانت الحلة فى زمانه محط الرجال .
وما جاء بنى الآمال . وماوى الطريد . ومعتصم الخائف الشريد . فأكرمه
دريس اكراماً زائداً عن الحد وأفرد له داراً وأكرمه اكراماً كثيراً ومكث
نفسه مدة على أحسن حال . فلما علم أخوه المسترشد بالله انه عند دريس

قلق لذلك وخاف من أمر يحدث من ناحيته . فبعث نقيب النقباء على ابن طراد الزينبي الى الحلة بخاتمه وأمانه . وأمره ان يأخذ البيعة على ديس ويطلب منه ان يسلم اليه لأمير ابا حسن . فقال ديس أما البيعة فالسمع والطاعة لأمر أمير المؤمنين وبايع . وأما تسليم جاري فلا والله لا أسلمه اليكم وهو جاري وزيلي ولو قتلت دونه الا ان اختار . فأبى الأمير أبو الحسن التوجه صحبة النقيب الى أخيه فضى النقيب وحده . ثم بعد ذلك ظفر به المسترشد فسجنه في بعض دورد على حالة جميلة * وجرت بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود وحشة وتفاقم الامر فيها وأفضى الحال الى الحرب . فتوجه الخليفة المسترشد وصحبته العسكر وأرباب الدولة . وتجهز مسعود للاقائهم . فلما التقوا والتحم القتال انكسر عسكر المسترشد وسترط السلطان مسعود عليهم ونهب عسكره من العسكر الخلفي أموالا عظيمة فيقال ان صناديق المال كانت على مائة وسبعين بغلا وهي أربعة الف الف دينار وكان الرجل على خمس مائة جمل . وكان معه عشرة الف عمامة . وعشرة الف جبة . وعشرة الف قباء . كل ذلك من فاخر الثياب كان قد أعدّها للتشريفات ان ظفر فيقال ان جملة ما نهب عشرة الف الف دينار ونهى مسعود عن ارافة الدماء وقبض على أصحاب الخليفة وحملهم الى القلعة . وأما الخليفة فأفرد له خيمة ووكل به جماعة . وسار مسعود والخليفة معه الى مراغة فوصل كتاب السلطان سنجر الى مسعود يأمره بالاحسان الى الخليفة واعادته الى بغداد مكرما معززا وأن يتلافى الحال معه وأن يرد عليه أمواله وأن يجعل له من اخشم والبرك والاسباب عظم وأجل ثم ذهب منه ويعيده الى بغداد على أتم حال . فامتثل مسعود جميع ذلك وصنع له من البرك والاسرة والخيم

والجمل أشياء جميلة. ووقع العزم على العود إلى بغداد. واتفقت غفلة من مسعود
والعسكر فهجم جماعة من الباطنية على المسترشد فضر به بالسكاكين في
خفيه بقرية بينها وبين مراغة فرسخ واحد وقتلوه معه جماعة من أصحابه
وحين علم مسعود بذلك ركب منزجاً مظهرًا للجزع وأخذ القوم يقتلهم. ثم نقل
المسترشد على رؤس العلماء والامراء إلى مراغة فدفن بها. وقبره الآن
بها معروف تحت قبة حسنة رأيها عند وصولي إلى مراغة في سنة سبع
وتسعين وستمائة

واختلف الناس عند قتل المسترشد في سبب قتله. فقال قوم ن مسعود
لم يعلم بذلك ولا رضى به. وقال قوم بل مسعود هو الذي واطأ الباطنية
على قتله وأمره بذلك لانه خافه حيث قويت نفسه على جمع الجموع وجر
جيوش ولم يمكنه قتله ظاهراً ففعل ما فعل من الاحسان اليه ظاهراً ثم قتله
بطناً. ثم انه أخرج جماعة من أهل الجرائم فقتلهم وأودع الناس أنه قد قتل
قتلته. ثم أطلقهم سراً. وذلك في سنة تسع وعشرين وخمس مائة

شرح حال الوزارة في أيامه

من أفاضل وزرائه أبو علي الحسن بن علي بن صدقة. كان فاضلاً
نحريراً عالماً بقوانين الرئاسة خيراً. استوزره المسترشد سنة ثلاث عشرة وخمس
مائة واقبه بجلال لدين سيد لوزراء صدر الشرق والغرب ظهير أمير المؤمنين
وكانت له معرفة بالحساب وأعمال السواد غير انه لا ينسب اليه شئ من الكرم
ثم ان المسترشد قبض عليه وعزله عن لوزرة ولم يكن ذلك عن
ردة من المسترشد وانما دعت الضرورة إلى القبض عليه لان وزير السلطان
كان يتعصب عليه

ثم بعد ذلك بمديدة زال المانع فأعاده المسترشد الى وزارته وخلع عليه
خلع الوزارة وتقدم الى أرباب الدولة بالسعى بين يديه الى الديوان * وهو أول
وزير مشى أرباب الدولة بين يديه رجالة

كان الوزير ابن صدقة يوماً جالساً في دست الوزارة فدخل عليه سديد
الدولة بن الأنباري كاتب الانشاء وفي كفه أبيات قد هجا فيها الوزير فسقطت
الرقعة من كفه فمد الوزير يده سريعاً وتناولها فكان فيها من جملة أبيات
(بسيط)

أنت الذي كونه فساد في عالم الكون والفساد
فلما رآها سديد الدولة في يد الوزير سقطت قوته خوفاً وخجلاً . فلما
قرأها الوزير فطن القصة وصرف المهجو عن نفسه الى سديد الدولة . وقال
أعرف هذه الايات ومن جملتها

ولقبوه السديد جهلاً وهو برئ من السدد
ونظم الوزير هذا البيت في حال فاستحي السديد بن الأنباري وأمسك
عن الجواب

ولما عزم السلطان سنجر على الوصول الى بغداد وتوعد الخليفة كتب
اليه الوزير ابن صدقة والله لن تحرك لأقطعت جميع ماوراءك عنك
وأقطعتك عنه ولئن سرت فرسخاً لأسيرن اليك فرسخين
ومرض الوزير أبو علي بن صدقة في آخر أيامه فعاده المسترشد وأنشده
(طويل)

دفعنا بك الآفات حتى اذا أتت تريدك لم نستطع لها عنك مدفعا
ولم يزل أمره يضمحل حتى توفي في سنة اثنتين وعشرين وخمس مائة

وزارة الشريف أبي القاسم علي بن طرد الزينبي .

هو أبو القاسم علي بن طرد بن محمد تقيب النقباء بن أبي القاسم علي
تقيب النقباء بن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الله بن
محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وكنى عرفو
بالزيبين لأن أمهم زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس عرفو
بها . كان متروياً من المعرفة بقوانين لوزرة وأسباب لرئاسة وهو الذي
جمع الناس على خلع الراشد . وقام في خلعه وأخذ البيعة للمعتز في القيام العظيم
واتفق مع السلطان مسعود على ذلك ووزر خليفتي المسترشد والمعتز

ول استوزره المسترشد وشافه بالولاية قل له كل من ردت اليه
لوزارة شرف بها إلا أنت فان لوزرة شرفت بك . وحمل اليه ليست
الكامل من در الخليفة . وتقدم لي أرباب المناصب بلسمي بين يديه لي
الديوان ومكث على ذلك مددة . ثم قبض عليه المسترشد وعزله . ثم أعاده
إلى أجل ما كان عليه . فلما خرج المسترشد إلى حرب مسعود كما تقدم
شرحه خرج الوزير معه . فلما جرى على المسترشد ما جرى حظي الوزير
عند السلطان مسعود وقربه وأعلى محبه واستصحبه صحبته إلى بغداد . وفام
وزير بين يديه في خلعه لرشد وإجلال المعتز في القيام الذي عرفه له مسعود
وشكره عليه وبأفي أخباره رد عند ذكر وزرته للمعتز

وزرة الوزير أبي نصر أحمد بن الوزير نظام الملك للمسترشد .

كان كريماً جميل الصورة وزير للمسترشد بالله فشكرت سيرته . لما
عزم المسترشد على عمارة سور بغداد قسط على الناس خمسة عشر ألف دينار
فقام الوزير أبو نصر بها وأدها عن الناس من ماله . ولم تذل أمانه فتوفي

في سنة أربع وأربعين وخمس مائة

وزارة أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني للمسترشد

كان رجلاً من أفاضل الناس وأعيانهم وأخيارهم تولى الوزارة للسلطين
والخلفاء . وكان يستقيل من لوزارة فيجيب الى ذلك ثم يخطب لها
فيجيب كارهاً . هو الذي صنف له ابن الحريري المقامات الحريرية واليه أشار
في أولها بقوله فأشار من اشارته حكم وطاعته غم

طلب الأرجاني الشاعر من الوزير أنوشرون خيمة فأرسل اليه بدنانير
كثيرة وقال له اشتر بها خيمة فقال الأرجاني في ذلك

(منسرح)

لله درّ ابن خالد رجلاً أحيانا الجود بعد ما ذهب

سألته خيمة ألوذ بها فجد لي ملء خيمة ذهباً

وكان أنوشروان بن خالد كثير التواضع مشهوراً بذلك يقوم لكل من

يدخل عليه فهجاد ابن الهبارية الشاعر بقوله (بسيط)

هذا تواضعك المشهور عن ضعة تبدو فن أجلاً بالكبر اتهم

فعدت عن صلة الراجي وقت له فذ وثوب على الطالب لا لهم

وفيه يقول أيضاً يشير الى كثرة قيامه (بسيط)

رأيت مشروبه يعبي مزاولاً في يد الغلام

فقلت لا يعرض لشرب السدواء من غير ماسقام

فما به حاجة اليه فانه دائم القيام

وكان بين أنوشروان بن خالد وبين الوزير لزينبي عداوة وتباغض

وتنافس على الوزارة فعزل الوزير لزينبي وتولى أنوشرون بن خالد فتمت قرب

الناس اليه بثلب الزينبي فدخل الحيص يبص الشاعر عليه وأنشده قصيدة
أولها

شكراً الدهرى بالضمير وبالقم لما أعاض بمنعم عن منعم

يشير الى أنوشروان ولى الزينبي فاستحسن الناس منه ذلك واستدلوا
به على وفائه وحرية . ثم إن أنوشروان بن خالد مات وأعيد الزينبي الى
الوزارة فقترب الناس اليه بمسبة أنوشروان فدخل عليه الحيص يبص وأنشده
(طويل)

بقيت ولا زلت بك النعل إني فقدت اصطبارة يوم فقد ابن خالد
ومات أنوشروان في سنة اثنتين وثلاثين وخمس مائة . انقضت أيام
المسترشد بالله ووزرائه

ثم ملك بعده ابنه الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد .
بويع له بالخلافة عقب وصول الخبر بقتل ابيه سنة تسع وعشرين وخمس
مائة . وجيز الراشد عسكرياً كثيفاً وتوجه لمحاربة مسعود . وتوجه مسعود نحو
المراب طالباً للملك فوصل الى بغداد في خمسة الف فارس ودخلها فكف
الراشد عن حربه وخرج منها متوجهاً الى الموصل . ودخل السلطان مسعود
بغداد واستبد بتدبير الامور فيها وأظهر العدل ومنع الجند من الاذى . وجمع
القضاء والشهود وأخذ خطوطهم بالقدح في الراشد وكتب محضراً بخلع
الراشد واثبته على القضاء وتولى ذلك له الوزير الزينبي . وكان مسعود قد
استشار الزينبي فيمن يوليه الخلافة فقال له يامولانا هناك رجل يصلح لها فساله
عن اسمه فقال له يامولانا ان سميت اخاف أن يقتل ولكن اذا دخلنا بغداد
سميته لك . فلما احتاجوا الى اجلاس خليفة سمي الزينبي له أبا عبد الله محمداً

المقتنى عم الرشيد فبايع له وجلسه على سرير الخلافة . ثم ان الرشيد لم يتم له
بالموصل أمر ففسار عنها إلى صفهان فوثب عليه جماعة من الملاحدة فقتلوه على
باب صفهان . وذلك في سنة ثنتين وثلاثين وخمس مائة . وقبره هناك معروف
شرح حال لوزرده في أيامه .

لما أفضت خلافة إليه استوزر جلال الدين أبو الرضى محمد بن صدوق
وهو نجل أيامه . وخاف من جري فالتجأ إلى زنگي بن آفستقر صاحب الموصل
فأجارد وأصلح أمره . ثم لم يخرج الرشيد من بغداد استخدمه هذا أبو
الرضى في بعض خدمات غير لوزرده . ومات في سنة ست وخمسين وخمس
مائة . ولم يكن له من السيرة ما يؤثر . فنقضت أيام الرشيد ووزرته

ثم ملك بعده عمه المقتنى لأمرته بو عبد الله محمد بن المستنصر .

وباع له بالخلافة سنة ثلاثين وخمس مائة .

كان المقتنى من فضل الخلفاء . ولما أجلسه مسعود بوبيع له وكان قد
أخذ جميع ما بدر خلافة من ذهب وأثاث ورحل وغير ذلك ونصرف
نوبه في جميع أعمال العراق وأرسل إلى المقتنى يقول له ذكر ما تحتاج إليه أنت
وكل من يتعلق بك حتى أعين لك به اقطاعات . فأرسل إليه المقتنى يقول عندنا
بالدار ثمنون بغلات من الماء من دجبه يشربها عيالنا فانظر أنت كم يحتاج اليه
من يشرب في كل يوم ماء بحمسه ثمنون بغلات مسعود لقد أجلسنا في
خلافة رجالا عظيماء فانهل بكثيرة شربهم وجرت في أيامه فتن وحروب
بينه وبين سلاطين العرب كانت الغلبة فيها له . وبارى أيامه العيارون
والمفسدون فبعض بضعهم ثم نهوض . وتوفي المقتنى في سنة خمس وخمسين
وخمس مائة

شرح حال الوزرة في أيامه

أول وزرته لرئيسي أبو القاسم علي بن طر دالعباسي وزير أخيه المسترشد ستوزره حين بويغ لانه هو الذي قام في بيعته وأشار على مسعود به ومكث مدة في وزرة المقتنى . ثم جرت بينه وبينه وحشة خاف فيها منه فاستجار بدار السلطان وأقام بها مدة معتصما من المقتنى الى أن روهل خليفة من جهة السلطان في معناد فأذن في عودده الى درده مكرما فانصرف الى درده وأقام بها على قدم البطالة واضمححل أمره ورق حاله ولقي شقاء عظيما وضائقة شديدة حتى انه مرض فاشتبهت نفسه شيئا من المسموم فيه يقدر على ثمنه وقد كان أنفق أكثر ماله لكان مستجيرا بدار السلطان على خواتينه وأتباعه وأرباب دواته وكانت موهبه درده على أكثر أرباب لدولة وغيره من العلماء والوافدين والطلابين . ولم يمرض مرضته التي مات فيها كتب اليه المقتنى رفعة يستميته فيها ويعده بكل جميل فتمثل لوزير

(طويل)

نت وحياض الموت بسني وبينه وجادت بوصول حين لا ينفذ لوصول وقال وصيتي حفظ حرمي وأطفالي . فلما توفي قام المقتنى بجميع ما يحتاج اليه أولاده وصغارده وأجرى عليهم جريرت الكثرة وزرة نظام الدين أبي نصر المظفر بن علي بن محمد بن جهير البغدادي للمقتنى . كان له أنس بالعلوم وخاصة باحدث النبوي صلوات الله على صاحبه ولم يطل أيامه ولم يكن له من السيرة ما يؤثر

وزرته مؤتمن لدولة أبي القاسم علي بن صدفة للمقتنى .

بيته بيت مشهور بالوزرة معروف بالرئاسة . وكان مؤتمن لدولة حسن

الصورة والخلق لكن لا علم عنده بقوانين الوزارة. وكان كثير التعب والصدقة
استوزره الخليفة المقتنى لامرته. قالوا كان هذا مؤتمن الدولة الوزير قليل
الاشتغال بالعلم. وكان ضعيف القراءة في الكتب. وكان قد أدمن في قراءة جزء
واحد من أجزاء القرآن وفي كتاب واحد من كتب الأدب فكان لا يزل
الجزء المذكور والكتاب بين يديه يقرأ فيهما قراءة جيدة فخفى على الناس
حاله مدة وزارته. فلما مات ظهر ذلك عنه ولم يكن له من السيرة ما يؤثر

وزارة عون الدين أبي المظفر يحيى بن هبيرة للمقتنى *

أول منشئه من قرية تعرف بالدور من أعمال دجيل تعرف اليوم بدور
الوزير نسبة إلى بن هبيرة. وكان أبوه أكاراً بالقرية المذكورة. وكان يحث
ولده على تحصيل الأدب ودراك القوائد. وكان يردده صغيراً إلى بغداد
ويحضره إلى مجالس الصدور وصدور المجالس وكان هو كما قيل

(مديد)

ولها من نفسها طرب

ومات أبوه وهو في فنورد بالاشتغال وتقلبته به تصاريص الأمور
ومرت عليه شدائد وكابد من الفقر هو لا. وتنقل في الخدمات فكان لا ينتقل
من خدمة إلا إلى أكبر منها وما زال ينتقل من خدمة إلى أخرى أرفع منها
حتى تقلد الوزارة للمقتنى فمكث فيها مدة ومشاهيرته في كل سنة مائة ألف
دينار. وكان كريماً جوداً سمحاً لا يخرج من السنة وفي خزائنه منها درهم
واحد. وكان المقتنى والمسند يقولان: وزير ابن العباس كيجي بن هبيرة في
جميع أحواله. وكانت له في قمع لدولة الساجوقية يد قوية وحييل مرضية. وكان
وقوراً حليماً متواضعاً. لم تولى الوزارة دخل لديوان وعليه الخلع فرأى غلاماً

من غلمان الديوان واقفاً عن بعد فاستدناه وتبسم في وجهه وأمر له بذهب
وكسوة ثم قال لا اله الا الله أذكر مرة وقد دخلت هذا الديوان وجلست في
بعض المجالس فجاء هذا النمام وجذبني بيدي وقال في فليس هذا مكانك وقد
رأيت الساعة واقفاً وأثر الخوف ظاهر عليه فأحببت أن أؤنسه وأزيل رعبه
ورأى يوماً في الديوان جندياً فقال لحاجبه أعط هذا الجندي عشرين دينار
وكرت حنطة وقال له لا يدخل الديوان ولا يرينا وجهه فتعاضد الناس وتشوفوا
الى معرفة السبب في ذلك وفطن الوزير لذلك فقال لهم كان هذا الجندي
شحنة في قريتنا فقتل شخص من أهل القرية فجاء هذا الشحنة وأخذ جماعة من
أهل القرية وأخذني معهم مكتوفاً في عرض القوس وبالع في أذى وضربني ثم
أخذ من كل واحد منهم شيئاً وأطلقهم وبقيت أنا معه فقال لي أعطني شيئاً
وخلص فقلت والله ما أملك شيئاً فأعاد عليّ الضرب والاهانة ثم قال لي اذهب
لي لعنة الله ثم أطلقني فانا لا أحب أن أرى صورة وجهه

ومن أفكاره اللطيفة أن لو زرعوا كنوز قبته ليقبوا القباب من جملتها سبب
لو زرعوا فتقدم هو الى الكتاب أن لا يكتبوا هذا لقب في القابيه وقال اني
فكرت في هذا فראيت لله تعالى قد سمى هارون وزير حتى قال عز من
قائل حكاية عن موسى عليه السلام (وجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي
شدده أرى) وسمعت عن النبي عليه السلام أنه قال (لي وزير من أهل
اسماء جبرائيل وميكائيل ووزير من أهل لارض بوبكر وعمر) وقال عليه
السلام (ان لله تعالى ختار لي أصحاباً فجعلهم وزراً وأنصاراً)

وحدث عنه بعض مجالسه قال كنا يوماً عنده فدخل الحاجب وقال
له مولانا بالباب رجل سوادى يذكر انه فلان بن فلان ومعه شملة مكورة

وهو يطالب بحضور بين يديك فعرفه الوزير وقال له أدخه . قال فدخل شيخ
طويل من أهل السواد عليه ثياب غليظة من القطن وعمامة فوط ملونة وفي
رجله جعجكان فسلم على الوزير . وقال ياسيدي أم الصغيرت يعني زوجته لم
علمت أني أجيء إلى بغداد قالت لي سلم على الشيخ يحيى بن هبيرة واستوحش
له وقد خبزت لك هذا الخبز على سمك فتبسم الوزير وهش به وقال جزاه
لله خير وحل تلك الشملة فاذ فيها خبز شعير مشطور بكافح التوت فأخذ
الوزير منه رغيفين وقال هذا نصيبي من هذه الهدية وفرق الباقي على الصدور
الحاضرين وسأل لرجل عن حوائجه وحوائج زوجته فقضاها وقال للحاضرين
هذا كان جاري في قريتي وشريكي في زريع واعرف منه الامانة

ومن حيله انه كان بعض بلاد العجم رجل كلما أقيمت الخطبة يوم الجمعة
في الجامع يقوم ويذم الخليفة ويدعو لسلطان فاقبل ذلك بالوزير ابن هبيرة
فأحضر شخصاً من أهل بغداد ومعه ن يسافر إلى تلك البلدة وعطاه عشرة
دنانير ذهباً وقرورة فيها خطر وقال له اذا دخلت ذلك البلد وحضرت يوم
الجمعة في الجامع ورأيت لرجل لدى يسب خليفة فانهض اليه وانت على زى
التجار وأمن على كلامه وظهر البكاء عند مسبة الخليفة وقل إى والله فعل الله
به وصنع وهى غربي عن عمالي ووطنى وأفقرنى غيره ثم فعل في الجمعة
كذلك وقل له قد حلفت اني أملأ فك دنانير وضع هذه الدنانير حشوها
وخرج عنه وبادر إلى استعمال هذا خطر على وجهك ولحيتك فانه يحدث في
لوجه سريرة وفي شيب لالحية سود وغير ذلك حتى لا تعرف قهلاً . ففعل
الرجل ذلك . وكانت الدنانير مسمومة فلما راح ذلك لرجل إلى بيته ما زال
يتقلقل حتى مات من يومه . واستعمل الرجل المنفذ الصبيغ فأخفى به نفسه

ورجع الى بغداد

ومن حيله انه كان يكتب الى ملوك الاطراف ملطقات صغاراً في رق خفيف ويشق في جلد ساق الركابي بمقدار ما يدخلها فيه ثم يتركه حتى يلتحم ويسيره الى حيث اراد * ومن قوة جاشه وثباته انه كان يوماً جالساً بالديوان وبين يديه الامراء والصدور والاكابر فسقطت من السقف حية كبيرة فوقعت على كتف الوزير وسرحت من كتفه الى حجره فنفر كل من كان هناك من ارباب الدولة عن مستقره ونزعجوا عن مرتبهم والوزير جالس لا يتحرك عن مكانه ولا تغير من دسسته ما كان وقع عليه شيء ثم أمر المماليك بقتلها فقتلت بين يديه

وفي الجملة فكان ابن هبيرة من أفاضل لوزراء واعيانهم واماجده . له في تدبير الدولة وضبط المملكة اليد الطولى وله في العلوم والتصانيف التبريز على اهل عصره وله اشعار كثيرة فمنها

يقين الفتى يزرى بحالة حرصه ففوة ذا عن ضعف ذا تتحصل
اذا قل مال المرء قل صديقه وقبح منه كل ما كان يجمل
وفي آخر أيامه عرض له ترايد البلغم فمات وهو ساجد * وذلك في سنة ستين وخمس مائة * انقضت أيام المقتدى لامر الله ووزرته

ثم ملك بعده ابنه المستجد بالله أبو المظفر يوسف

ببيع عقيب موت أبيه في سنة خمس وخمسين وخمس مائة . كان المستجد شهياً عارفاً بالامور والى الخلافة ازال المكوس والمظالم إلا انه فعل فعلة قبيحة . حل المقاطعات وأعادها الى الخراج . فسق ذلك على العلويين بالسكوفة والمشاهد مشقة عظيمة . ونسبوا هذا الفعل الى ابن

هيرة واعنوه بالمشاهد

وفي أيامه ابتداء فتح مصر وضعنت دولة الفاطميين بها . وفي أيام ولده
 المستضيء تكامل فتحها على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب
 ومات المستنجد مخنوقاً في الحمة خنقه أكابر دولته عقيب مرضه
 صعبة كانت قد عرضت له لانهم خافوه على أنفسهم . وذلك في سنة ست
 وستين وخمس مائة

شرح حال لوزرة في أيامه

لما بويغ بالخلافة أقر ابن هيرة وزير أبيه على وزارته وزاد في رفع
 منزلته وفد مضي من سيرة ابن هيرة ما يغني عن الاعداء

وزارة ولده محمد بن يحيى بن هيرة لقبه عز الدين

ناب عن الوزارة بعد وفاة والده . وكان فاضلاً رئيساً عبقاً بالسبادة
 شاعراً رقيق المعاني خيراً بالادب والحديث النبوي . وحبس بعد موت
 أبيه ولم يعلم خبره بعد الحبس . وروى عنه هذان البيتان أنهما له

(خفيف)

كم منحت الاحداث صبراً جميلاً واكم خلت صابها سلسيلاً

واكم قات لالذي ظل يلح نى على الوجد والاسى سلسيلاً

وزارة شرف الدين بن جعفر محمد بن أبي القتح بن البلدى للمستنجد بالله
 كان قبل لوزرة ناخراً بوسط . فبان في مدة ولايته عليها عن قوة
 وجلادة وارتفاعات نامية وحمول درة . فعظمت منزلته عند المستنجد
 وكوتب عن الخليفة الى واسط بما يقضى ان يكون وزيره وثأكد الحال في
 ذلك . فحكم حكم لوزرء وهو بوسط ووقع وكاتب ملوك الاطراف

وهو بواسط . ثم أصد إلى بغداد فخرج الموكب لتلقيه وفيه جميع أعيان الدولة . وكان عضد الدين أبو الفرج محمد بن رئيس لرؤساء أستاذ الدر بينه وبين ابن البلدى كدر فكره عضد الدين الخروج إلى تلقيه . وقد كان الخليفة تقدم إليه بالخروج فبذل خمسة الف دينار على أن يعفى من الخروج إليه فقال الخليفة إن عجلها نقداً أعفيت من الخروج فوزنت في الحال وحملت فلما صارت في الحزن تقدم الخليفة إليه بالخروج لتلقى الوزير . وقيل له هذا المال جناية عن كونك تكره ما تؤثر وترجع في التقدّمات الشريفة فذهب المال منه وخرج عابراً إلى الجانب الغربى صحبة الموكب . ومضى الناس كلهم إلى صرصر فتلقوه هناك . فلما وقعت عين عضد الدين أستاذ الدار على الوزير أراد عضد الدين أن يترجل فصاح به الوزير والله أئن ترجأت ترجأت أنا أيضاً فخدمه . ثم اعتنقا على ظهور الدوب . وسار بين يديه ووصل الوزير إلى محاذاة التاج . وعبر في سفينة وحضر بين يدي الخليفة . فشافه بالوزارة وخلعت عليه خلع الوزارة وأكده عليه النهوض بالمهام لديوانه فنهض بأعباء الوزارة وما زال أمره على السدد إلى أن جرى للمسنّب ما جرى من تغلب عضد الدين أستاذ الدر وأكابر الامر عليه وإدخاله الحمام وهو مريض حتى مات من حرارة . ثم ن عضد الدين أستاذ الدار أخرج ولده المستضى وباعه وشرط عليه شروطاً وأحلته عليها أيماناً مؤكدة . منها أن يكون هو وزيراً . وأن يكون ولده أستاذ الدر . وفلان أمير العسكر . وفلان كاذب وكذّاب . فالتزم المستضى بالحسم بذلك وحلف أيماناً غليظة . ثم بوع المستضى في باطن الدار البيعة الخاصة وستدعى الوزير ابن البلدى ليبيع . فلما حضر الدر عدل به إلى مكان وضربت فيه عنقه وأخرج

فرمي على مزبلة باب المراتب . ثم سحّب والقي في دجلة . وكان حسن الطريقة
مشكور الاخلاق * انقضت أيام المستنجد بالله ووزرائه

ثم ملك بعده ولده المستضيء ابو محمد الحسن بن المستنجد بالله .
بويح في سنة ست وستين وخمس مائة . لم يكن بسيرته بأس * في أيامه
وردت البشائر الى بغداد بفتح مصر وقرض الدولة الفاطمية
ولما جلس على سرير الخلافة تقدم بقتل ابن البلدي وزير أبيه * وتوفي
في سنة خمس وسبعين وخمس مائة

(شرح حال الوزارة في أيامه)

أول وزرائه عضد الدين أبو الفرج محمد بن أبي الفتح عبد الله بن
رئيس الرؤساء الذي كان قبل ذلك أستاذ الدار

كان عضد الدين من أفاضل الناس وأعيانهم . وكان أستاذ الدار في أيام
المستنجد . فلما جرى للمستنجد ما جرى استولى عضد الدين ونهض في
إخراج المستضيء من الحبس ومبايعته وأحلافه فاستوزره المستضيء . ونهض
عضد الدين بأعباء الوزارة نهوضاً مرضياً وفرق في يوم جلوسه في دست الوزارة
ذهباً كثيراً وحنطة على المقيمين بالمشاهد والجوامع والمدارس والربط
ونلطف بالأمور نطقاً لم يكن في حساب الناس وبيته بيت مشهور بالرئاسة
يعرفون قديماً بيت الرفيل . وكان بن التعاويذى الشاعر البغدادى شاعره

ومنقطعاً اليهم واتفق جل عمرهم ولهم يخاطب بقوله (سريع)

قضيت شطر العمر في مدحك ظناً بكم انك أهله

وعدت أفنيه هجاء لك فضع فيكم عمرى كله

وله فيهم مدائح كثيرة فمن جملها

(طويل)

وما زلت في آل الرفيل بمعزل عن الجور مبذولا إلى الأمن والحصب
فان أقترف ذنباً بمدح سواهم فان خماص الطير يقنصها الحب
وان عاد لي عطف الوزير محمد فقد أكشب النأي ولان لي الصعب
وزير اذا اعتل الزمان فرأيه هناء به تطلّى خلاشقه الجرب
وما زال أمر عضد الدين يجري على السداد حتى عزله المستضيء وقبض
عليه * وصورة عزله كان يوماً جالساً في الدست فهجم عليه خادم من خدم
الخليفة فقال له قد استغنى عنك . ثم أطبق دواته ودخل الاتراك والجنود إلى
دوره فنهبوا ما بها ودخل العوام ايضاً وكسرت الصناديق الآبنوس والعاج
بالدبابيس وأخذ جميع ما كان بها . فخرج عضد الدين وهو يتشاهد ويقول
الاتراك أما تستحيون مني . أما دخلتم داري . أما أكلتم زادي فلم ينفعه ذلك فلم
يمض الا ساعة واحدة حتى صارت داره بلاقع . ثم حمل إلى الحريم ووكّل به
هناك مدة . ثم أعاده المستضيء إلى الوزارة وحكمه وبسطه فصفت له الدنيا
وعظم شأنه وكثرت خيراته وهباته وأحبه الناس . وكان سخياً وهو بآ شريف
النفس * قيل انه ما اشترى لداره قط سكرّاً بأقل من الف دينار

حدث عنه بعض مماليكه قال احتاج مرة إلى الف دينار فأنفقت نفسه
أن يقترضها من أولاده أو من غيره . وكان يأنس بن . فقال لي يا ولدي قد
احتجت إلى الف دينار أعيدها عليك بعد أيام فقلت السمع والطاعة يا مولاي
ثم مضيت وأحضرت له خمسة الف دينار وقلت يا مولاي هذه والله
اكتسبتها منك فخذ منها ما شئت فأطرق ساعة ثم قال والله لا أخذت منها
حبة واحدة خذها وانصرف . ثم أنشد

(كامل)

والصاحب المتبوع يقبح أن يرى متبوعاً ما في يدي أتباعه
ولم يزل أمره في الوزارة الثانية جارياً على السداد حتى كان آخر مدته
فطلب من الخليفة الإذن له في الحج فأذن له فجهز تجهزاً لم ير مثله. ثم عبر إلى
الجانب الغربي من مدينة السلام ليتوجه إلى الحلة والكوفة ومنها إلى مكة
وبين يديه جميع أرباب الدولة. فلقيه رجل عند محلة هناك تعرف بقطفتنا فقال
يا مولانا مظلوم مظلوم وناولته قصة. فتناولها الوزير منه. فوثب عليه وثبة عالية
وضربه بسكين في رقوته. ووثب عليه آخر من الجانب الآخر فضربه في
خاصرته. ووثب آخر ويده سكين مسلولة فلم يصل إليه وتكاثر الناس على
الثلاثة فقتلوه. ثم مات الوزير وصلى عليه ودفن في تربتهم. وقيل إن الثلاثة
الذين قتلوه كانوا من الباطنية من جبل الساق

وحكى بعض أهل قطفتنا قال دخلت قبل قتل الوزير بساعين إلى مسجد
هناك فرأيت به ثلاثة رجال وقد قدموا واحداً منهم إلى المحراب وأناهوه ثم
صلى الرجلان الآخران عليه صلاة الميت ثم قام ونام آخر وصلى الآخران
عليه حتى صلى كل واحد منهم على الآخر وأنا أراهم وهم لا يروني فعجبت مما
فعلوا ثم لما قتل الوزير وقتل الثلاثة نأملت وجوههم فاذا هم

«وزارة ظهير الدين أبي بكر منصور بن أبي القاسم نصر بن العطار»
كان تاجراً في ابتداء أمره. ثم مازج المتصرفين ونفق على المستضيء
فاستوزرده. وكان ثقیل الوطأة على الرعية وكانت العامة تبغضه. فبقى إلى أن مات
المستضيء وولى الناصر وهو آخر وزراء المستضيء. «انقضت أيام المستضيء»
وووزرائه

ثم ملك بعده ابنه الامام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله .

بويغ بالخلافة في سنة خمس وسبعين وخمس مائة

كان الناصر من أفاضل الخلفاء وأعيانهم بصيراً بالأمور مجرباً سائساً
مريباً مقداماً عارفاً شجاعاً متأيّداً حاد الخاطر والنادرة متوقفاً لذكاء والفطنة
لبليغاً غير مدافع عن فضيلة عم ولا نادرة فهم يفاوض العلماء مفاوضة خبير
ويمارس الأمور السلطانية بمروسة بصير . وكان يرى رأى الامامية . طالت
مدته وصفا له الملك وأحب مباشرة أحوال الرعية بنفسه حتى كان يتمشى في
ليل في دروب بغداد ليعرف أخبار الرعية وما يدور بينهم . وكان كل أحد من
رباب المناصب والرعايا يخافه ويحاذره بحيث كأنه يطلع عليه في داره . وكثرت
جواسيسه وأصحاب أخباره عند السلاطين وفي أطراف البلاد . وله في مثل
هذه قصص غريبة . وصنف كتباً . وسمع الحديث النبوي صلوات الله على
صاحبه وأسمعه . ولبس لباس الفتوة وألبسه . وتفقى له خلق كثيرون من شرق
لأرض وغربها . ورمى بالندق . ورمى له ناس كثيرون . وكان باقعة زمانه ورجل
عصره . في أيامه انقرضت دولة آل سلجوق بالكلية . وكان للناصر من المبار
والوقوف ما يفوت لحصر . وبني من دور الضيافات والمساجد والربط ما
يتجاوز حد الكثرة . وكان مع ذلك يخل . وكان وقته مصروفاً لى تدبير أمور
المملكة وإلى التولية والعزل والمصادرة وتحصيل الأموال . يقال عنه انه ملأ
بركة من لذهب فرآها يوماً وقد بقي يعوزها حتى تمتلئ وتفيض شئ يسير
فقال ترى أعيش حتى ملأها فت قبل ذلك . ويقال ان المستنصر شاهد هذه
البركة فقال ترى أعيش حتى أفيها وكذلك فعل . مات الناصر في سنة اثنين
وعشرين وستمائة

شرح حال الوزارة في أيامه

لما بويغ الناصر بالخلافة أقر ابن العطار وزير أبيه على قاعدته أياما يسيرة ثم نكبه وقبض عليه وحبسه في باطن دار الخلافة . ثم أخرج بعد أيام ميتا فسيء إلى أخته لتجهزه وتدفعه فغسلته وأخرجته في تابوت على رأس حمال لتدفعه فغمز به بعض الناس فرجموه فرمى الحمال بالتابوت وهرب فأخذ العوام وأخرجوه من التابوت ومثلوا به وشدوا في رجله حبلا وفي ذكره وسحبوه ووضعوا في يده خشبة ولطخواها بالعذرة ونادوا به يامولانا ظهير الدين وقع لنا

ومن طريف ما وقع في ذلك أن بعض الاتراك عمر حماما وجعل مجراته تجوز على دار بعض الجيران فنأذى ذلك الجار بتلك المجرة فشكا ذلك إلى الوزير فزبره ولم يأخذ بيده وقال له ان لم تسكت والا جعلت رأسك في المجرة فيقال ان ابن العطار لما سحبه العوام ومثلوا به اجتازوا به على باب الحمام المذكور فاتفق انه وقع في المجرة فسحبوه فيها خطوات فتعجب الناس من ذلك

(وزارة جلال الدين أبي المظفر عبيد الله) *

كان في ابتداء أمره أحد الشهود المعدلين . ثم تقلبت به الاحوال حتى بلغ الوزارة . وأرسله الناصر صحبة عسكر كشف إلى محاربة السلطان طغرل بن أرسلان بن طغرل السلجوقي فالتقى . فكانت الغلبة لعسكر السلطان وانهمز عسكر الخليفة وثبت الوزير فأسر ومكث مدة في الاسر . ثم أطلق فوصل إلى بغداد متخفيا ولم تطل مدته بعد ذلك

* (وزارة معز الدين سعيد بن علي بن حديد الانصاري) *
 كان رجلا فاضلا متصونا موسرا كثير المال : روى ان نقيب البصرة
 ابا جعفر محمد بن ابي طالب الشاعر اصعد الى بغداد متظلما الى هذا الوزير من
 ناظر البصرة وانشده قصيدة من جملتها

(كامل)

وقبائل الانصار غير فليانة	الكن بنو غنم لاخير
منهم ابو ايوب حل محمد	في دره واخاره المختار
انامنه في النسب الصريح ونت من	ذلك القليل فلي بذك جور
ولقد نزلت عليك مثل نزوله	في درجك والنزيل يجدر
فعلاهم اظلم والنبي محمد	انمي اليه وقومك الانصار

قالوا فلما سمعها الوزير رق له وبكى وخلع عليه ووصاه وقضى حوائجه
 وانصفه من ناظر البصرة وعزله ومات الوزير المذكور معزولا في سنة ست
 عشرة وثمانية

* وزارة مؤيد الدين بي المظفر محمد بن احمد بن القصاب *
 هو انجمي الاصل . كان يوه يبيع الخبز على رأس درب البصريين ببغداد
 ونشأ هو مشغلا بالعلوم والآداب وبرع في علوم المتصرفين . كالحساب
 ومعرفة الكروث . والمساحات . والمقاسمات . ثم تبصر بأسباب الوزارة
 وكانت نفسه قوية وهمة عالية . قاد العساكر وفتح الفتوح . وجمع بين
 رئاستي السيف والقيم . ومضى الى بلاد خوزستان وفتحها وقرر امورها
 وقواعدها . ثم مضى الى بلاد العجم وصحبته العساكر فمات كثيرا . ثم دركه
 جله فمات هناك

✽ وزارة السيد نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي الرازي للناصر ✽
 هو ما زنديراني المولد والاصل . رازي المنشأ . بغدادى الدين والوفاة
 كان من كثافة الرجال وفضلاتهم واعيانهم وذوى الميزة منهم . اشتغل
 بالآداب فى صباه فحصل منها طرفاً صالحاً ثم تبصر بامور الدواوين ففاق فيها
 كان فى ابتداء أمره ينوب عن النقيب عز الدين المرتضى القسمى نقيب
 بلاد العجم كلها ومنه استفاد قوانين الرئاسة وكان عز الدين النقيب من اماجد
 العالم وعظماء السادات . فلما قتل النقيب عز الدين . قنله علاء الدين خوارزمشاه
 هرب ولده النقيب شرف الدين . قصد مدينة السلام مستجيراً بالخليفة
 الناصر وصحبته نائبه نصير الدين بن المهدي وكان من عقلاء الرجال فاختره
 الناصر فرآه عاقلاً لبيباً سديداً فصار يستشير به سرا فيما يتعلق بملوك
 الاطراف فوجد عنده خبرة تامة باحوال سلاطين العجم ومعرفة باموره
 وقواعده وأخلاق كل واحد منهم فكان الناصر كلما استشار به فى شئ من
 ذاك يجده مصيباً عين الصواب . فاستخلصه لنفسه ورتبه اولاً نقيب الطالبين
 ثم فوض اليه امور الوزارة فكث فيها مدة تجرى أموره على أتم سداد . وكان
 كريماً وصولاً على المهمة شريف النفس * حدث عنه انه كان يوماً جالساً فى
 دست الوزارة وفى يده قطعة عود كبيرة فرأى الوزير بعض الصدور الحاضرين
 وهو يلح بالنظر اليها فقال له تعجبتك هذه فدعا له فوهبه اياها وقام الرجل
 اخرج فلما بعد عن مجلس الوزير استدعاه بسرعة وقال له تريد أن تفضحنى
 وتصدق المثل فينا (بخرد عريان) ثم أمر فخلع عليه ودفع اليه تحت ثياب
 وقال له تجر فى هذه الثياب * ومدحه الابهري الشاعر الاعجمي بقصيدة
 مشهورة فى العجم من جملة مدحها

(بسيط)

وزير مشرق ومغرب نصير ملت ودين كه بدريت عايش تا ابد منصور
صرير كلك تودر كشف مشكلات امور كه جو نغمه داود در آداء زبور
وأرسلها الابهري صحبة بعض التجار مع بعض الققول . وقال للتاجر
أوصلها الى الوزير وان قدرت أن لا تعلمه من قائلها فافعل . فلما عرضت
القصيدة على الوزير استحسناها وطلب التاجر ودفع اليه الف دينار ذهباً وقال
هذه تسلمها الى الابهري ولا تعلمه ممن هي

وقبض الناصر عليه كارهاً لأمر قتل ذلك . وكان القبض عليه
في سنة أربع وستائة . ونقل الى دار الخلافة فأقام بها تحت الاستظهار
على حالة الاكرام والمرعاة الى أن مات تحت الاستظهار في سنة سبع
عشرة وستائة

وزارة مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بر النعمى للمناصرة

هو قمي الاصل والمولد . بعد ذي المنشأ والوفاة . ينسب الى المنداد بن
الاسود الكندي . كان رحمه الله بصيراً بأمر الملك خبيراً بأدب الرئاسة
عالماً بالقوانين . عارفاً باصطلاح الدواوين . خبيراً بالحساب . ريان من فنون
لادب . حافظاً لمحاسن الاشعار . راوياً لطرائف الاخبار . وكان جديداً على
ممارسة الامور الديوانية . ملازماً لها من الغدوة الى العشية . وكان في
ابتداء أمره قد تعلق بخدمة سلاطين العجم . وكان يلوذ ببعض وزراء العجم
باصفهان في حال صباه ولم يبلغ العشرين من عمره . وكان ذلك الوزير قد
ضجر من الكتاب الذين بين يديه ونسبهم الى أنهم يخالفون تقدماته فأبعد
عنه واستكتب القمي فنام منه انه مجرد حديثه منه لا يقدم على مخالفة ما يشير

به . فكث القمى بكتب بين يديه مدة . ففى بعض الايام أحضرت بين
يدى الوزير جملة من الثياب النسيج بعضها صحيح وبعضها مقطوع . فأحضر
القمى بين يديه ليثبت عددها ويحملها الى خزانة . وكان الوزير يورد عليه
كذا وكذا ثوباً صحاحاً فيكتب القمى كذا وكذا ثوباً وما يكتب لفظة صحاحاً
فقال له الوزير : لا تكتب كما أقول لك . فقال يا مولانا لا حاجة الى ذكر
الصاح . فاني اذا وصلت الى ذكر ثوب مقطوع ذكرت تحته أنه مقطوع
فتخصيص المقطوع بالذكر يدل على أن ما لم يوصف بالمقطع صحيح . فقال
الوزير لا بل اكتب كما أقول . فرجعه القمى . فخرد الوزير لذلك وارفع صوته
والنفث الى الحاضرين . وقال : ناعزات الكتب الكبار الذين كانوا عندي
لأجل مخالفتهم ولجاجهم فيما أقوله . وستكتب هذا الصبي ظناً مني انه لخدانة
سنة لا يكون عنده من التجروء والخانة ما عنده فاذا هو أشد مخالفة من
وائك . فخرج بعض خدام السلطان من بين يديه . وكان جالساً قريباً من
مجلس الوزير وسأل عن كثرة النسيج وحرد الوزير . فعرف الخادم صورة
ما جرى بين الوزير والقمى . فدخل وحكى لسلطان ما قيل . فقال له اخرج
وقل للوزير الحق ما عهده الصبي الكاتب . فقبل القمى في عيون الناس وعلت
منزلته وأنس القمى بهذا الخادم وصار خادماً يستشير ويسكن اليه ويأنس به
فاتفق أن السلطان عين على هذا الخادم وعلى رجل آخر ليتوجها في رسالة
الى ديون خليفة فأنس خادماً أن يكون القمى صبيته فأرسل صبيته فتوجهوا
الى بغداد وحضر الخادم ورفيقه عند الوزير بن الفصاح فشافهوه بالرسالة
وسمعو الجواب . وكان جواباً غير مطابق لرساله . ولكنه كان نوعاً من
المفاطاة ففزع الخادم ورفيقه بذلك الجواب . وما تلبهوا على فسادهم وخرجوا

فرجع القمى ووقف بين يدي الوزير وحادثه سرا وقال له يا مولانا الجواب غير مطابق لما أنباه المالىك . فقال له الوزير صدقت . ولكن دعهم على غباوتهم ولا تفتنهم الى ذاك . فقال السمع والطاعة . ثم ان ابن القصاب كتب الى الخليفة يقول له انه قد وصل صحبة خادم السلطان فلان شاب قمى قد جرى من تنبهه كيت وكيت . ومثل هذا يجب أن يصطنع ويحسن اليه ويستخدم . فكتب الخليفة اليه يأمره بأن لا يمكنه من التوجه معهم . فعمل له حجة وقطع عنهم فتوجهوا . وأقام القمى ببغداد فعين عليه فى كتابة الانشاء فكث على ذات مدة . ثم تولى الوزارة وتمكن فى الدولة تمكنا لم يتمكن مثله أحد من أمثاله . وكان أوحد زمانه فى كل شئ حسن . كثير البر والخير والصدقات

حدث عنه مملوكه بدر لدين آياز . قال طلب ليلة من الليالى حلاوة النبات فعمل فى الحال منها صحون كثيرة وأحضرت بين يديه فى ذاك الليل فقال لى يا آياز تقدر تدخر هذه الحلاوة لى موفرة الى يوم القيامة . فقلت يا مولانا وكيف يكون ذاك وهل يمكن هذا . قال نعم . تمضى فى هذه الساعة الى مشهد موسى و جواد عليهما السلام . وتضع هذه لاصحن قدام أيتام العلويين فانها تدخر لى موفرة الى يوم القيامة . قال آياز فقلت السمع والطاعة . ومضيت وكان نصف الليل الى المشهد وفتحت الابواب وأنهيت الصبيان الايتام ووضعت لاصحن بين يديهم ورجعت

وما زال القمى على سدد من أمره . تولى الوزارة للناصر . ثم لما ظهر نم للمستنصر حتى قبض عليه المستنصر وحبسه فى باطن دار الخلافة مدة فرض وأخرج مريضاً فمات رحمه الله فى سنة تسع وعشرين وستمائة

انقضت أيام الناصر لدين الله ووزرائه

ثم ملك بعده ولده أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله
بويغ في سنة اثنتين وعشرين وستمائة

لم تطل أيامه ولم يجر فيها ما يسطر سوى احتراق القبة الشريفة بمشهد
موسى والجواد عليهما السلام . فشرع الظاهر في عمرتها . فمات ولم تفرغ
فتممها المستنصر

وأيضاً فإن الظاهر هو الذي عمل هذا الجسر الجديد الموجود الآن
بغداد . ولما فرغ عمل الشعراء فيه المدائح ووصفوا الجسر فيها . فمن نظم
في ذلك شعراً موفق الدين القسم بن أبي الحديد كاتب الانشاء وهو قوله
(متقارب)

إمام يحرم ذل السؤال	ويعمل بالكرم الواجب
أقام طريقاً على دجلة	لدى القصد منه وللذهاب
فعارض جسراً على جانب	بجسر جديد على جانب
كسطين في كاغد أبيض	أجادهما قلم الكاتب
كمخنقتي عنبر ضمتا	ياض الترائب من كاعب
كصفين من إبل أصبحا	وقوفا على جدد لاحب

ومات الظاهر في سنة ثلاث وعشرين وستمائة

شرح حال الوزارة في أيامه

أقر القمى وزير أبيه على وزارته ولم يستوزر غيره

ثم ملك بعده ولده أبو جعفر المنصور المستنصر بالله

بويغ بالخلافة في سنة ثلاث وعشرين وستمائة

كان المستنصر شهماً جواداً يبارى الريح كرمًا وجوداً . وكانت هباته وعطاياه أشهر من أن يدل عليها وأعظم من أن تحصى . ولو قيل انه لم يكن في خلفاء بني العباس مثله لصدق القائل . وله الآثار الجليلة . منها وهي أعظمها المستنصرية وهي أعظم من أن توصف . وشهرتها تغنى عن وصفها . ومنها خان حربى وقنطرتها وخان نهر سابس بأعمال واسط . وخان الحرينى وغير ذلك من المساجد والربط ودور الضيافات . وكان المستنصر يقول انى أخاف أن الله لا يثيبنى على ما أهبه وأعطيه لان الله تعالى يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وأنا والله لا فرق عندى بين التراب والذهب

كانت أيامه طيبة . والدنيا فى زمانه ساكنة . والخيرات دارة والاعمال عامرة . وفى أيامه فتحت إربل . أرسل المستنصر اليها إقبالا الشرابى وصحبته عارض الجيوش . وذلك عند وفاة صاحبها مظفر الدين بن زين الدين على كوجك . ومات المستنصر فى سنة أربعين وستمائة

﴿ شرح حال الوزارة فى أيامه ﴾

لما بويع بالخلافة أقر القمى وزير أبيه وجده على وزارته سفوات . ثم قبض عليه وجرى له ما تقدم شرحه

﴿ وزارة نصير الدين أبى الازهر أحمد بن محمد بن الناقذ ﴾

ثم استوزر المستنصر بعد القمى أبى الازهر أحمد بن الناقذ . كان فى ابتداء أمره وكيلاً للمستنصر فكثرت مدة فى الوكالة . ثم انتقل منها الى أستاذية الدار ثم منها الى الوزارة فهض بأعبائها نهوضاً حسناً . وقام بضبط المملكة قياماً مرضياً . وكان عظيم الامانة قوى السياسة شديد الهيبة على المتصرفين حاسماً لمواد الأطماع والفساد . قيل انه هجى بيتين فلما سمعها استحسناها وهما

(بسيط)

وزيرنا زاهد والناس قد زهدوا فيه فكل عن المذات منكش
 أيامه مثل شهر الصوم خالية من المعاصي وفيها الجوع والعطش
 وما زالت السعادة تخدمه الى آخر عمره . فن جملة سعادته وهو من
 الاتفاقات العجيبة ما حدث عنه . وهو أنه قبل الوزارة عمل في بعض الاعياد
 سنبوسجا كثيرا . وأحب ان يدعب بعض أصحابه . فأمر ان يحشى سبعون
 سنبوسجة بحب قطن ونخالة وتجعل مفردة وعمل سنبوسجا كثيرا جاري
 العادة . وركب الى دار الخليفة فطلب منه عمل شيء من السنبوسج فذكر ان
 عنده شيئا مزروغا منه . وأمر خادما له باحضار ما عنده من السنبوسج فمضى
 الخادم عن غير معرفة بذلك المحشو بحب القطن ومزج الجميع ووضع في
 الأطباق ليحمله الى دار الخليفة . فجاء الجوارى وخدم وقالوا أعطونا حصتنا
 من هذا فأخذوا منه مائة سنبوسجة وحمل الخادم الأطباق بما فيها الى دار
 الخليفة . فلما حمل السنبوسج وصار بدار الخليفة ورجع ابن الناقد الى داره سأل
 عن السنبوسج المحشو بحب القطن . فقالوا له ما عرفنا بشيء من ذلك وفلان
 الخادم جاء ومزج الجميع وأخذه ومضى فلم يشك أنه هالك وكادت تسقط
 قوته خوفا وخجلا فقال أما تخلف منه شيء قط قالوا قد اقتطع الجوارى
 والخدم منه حدود مائة سنبوسجة فقال أحضروها فأحضرت وفتحت بين
 تديه فوجد السبعون سنبوسجة المحشوة بحب القطن قد حصلت بأيدي
 الجوارى وخدم في جملة ما أخذوا لأنفسهم لم تشذ منها واحدة الى دار
 الخليفة . ومات نصير الدين في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة في خلافة المستعصم
 انقضت أيام المستنصر ووزرائه

ثم ملك بعده ولده أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله ..

يؤلف له باختلافه في سنة أربع وسبعمائة . هو آخر خلفاء

كان المستعصم رجلاً خيراً متديناً من خانب - بن العربي عفيف اللسان
والفرج جميل كتابه في معالي وأكسب خطاً مبهجاً وكان - بن لا خلاق وكان
خفيف الوطأة لأنه كان مسنضعف رأى ضعف البطش فبطل خبذه
أهول المملكة مطعون فيه غير مهيب في النفوس ولا مطاع على حقائق
الأمور . وكان زمانه ينفضي كمد البسماح لأناني والتفرج على المساخره . وفي
بعض الاوقات يجلس بخزانة الكتب جالساً اسببه أمير فئذ . وكان شجاعه
مستواين عليه وكلام جميل من رذل العوام لا وزبره مؤيد لدين محمد بن
العلقي . فانه كان من عمان لئس وعقلاء لرجل . وكان مكفوف الدمردود
القول يترقب العزل و التقبض صباح مساء

وكانت عادة خلفاء كثير من نجسوا ولادته وفريقه . وبذلك جرت
سنتهم الى آخر أيام المستعصم . فابن المستعصم طلق ولادته الثلاثة وهم
نجسهم . وهم الامير الكبير أبو عباس محمد والعمدة تسميه بأبكر واس
صحيح ونم سبوه بذلك لأنه لم يهب الكرخ نسب الامير في ذات اليه
وفيل انه هو الذي اشار بذلك . والامير الأوسط وهو أبو الفضائل عبد
الرحمن . كان شهيداً خرج الى بين يدي السلطان هو لا كور ومع كلامه بموضع
لاستحسان في حضرة السلطنة . والامير الأصغر أبو المنان

حدثني صفي الدين عبد المؤمن بن فاخر لارموي . وكان قد صار في
آخر أيام المستعصم مقرباً عندده ومن خواصه وكان قد سجد في آخر أيامه
خزانة كتب . ونقل اليه من نفائس الكتب ومعه مقادير من عبد المؤمن فصار

عبد المؤمن يجلس باب خزانة نسخ له ما يريد. وذا خطر الخليفة الجلوس في خزانة الكتب جاء إليها وعدل عن خزانة الاولى التي كانت مسلمة الى الشيخ صدر الدين علي بن النيار. قال اعني عبد المؤمن كنت مرة جالسا في حجرة صغيرة وأنا أنسخ وهناك مرتبة برسم الخليفة اذا جاء الى هناك جلس عليها وفد سبط عليها ملحفة لترد عنها الغبار. فجاء خويدم صغير ونام قريبا من المرتبة المذكورة وستغرق في النوم فتقلب حتى تلف في ثلاث الملحفة المبسوطة على المرتبة ثم قلب حتى صارت رجلاه على المسند قال وأنا مشغول بالنسخ فأحسست بوطأ في الدهليز. فنظرت فإذا هو خليفة وهو يستدعيني بالإشارة ويختف وطأ فقامت اليه منزعا وقلت الارض. فقال لي هذا خويدم الذي قد نام حتى تلف في هذه الملحفة وصارت رجلاه على المسند متى هجمت عليه حتى يستيقظ ويعلم أنني قد شاهدته على هذه الحال تنفطر مرارته من الخوف فيأقظه أنت برفق فاني سأخرج الى البستان ثم أعود. قال وخرج الخليفة فدخلت الى الخويدم وأيقظته فأتته ثم أصلحنا المرتبة ثم دخل الخليفة

وحدثني بعض أهل بغداد قال حدثت أن الشيخ صدر الدين بن النيار شيخ الخليفة قال دخلت مرة الى خزانة الكتب على عادتي وفي كفي منديل فيه رقاع كثيرة للجماعة من أرباب خوارج فطرحوا المنديل وفيه الرقاع في موضعي ثم قمت لبعض شأن فلما عدت الى الخزانة بعد ساعة حلت الرقاع من المنديل حتى أناملها واقدم منها المهم فرأيته جميعا وعليها توقيع خليفة. بالاجابة الى جميع ما فيها فعلمت ان خليفة قد جاء الى الخزانة عند قيامي فرأى المنديل وفيه الرقاع ففتحها ووقع على جميعها. والمستعصم هو آخر خلفاء الدولة

العباسية ببغداد * ولم يحرف أيام المستعصم شيء يؤثر سوى نهب الكرخ وبئس
الآثر ذلك

وفي آخر أيامه قويت لأرجيف بوصول عسكر المغول صحبة السلطان
هولاكو فلم يحرك ذلك منه عزماً ولا نية منه همة ولا أحدث عنده ما
وكان كلما سمع عن السلطان من الاحتياط والاستعداد شيء ظهر من خليفة
تقيصته من التفريط والاهمال ولم يكن يتصور حقيقة الحال في ذلك ولا يعرف
هذه الدولة يسر الله إحسانها وأعلى شأنها حق المعرفة . وكان وزيره مؤيد
الدين بن العلقمي يعرف حقيقة الحال في ذلك ويكتبه بالتحذير والتنبه وينبئ
عليه بالتيقظ والاحتياط والاستعداد وهو لا يزداد إلا غفولاً . وكان خواصه
يوهمونه أنه ليس في هذا كبير خطر ولا هناك محذور وأن لوزير إنما يعظم
هذا لينفق سوقه ولتبرز إليه الأموال ليجندها بالعساكر فيقتطع منها لنفسه
وما زالت غلبة الخليفة تمي ويقظة جانب الآخر تضعف حتى وصل
العسكر السلطاني إلى همدان وأقام بهامديدة . ثم تواترت لرسول السلطانية إلى
الديوان المستعصمي فوقع النعيبين من ديوان الخليفة على ولد أسناده الذي هو
شرف الدين عبد الله بن الجوزي . فبعث رسولاً إلى خدمته لدركاه السلطانية
بهمدان فلما وصل وسمع جوابه علم أنه جواب مغالطة ومدفعة . فحينئذ وقع
الشروع في قصد بغداد وبث العساكر إليها . فنوجه عسكر كثيف من المغول
والمقدم عليهم باجو إلى تكريت ليعبروا من هناك إلى الجانب الغربي ويقصدون
بغداد من غربيها ويقصدوا العسكر السلطاني من شرقيها . فلما عبر عسكر
باجو من تكريت وانحدر إلى أعمال بغداد أجفل الناس من دجيل . والاسحاق
ونهر ملك . ونهر عيسى . ودخلوا إلى المدينة بنسأهم وأولادهم حتى كان لرجل

أو المرأة يقذف بنفسه في الماء . وكان الملاح ذ عير حذاء في سفينة من جانب
الى جانب يأخذ أجرته سوار من ذهب و سرزاً من زركش و عده من
الدنانير فلما وصل العسكر السلطاني الى دجيل وهو يزيد على ثلاثين الف
فارس خرج اليه عسكر خليفة صحبة مقدم جيوش مجاهد لدين بيك
لديدار . وكان عسكر في نية الغلبة فالتقوا بجانب الغربي من بغداد قريباً
من البلد . فكانت الغلبة في أول الامر لعسكر خليفة . كانت الكرة للعسكر
السلطاني فبادروا قتالا و شراً و ثبته على ذلك نهر فتجود في طول الليل
فكثرت الحوادث في صريق المبرز من فم نبع منهم لا من رمى نفسه في
الماء و من دخل البرية ومضى على وجهه من الشأم . ونجا لديدار في جمعة
من عسكر دودس الى بغداد . و ساق جوحى دخل البلد من جانبه الغربي
ووقف بعساكرد محاذي الناح . وجست عساكرد خلال لدير . و أفاد محاذي
الناح أيم .

و حل لعسكر اسداني فانهن بود خمسين رابع محرم من سنة ست
و خمسين و سنة ثار نبرد عظيمة بين بغداد على درب عقوب بحيث تمت
البلاد فخرج الناس من ذلك و ساعدوا الى عالي السطوح و المناير يتشرفون
فانكسفت الغيرة عن عساكر السلطان و خيول و اتيه و كراعه و قد طبع
وجه الارض و حاط بغداد من جميع جهات . و شرعوا استعمال اسباب
خصار و سارع العسكر الخليلي في المدد و المدد و المدد الى بود ناسع عشر
محرم فم يشهر الناس لا ورت المنون فمرد على سور بغداد من برج
يسمى برج العجوى من ناحية باب من باب بغداد بل له باب كاوازي
وكان هذا البرج قصر برج اسور . و نتجه لعسكر السلطاني هجوماً

ودخولا . جري من القتل الذريع . والنهب العظيم . وتمثيل البليغ ما يعظم
مما به حجة في الظن بتفصيله . وكان ما كان مما استأذكره . فظن ظناً
ولا تسئل عن الخبر

وأمر السلطان بمخرج الخليفة وولده ونسائه اليه فخرجوا فحضر الخليفة
بن يدى الدرگاه . فيقال أنه عوتب ووبخ بمعناه نسبة العجز والتفريط
والنفول اليه . ثم أوصل إلى الياسا وولده الاكبر والاوسط . وأما بناته
فأسرن . ثم استشهد المستعصم في ربيع صفر سنة ست وخمسين وستمائة
شرح حال الوزرقة في أيامه .

لما بويع بالخلافة أمر وزير بيته وهو نصير لدين أحمد بن الناقذ على
وزرته إلى أن توفي . فلما توفي ستوزر مؤيد لدين محمد بن العلقمي
وزارة مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد بن العلقمي .

هو أسدي أصلهم من النيل . وقيل جده العلقمي لأنه حفر النهر
لمسمى بالعلقمي . وهو لدى برز لأمر الشريف السلطاني بحفره . وسمى
الغازاني . شغل نصاباً بالأدب فثاق فيه . وكتب خطاً مليحاً . وترسل
ترسلاً فصيحاً وضبط ضبطاً صحيحاً . وكان رجلاً فاضلاً كاملاً أميناً كريماً
وقوراً محباً للارثاسة كثير التجميل رئيساً متمسكاً بقوانين الارثاسة خيراً بأدوات
السياسة لبيت لأعطاف آيات وزرقة . وكان يحب أهل الأدب ويقرب
أهل العلم حتى كتبوا كتبه نفيسة

حدثني ولده سرف لدين أبو القاسم علي رحمة الله . قال شملت خزنة
والدي على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب . وصنف الناس له الكتب
فمن صنف له الصغائر . فغوى . صنف له العجائب . وهو كتاب عظيم كبير في اللغة

العرب . وصنف له عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد كتاب شرح نهج
البلاغة يشتمل على عشرين مجلداً فأثابهما وأحسن جائزتهما . وكان ممدحاً مدحه
الشعراء . وانتجعه الفضلاء . فمن مدحه كمال الدين بن البوقى بقصيدة من
جملتها (سريع)

مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمى الوزير

وهذا بيت حسن جمع فيه بين لقبه وكنيته واسمه واسم أبيه وصنعه
وكان مؤيد الدين الوزير عفيفاً عن أموال الديوان وأموال الرعية
متنزهاً مترفعاً

قيل ان بدر الدين صاحب الموصل أهدى اليه هدية تشتمل على كتب
وثياب ولطائف قيمتها عشرة الف دينار . فلما وصلت الى الوزير حملها الى
خدمة الخليفة . وقال ان صاحب الموصل قد أهدى الى هذا واستحييت منه
أن أردّه اليه . وقد حملته وأنا أسئله قبوله فقبل ثم انه أهدى الى بدر الدين
عوض هديته شيئاً من اطائف بغداد قيمته اثنا عشر الف دينار . وانتمس منه
أن لا يهدي اليه شيئاً بعد ذلك

وكان خواص الخليفة جميعهم يكرهونه ويحسدونه . وكان الخليفة يعنّد
فيه ويحبه . وكثر واعليه عنده فكف يده عن أكثر الامور . ونسبه الناس
الى أنه خامر . وليس ذلك بصحيح . ومن أقوى الادلة على عدم خامره
سلامته في هذه الدولة فان السلطان هو لا كولا كولا لما فتح بغداد وقتل الخليفة
سلم البلد الى الوزير وأحسن اليه وحكمه . فلو كان قد خامر على الخليفة لما
وقع الوثوق اليه

حدثني كمال الدين أحمد بن الضحاك وهو ابن أخت الوزير مؤيد الدين

بن العلقمى قال لما نزل السلطان هولاكو على بغداد أرسل يطلب أن يخرج
 الوزير اليه . قال فبعث الخليفة فطلب الوزير فحضر عنده وأنا معه . فقال له
 الخليفة قد أنفذ السلطان يطلبك . وينبغي أن يخرج اليه فخرج الوزير من
 ذلك . وقال يا مولانا اذا خرجت فن يدبر البلد ومن يتولى المهام . فقال له
 الخليفة لا بد من أن يخرج . قال فقال السمع والطاعة . ثم مضى الى داره
 وتهيأ للخروج ثم خرج . فلما حضر بين يدي السلطان وسمع كلامه وقع
 بتوقع الاستحسان . وكان الذي تولى تربيته في الحضرة السلطانية الوزير
 اسمعيل نصير الدين محمد الطوسي قدس الله روحه . فلما فتحت بغداد سلمت
 اليه والى على بهادر الشحنة فكث الوزير شهورا . ثم مرض ومات رحمه الله
 في جمادى الاولى سنة ست وخمسين وستمائة

انقضت دولة بنى العباس ووزرائهم . وبذلك نقضى الكتاب والحمد لله
 وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين وسلامه
 فرغ من تأليفه واستنساخه مؤلفه في مدة أولها جمادى الآخرة من
 سنة إحدى وسبع مائة وآخرها خامس شوال من السنة المذكورة بالموصل
 لخدباء وهذا خط يده تجاوز الله عنه

يقول مصحح مطبعة الموسوعات البهية . المقبر حمد مكي نانه رب البريه

حمداً لمن خلق خلق وأنفذ فيهم مرده . وسيره بقدرته وجعل سيرته
عبره . سبحانه دلت على ربوبيته الآؤد . وشهدت بوحديته أرضه وسأؤد .
وصلاة وسلاماً على ولى لانفس المطررة خصوصاً سيدى الأكل . وعلى آله
وصحبه الذين شهد لهم التاريخ بالقدر لاخيه . والفضل الاجزل

هذه ون عم التاريخ من جيل العلوه قدر . وسمى المعارف نشر
ومن أحسن ما ألف فيه كتاب (الفخرى) كتب تشهد سلاسة مباحثه
وسهولة معانيه . بوفور عم مؤلفه واقتداره في صناعة الكتابة . وتفرض
قتناه على كل من أراد أن يحيى بفضيلتي التاريخ وخطابه . وكان الفرع
من طبعه بهذا الشكل جميل على نفقة شركة طبع الكتب العربية في ٢٢
رمضان المعظم سنة ١٣١٧ الف وثلاثمائة وسبع عشرة من الهجرة النبوية
وفق لله هذه جمعية لامثل هذه العمل الشريف الذى يدل على حسن
عوظها وجهها تقدم ابناء منها . ومنها وحق يقال خدمت الامة بطبع هذا
الكتاب خدمة جليلة تستحق عليها جزيل اثناء (وكان) طبعه بمطبعة
الموسوعات البهية الكائن مركزه في مصر باب الشعربة وهى مطبعة جليلة
الطبع . فريدة في نوضع . واعمرى لها غنة عن المدح . حرسها الله تعالى
وكفها برعايته







فهرست

کتاب الفخری

صحیفه

۳	المقدمة
۱۵	(الفصل الاول) في الامور السلطانية والسياسات الملكية
۶۵	(الفصل الثاني) في الكلام على دولة دولة
۶۵	الدولة الاولى وهي دولة الاربعة (أي الخلفاء الراشدين)
۶۷	فتنة مسيلمة الكذاب
۶۷	فتح الشام
۶۸	انتقال الملك من الاكاسرة الى العرب
۷۵	شرح كيفية تدوين الدواوين
۷۶	شرح مبدأ وقعة الجمل
۸۰	وقعة صفين
۸۵	حديث الخوارج وما كان منهم وما آلت بهم الحال اليه
۸۷	وفاة الاربعة
۸۸	قتل عثمان وسببه
۹۰	مقتل أمير المؤمنين علي عليه السلام
۹۳	الدولة الاموية
۹۷	كلام في معنى البريد
۹۹	استلحاق معاوية لزياد بن أبيه

صحيحة

- ١٠٣ يزيد بن معاوية
 ١٠٣ مقتل الحسين رضي الله عنه
 ١٠٦ شرح كيفية وفعة الحرة
 ١٠٧ غزو الكعبة
 ١٠٧ معاوية بن يزيد بن معاوية
 ١٠٧ مروان بن الحكم
 ١٠٩ أخذ الشيعة بشار الحسين
 ١١٠ عبد الملك بن مروان
 ١١٤ الوليد بن عبد الملك بن مروان
 ١١٥ ساجان بن عبد الملك بن مروان
 ١١٥ عمر بن عبد العزيز بن مروان
 ١١٧ يزيد بن عبد الملك
 ١١٧ هشام بن عبد الملك
 ١١٩ الوليد بن يزيد بن عبد الملك
 ١٢٠ يزيد بن الوليد بن عبد الملك
 ١٢١ ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك
 ١٢١ مروان بن محمد بن مروان
 ١٢٢ خروج عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب
 ١٢٣ ابتداء أمر أبي مسلم الخراساني ونسبه
 ١٢٦ شرح ابتداء لدولة العباسية

- ١٣٠ شرح كيفية الوعدة بالزيب وخذلان مروان ونهزمه
 ١٣١ شرح مقتل مروان الحمار
 ١٣٢ في الدولة العباسية
 ١٣٣ في أبو العباس بن عبد الله بن محمد الساماني
 ١٣٥ شرح حال الوزارة في أيامه
 ١٣٩ ذكر وزارة خالد بن برمك وشيء من سيرته
 ١٤١ في خلافة أبي جعفر المنصور
 ١٤٣ شرح كيفية الحال في بناء بغداد
 ١٤٨ ذكر خروج النفس الزكية
 ١٤٩ ذكر خروج أخيه برهم
 ١٥٠ قتل أبي مسلم خراساني
 ١٥٦ شرح حال الوزارة في أيام المنصور
 ١٥٦ وزارة أبي أيوب الموراني
 ١٥٧ ذكر القبض على أبي أيوب الموراني
 ١٥٨ وزارة الربيع بن يونس
 ١٦٠ في خلافة محمد المهدي بن المنصور
 ١٦١ ظهور المقتنع بخراسان
 ١٦٣ شرح لوزارة في أيامه
 ١٦٣ وزارة أبي عميد الله معاوية بن يسار
 ١٦٦ وزارة أبي عبد الله يعقوب بن داود

- ١٦٩ وزارة الفيض بن أبي صالح
 ١٧٠ (خلافة موسى الهادي)
 ١٧٤ شرح حال الوزارة في أيامه
 ١٧٤ وزارة إبراهيم بن دكوان الحراني
 ١٧٤ « خلافة هارون الرشيد »
 ١٧٦ شرح كيفية الحال في خروج يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن
 ابن علي بن أبي طالب
 ١٧٦ شرح الآية التي ظهرت في قصة يحيى بن عبد الله
 ١٧٧ قتل موسى بن جعفر
 ١٧٨ شرح حال الوزارة في أيامه
 ١٧٨ شرح أحوال الدولة البرمكية وذكر مبدأها ومآلها
 ١٧٩ ذكر وزارة يحيى بن خالد الرشيد
 ١٨٢ سيرة ولد الفضل بن يحيى ()
 ١٨٦ سيرة جعفر بن يحيى البرمكي
 ١٩٠ شرح السبب في نكبة البرامكة وكيفية الحال في ذلك
 ١٩١ شرح مقتل جعفر بن يحيى والقبض على أمه
 ١٩٢ وزارة أبي العباس الفضل بن الربيع
 ١٩٣ (خلافة الأمين محمد بن زبيدة)
 ١٩٤ شرح الفتنة بين الأمين والمأمون
 ١٩٧ « خلافة عبد الله المأمون »

- ٢٠١ شرح حال الوزارة في أيامه
 ٢٠٢ وزارة ذى الرئاستين الفضل بن سهل
 ٢٠٣ وزارة الحسن بن سهل
 ٢٠٥ وزارة خالد بن أبى أحمد الاحول
 ٢٠٦ وزارة أحمد بن يوسف بن القسم
 ٢٠٧ وزارة أبى عباد ثابت بن يحيى بن يسار الرازى
 ٢٠٨ وزارة أبى عبد الله محمد بن يزداد بن سويد
 ٢٠٩ (خلافة المعتصم أبو اسحاق محمد)
 ٢٠٩ فتح عمورية
 ٢١١ شرح السبب في بناء سامر
 ٢١٢ شرح حال الوزارة في أيامه
 ٢١٢ وزارة أحمد بن عمار بن شاذى
 ٢١٣ وزارة محمد بن عبد الملك الزيات
 ٢١٥ (خلافة هارون الواثق بن المعتصم)
 ٢١٥ (خلافة جعفر المتوكل بن المعتصم)
 ٢١٦ شرح حال الوزارة في أيامه
 ٢١٦ وزارة أبى جعفر محمد بن الفضل الجرجانى
 ٢١٦ وزارة عبيد الله بن يحيى بن خاقان
 ٢١٧ (خلافة المنتصر بن المتوكل)
 ٢١٧ وزارة أحمد بن الخطيب للمنتصر

- ٢١٨ (خلافة المستعين أحمد بن محمد بن المعتمد)
 ٢٢٠ وزرارة أبي صالح محمد بن بزدر
 ٢٢٠ (خلافة المعتز بالله بن المنوكل)
 ٢٢١ وزرارة لاسكاف المعتز
 ٢٢١ وزرارة أبي موسى عيسى بن فروخان شاه
 ٢٢٢ وزرارة أبي جعفر أحمد بن السريال لا باري
 ٢٢٢ (خلافة المهتدي بالله محمد بن الوثيق)
 ٢٢٣ وزرارة سليمان بن وهب بن سعيد للمهتدي
 ٢٢٦ (خلافة المعتمد على الله أحمد بن المنوكل)
 ٢٢٧ شرح حال صاحب لرنج ونسبه وما آل الله أمره
 ٢٢٨ وزرارة أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان المعتمد
 ٢٢٨ وزرارة الحسن بن محمد
 ٢٢٩ وزرارة أبي الصفر حماد بن ابراهيم
 ٢٣٠ وزرارة أحمد بن صالح بن شاذلي
 ٢٣٠ وزرارة عبيد الله بن سليمان بن وهب
 ٢٣١ (خلافة المعتمد بالله)
 ٢٣٢ وزرارة القاسم بن عبيد الله بن ابراهيم بن وهب
 ٢٣٣ (خلافة المسكفي بالله بن المعتمد)
 ٢٣٣ وزرارة العباس بن الحسن
 ٢٣٤ (خلافة المقدر بالله بن المعتمد)

- ٢٣٥ قتل حسين بن منصور الخلاج
 ٢٣٦ شرح حال الدولة العلوية و...
 ٢٣٩ وزارة ابن القرب لا...
 ٢٤٠ وزارة...
 ٢٤١ وزارة علي بن عيسى
 ٢٤٢ وزارة حامد بن العباس
 ٢٤٣ وزارة أبي العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن...
 ٢٤٤ وزارة أبي عبد الله محمد بن علي بن...
 ٢٤٧ وزارة أبي القاسم سليمان بن حسن بن محمد
 ٢٤٧ وزارة أبي القاسم عبيد الله بن محمد السكاوذي
 ٢٤٧ وزارة الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن...
 ٢٤٩ وزارة أبي الفضل جعفر بن المرت
 ٢٤٩ (خلافة الفاهر بن المعتمد)
 ٢٥٠ شرح حال دولة آل بويه و...
 ٢٥٢ (خلافة الرضا بالله بن المعتمد)
 ٢٥٣ شرح حال الوزارة في...
 ٢٥٣ وزارة عبد الرحمن بن تميم بن...
 ٢٥٤ وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي
 ٢٥٤ وزارة سليمان بن حسن بن محمد
 ٢٥٥ وزارة أبي القاسم جعفر بن المرت

صحيفة

- ٢٥٦ (خلافة المتقي لله أبي اسحاق ابراهيم بن المقتدر)
 ٢٥٦ وزارة أبي عبد الله البريدي
 ٢٥٧ وزارة أبي اسحاق محمد بن ابراهيم الاسكافي
 ٢٥٧ وزارة أبي العباس أحمد بن عبيد الله الاصفهاني
 ٢٥٨ (خلافة المستكفي بن المكتفي بن المعتضد)
 ٢٥٩ شرح حال الوزارة في أيامه
 ٢٥٩ (خلافة المطيع لله بن المقتدر)
 ٢٦٠ (خلافة القادر أبو العباس بن المقتدر)
 ٢٦٠ (خلافة أبي جعفر عبد الله القائم بامر الله)
 ٢٦٠ شرح حال الدولة السلجوقية وابتدائها وانتهائها
 ٢٦٢ وزارة نجر الدولة بن جبير
 ٢٦٣ وزارة رئيس الرؤساء علي بن الحسين
 ٢٦٤ (خلافة المقتدى بامر الله)
 ٢٦٥ وزارة عميد الدولة
 ٢٦٧ (خلافة المستظهر بالله)
 ٢٦٨ وزارة أبي العالي هبة الله بن محمد بن المطب
 ٢٦٩ (خلافة المسترشد)
 ٢٧١ شرح حال الوزارة في أيامه
 ٢٧٣ وزارة الشريف أبي القاسم علي بن طرد لزنابي
 ٢٧٣ وزارة أبي نصر أحمد بن الوزير نظام الملك

- ٢٧٤ وزارة نو شروان بن خالد بن محمد القاشاني
- ٢٧٥ (خلافة الراشد بالله ابن المسترشد)
- ٢٧٦ (خلافة المظفر لأمير الله ابن المستظهر)
- ٢٧٧ وزارة مؤتمن لدولة بي القاسم علي بن صدفة
- ٢٧٨ وزارة عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة
- ٢٨١ (خلافة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف)
- ٢٨٢ وزارة محمد بن يحيى بن هبيرة
- ٢٨٤ (خلافة المستضيء أبي محمد الحسن بن المستنجد)
- ٢٨٤ شرح حال الوزارة في أيامه
- ٢٨٦ وزارة ظهير الدين
- ٢٨٧ (خلافة الامام الناصر لدين الله بن المستضيء)
- ٢٨٨ وزارة جلال الدين أبي المظفر عبيد الله
- ٢٨٩ وزارة معز الدين سعيد بن علي
- ٢٨٩ وزارة مؤيد الدين أبي المظفر محمد بن احمد بن القصاب
- ٢٩٠ وزارة السيد نصير الدين الخ
- ٢٩١ وزارة مؤيد الدين محمد الخ
- ٢٩٢ (خلافة أبي نصر محمد الظاهر بأمر الله)
- ٢٩٢ (خلافة أبي جعفر المستنصر بالله)

صحيفة

٢٩٥ وزارة نصير الدين أبي الازهر الخ

٢٩٧ (خلافة أبي أحمد عبد الله المستعصم بالله . وهو آخر خلفاء بني

العباس)

٣٠١ وزارة مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد بن العلقمي









**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

NYU - BOBST



31142 02824 5192

DS234 .I1147

Kitab al-f